صناعة التوحش

التكفير والغرب

د. محمد محمود مرتضى



www.daralwalaa.com



صناعة التوحش

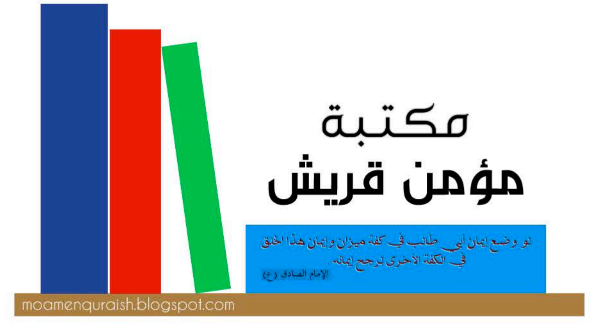
الوهابية والتكفير والغرب

صناعة التوحش

الوهابية والتكفير والغرب



بيروت - لبنان، برج البراجنة، الرويس، شارع الرويس
Mob: 00961 3 689 496 | TeleFax: 00961 1 545 133 | P.O. Box: 307/25
info@daralwalaa.com | daralwalaa@yahoo.com | www.daralwalaa.com



ISBN 978-614-420-222-7

اسم الكتاب: صناعة التوحش الوهابية والتكفير والغرب.

المؤلف: د. محمد محمود مرتضى.

الناشر: دار الولاء لصناعة النشر.

الطبعة: الأولى، بيروت، ١٤٣٧هـ/ ٢٠١٦م.

© جميع الحقوق محفوظة للناشر

صناعة التوحش

الوهابية والتكفير والغرب

د. محمد محمود مرتضى



دار الولاء
لصناعة النشر


بسم الله الرحمن الرحيم

المقدمة

الوهابية والنفط والتوسع خارج المملكة

ربما ما كان لدعوة محمد بن عبد الوهاب ان يكتب لها النجاح، خاصة في المجتمع الذي كان سائداً آنذاك في شبه الجزيرة العربية؛ وذلك بسبب التقاليد التي كانت حاكمة ومنتشرة بين المسلمين.

والواقع أن تلك العادات والتقاليد، ليست منعزلة عن تلك التي كانت في مناطق أخرى. فقد كانت افكار ابن عبد الوهاب غريبة، شاذة، تتطلب تغييرات جذرية في النمط الاجتماعي-الديني لسكان تلك المناطق؛ ولذلك لم يكن غريباً أن رفض الجماعات للدعوة الوهابية افضى الى هروب ابن عبد الوهاب من العَيينة ولجوئه الى الدرعية.

لقد كانت اللحظة المفصلية في تاريخ دعوة الوهابية، هو ذلك الميثاق عام ١٧٤٤م الذي جمع محمد بن سعود، الطامع في التوسع في ارجاء نجد، ومحمد بن عبد الوهاب الطامح لنشر افكاره «ودعوته». فألتقى الطرفان على تقاسم السطة: الاول يسعى للسلطة السياسية له ولسلالته على سبيل الحصر، والثاني للسلطة الدينية.

إنتهى التعاون الى عقد ميثاق، تعهد بموجبه «ابن سعود» بتطبيق الاسلام وفق رؤية ابن عبد الوهاب، الذي تعهد بدوره باعطاء غطاء ديني لتوسعات ابن سعود مع توزيع «الغنائم» بينهما.

وهكذا، تحولت الغارات التي كان يقوم بها أهل نجد في شبه الجزيرة بهدف السلب، تحولت الى جهاد لنشر الدعوة مع تقديم خمس الغنائم لابن سعود.

وما بين ابن سعود وابن عبد الوهاب، تبدو الاصابع البريطانية في دعم هذا الحلف. ولئن كانت التحركات البريطانية محدودة في عصر الدولة السعودية الاولى والثانية، فان تلك الاصابع أخذت بالظهور مع عقد البريطانيين للتحالفات، وتوقيع اتفاقية «دارين» عام ١٩١٥ بينهم وبين عبد العزيز بن عبد الرحمن، المعروف بابن سعود، مؤسس الدولة الحالية للمملكة.

ورغم ظهور بعض الدراسات التي تحدثت عن هذه العلاقات بين البريطانيين وآل سعود، فإننا نادراً ما وجدنا ابحاثاً سعت للإضاءة على العلاقات التي أدت الى بروز هذه المملكة قبيل إنشاء «دولة اسرائيل»، وعن «المصادفة» في كون ظهور المملكة، والوعود التي اطلقها البريطانيون لابن سعود، تشبه كثيراً وعد بلفور الذي أسس لبناء «الدولة اليهودية» في المنطقة.

وعلى اي حال، فإن دخول المملكة الى الحداثة لم يتم الا مع الاكتشافات النفطية، التي وإن مكّنت المملكة من التواصل العالمي والخروج، ظاهرياً، عن الحياة القبلية، إلا أنها ايضاً اعطت دفعاً للأفكار الوهابية للأندفاع خارج الجزيرة العربية.

ساعد النفط المكتشف في تطوير البناء العمراني في المملكة، من شبكات مواصلات وطاقة، الا ان بناء الانسان بقي على ما كان عليه من احياءات محمد بد عبد الوهاب لافكار ابن تيمية.

والحق انه جرت محاولات عدة في سبيل تطوير الفكر الديني، الا ان جميع تلك المحاولات اصطدمت بجدارين: الاول المؤسسة الدينية الوهابية، والثاني أن المحاولات تمت بواسطة الاستعانة «بالاخوان المسلمين»، الذين سارعوا لمحاولة الهيمنة على المراكز الثقافية الاساسية في المملكة، ما جعلهم يصطدمون بالمؤسسة الدينية الوهابية، ومن ثم بالسلطات السياسية في المملكة، بعد تغلغل الافكار «القطبية» وسيطرتها على «الاخوان».

وعلى اي حال، فإن ما أضافته الثروات النفطية هي انها أعطت المؤسسة الدينية الوهابية، الامكانيات الهائلة نحو الانطلاق الى خارج المملكة، ضمن حدود الجزيرة العربية، ومن ثم الى خارج الجزيرة، الى حيث تستطيع الوهابية ان تصل، في طول العالم الاسلامي وعرضه.

الوهابية والغرب

لم تكن العلاقة التي تربط زعماء المملكة السعودية منذ نشأتها علاقة عادية. ويمكن ملاحظة ذلك بسهولة، من خلال صياغة الرسائل التي كان يرسلها ابن سعود الى المسؤولين البريطانيين[1].

(١) راجع الفصل الخاص باتفاقية دارين في هذا الكتاب.

لقد حافظ البريطانيون، حتى حوالي عام ١٩١٤، على التوازنات بين المكونات السياسية والقبلية في شبه الجزيرة العربية؛ بحيث لا يؤثر الصراع الذي كان دائرا في المنطقة بين القبائل، على وحدة وسلامة الامبراطورية العثمانية. وإستمرت هذه السياسة، حتى دخول العثمانيين الحرب العالمية الاولى الى جانب المانيا، وإعلانهم «الجهاد».

إن سلاح «الجهاد» الذي شهره العثمانيون في وجه البريطانيين، وفي وجه كل الاطراف التي وقفت أو قد تقف الى جانب «الحلفاء»، لم يكن بالإمكان محاربته الا بالسلاح نفسه. لذلك وجد البريطانيون أنه آن الأوان لإشهار هذا السلاح ايضاً.

وجد البريطانيون ضالتهم في تحالف آل عبد الوهاب مع آل سعود، وتحديداً في الدعوة الوهابية. وهكذا أمكن للبريطانيين أن يحاربوا فتوى «الجهاد» العثمانية بدعوة تكفيرية مقابلها، وشجعهم على ذلك طموحات ابن سعود، وتطلعات ابناء ابن عبد الوهاب.

ومنذ ذلك الوقت تحول هذا الحلف، والدعوة الوهابية تحديداً، الى أداة بيد البريطانيين «لترويض» الحركات الناشئة في المنطقة، ورسم حدود لها ولتطلعاتها. فحارب البريطانيون الحركات الاسلامية، المتحفزة نحو التوسع والتمدد، بالحركات القومية؛ وعندما حاولت هذه الاخيرة أن تخرج عن حد السيطرة، حوربت بالحركات الاسلامية مجدداً.

وما بين «الخلافة العثمانية» ومحاربة القومية العربية، سنجد أن الوهابية كانت العنصر والأداة المشتركة في جميع حروب البريطانيين.

ورث الاميركيون البريطانيين، لكنهم ساروا في نهجهم، وإستعملوا نفس أدواتهم «الترويضية». فبعد صعود الإسلام الثوري المعارض للمشاريع الأميركية، حاربوه بإسلام تكفيري وهابي.

ومع صعود «الإيديولوجيا» الشيوعية وإنتشارها في العالم العربي والإسلامي، لم تجد الادارات الاميركية المتعاقبة افضل من هذه العقيدة لمواجهة المد «الشيوعي». وقد تجلت أكثر ما تجلت به، هو تشكيل فصيل مسلح في أفغانستان أُطلق عليه اسم «تنظيم القاعدة».

الوهابية والقاعدة

لقد مثل تأسيس تنظيم القاعدة في أفغانستان علامة فارقة في التعاون «الوهابي» الغربي: أولا: لانه مثل المحاولة الاولى لتشكيل قوة مسلحة تكفيرية خارج الجزيرة العربية. وثانيا: لان هذه القوة لم تقتصر على العنصر الافغاني وحسب، بل ضُم اليها عناصر عربية، أطلق عليها لاحقا اسم «الافغان العرب».

وهابياً، مثّل تشكيل التنظيم امتدادا لفكرهم، الداعي لاعادة الامة الى سلوك «السلف الصالح». وما لم تستطع الوهابية القيام به داخل المملكة، وجدت في هذا التنظيم فرصة لإقامته.

إعتقدت الوهابية أنها ومن خلال «عقيدتها» من جهة، وإمكانياتها

المادية من جهة ثانية، قادرة على ضبط إيقاع هذا التنظيم، وتالياً الاستفادة منه كوسيلة للحصول على مكاسب سياسية. الا ان قادة التنظيم ما لبثوا أن قاموا بإعادة قراءة للاصول العقدية «الجهادية». فبدأت تظهر معها تحولات جذرية داخل التنظيم، ومحاولات لاخراجه من كونه حركة «جهادية» اقليمية الى رحاب «الجهاد العالمي». وبذلك بدأت تتكون معالم جديدة لهذا الفكر «الجهادي» الذي إرتكز على عملية تزاوج بين ركيزتين:

الاولى: الفكر التكفيري بما يمثله من أصول «عقدية» دينية.

والثانية: الفكر القطبي (سيد قطب) بما يمثله من فكر سياسي ادخل الى العقيدة، وتمحور حول فكرة ضرورة استرجاع الحاكمية. فاضافت القطبية «حاكمية اللّه» كركن رابع من أركان التوحيد.

لقد أنتج هذا التزاوج عقيدة العمل على قيام «دولة اسلامية»، أو إعادة إحياء «الخلافة الاسلامية» بقوة السلاح. ويمكن المجادلة بان هذا التزاوج، كان بمثابة الانطلاقة الكبرى في عمل التنظيم لاحقاً، لا سيما ابتداء من تسعينييات القرن الماضي، بعد استقبال المملكة للقوات الاميركية بعيد غزو العراق للكويت.

فالتنظيم الذي أنشئ لمحاربة الشيوعية والجيش السوفياتي في أفغانستان، بدأ يطلق شعارات محاربة الاميركيين «الصليبيين»، ثم تطور الخطاب الى محاربة «النظام الكافر» في المملكة السعودية التي يحكمها «آل سلول» وفق أدبيات التنظيم.

لقد كانت اولى بواكير تكفير حكام المملكة، ما كتبه عصام البرقاوي (ابو محمد المقدسي) الذي استقر في باكستان، ونشر كتابا عام ١٩٩٠ تحت عنوان «الكواشف الجلية في كفر الدولة السعودية». لقد مثلت هذه العقيدة خطورة كبيرة على الوهابية، التي اعتبرت أنها خرجت من رحمها.

القاعدة تنقلب على صانعيها

في الخامس عشر من شهر أيار مايو عام ١٩٨٨ بدأ الاتحاد السوفياتي بسحب قواته من افغانستان، ومع دخول عام ١٩٨٩ كان قد انهى انسحابه منها.

مع انتهاء احتلال افغانستان، وجد ما يسمى بالأفغان العرب أنفسهم قد حققوا ما كانوا يصبون اليه، من مساعدتهم «لإخوانهم» المسلمين في افغانستان، الذين نجحوا بإخراج المحتل منها. ولكن، مع التفاعل الذي كان يجري بين «المجاهدين العرب» هناك، كانت قد بدأت تتبلور مشاعر «الوحدة الإسلامية» بشكل أكبر. ومقتضى هذه الفكرة أن على المسلم أن يساعد أخاه المسلم في دفع الظلم عنه أينما وجد.

كان العرب بشكل خاص، قد بدأوا منذ عام ١٩٨٤ بتنظيم انفسهم، لا سيما مع نشاط عبد اللّه عزام في باكستان، وما أطلق عليه اسم «مكتب الخدمات».

وفي الوقت الذي بدأ فيه الافغان العرب بالعودة الى بلادهم، غزا

صدام حسين الكويت عام ١٩٩٠. وقد استدعى هذا الاحتلال دخول قوات اميركية الى الجزيرة العربية، وتحديداً السعودية، ما أثار زوبعة كبيرة حول «شرعية» السماح لقوات اميركية بالدخول الى اراضي المملكة، وبناء قواعد عسكرية.

كان الإعتراض الاكبر من قبل ما يسمى بحركة «الصحوة»، بقيادة الشيخين «سفر الحوالي» و«سلمان العودة» بين عامي ١٩٩١ و١٩٩٢. ورغم حصول بعض الاعمال العنفية، كسلسلة الهجمات التي وقعت على أهداف اميركية عام ١٩٩١ خلال حرب الخليج الثانية، الا ان هذه الهجمات لم تتصاعد، رغم صدور مواقف من تنظيم القاعدة تشجب الوجود الاميركي.

عام ١٩٩٢ بدأت الحرب في البوسنة، ما دفع «الجهاديين» الى التركيز على تلك الجبهة، وقاموا بإرسال العناصر الى هناك. واستمر الوضع على هذا الحال حتى عام ١٩٩٥.

يمكن الإعتبار أن حرب البوسنة، شكلت تجميداً مؤقتاً لإشتباك واقع لا محالة بين التنظيم الصاعد والسلطات في المملكة، لا سيما بعد دخول الاميركيين الى اراضيها. إن تكفير الدولة السعودية، وإن بدأ علناً، على الاقل في عام ١٩٩٠ مع كتاب المقدسي «الكواشف الجلية في كفر الدولة السعودية»، إلا أن تداعيات هذا التكفير لم تتجلَ بقوة الا بعد إنتهاء الحرب في البوسنة.

فما بين عام ٢٠٠٠ وأواخر عام ٢٠٠٢ شهدت المملكة سلسلة هجمات، لكنها بقيت محدودة. وكذلك شهد مطلع ٢٠٠٣ خمس

محاولات إغتيال، إستهدفت رجال شرطة وقضاة في مدينة سكاكا الشمالية بمحافظة الجوف. شنت القوى الأمنية في المملكة حملة كبيرة، أدت الى تدمير كبير في بنية التنظيم داخل المملكة.

في هذه الاثناء، كان ثمة حملة مغايرة تجري على الحدود، وتحديداً في العراق، حيث كانت القوات الاميركية تدخل بغداد في ٩ نيسان ابريل من عام ٢٠٠٣. اما تنظيم القاعدة، الذي كان متوثباً لشن هجماته على الاميركي «الصليبي»، فقد وجد نفسه في تعارض كبير بين شعاراته من جهة، وسلوك جماعات إنطلقت من تحت عباءته من جهة أخرى. فجماعة «التوحيد والجهاد» التي يرأسها ابو مصعب الزرقاوي، أخذت تصعّد من عملياتها ضد المدنيين في العراق، وتحديداً ضد الشيعة.

ومع الزرقاوي بدأت بوادر ظهور جماعة تحمل نفس الفكر الوهابي، وفكر تنظيم «القاعدة»، لكنه أكثر دموية وعنفاً.

وعلى غرار التحالف الذي جرى في بدايات تكون الدولة السعودية بين ابن عبد الوهاب وابن سعود، جرى لقاء مصالح بين الفكر التكفيري وجماعات حزب البعث العراقي، الذي كان يحكم العراق برئاسة صدام حسين. فانضوى الكثير من ضباط هذا الجيش المنحل، تحت عباءة التنظيم الجديد، الذي عُرف لاحقا باسم «الدولة الاسلامية في العراق والشام»، أي «داعش»، حسب الاصطلاح المتداول في الدول العربية.

يسعى هذا الكتاب لمقاربة هذه الحركات منذ نشوئها، مع التركيز

على ابعادها وسلوكياتها، عبر الرجوع الى التاريخ، وخصوصا فترة انطلاق الوهابية. لكنني ارتأيت ان أصدر الكتاب بفصل، يشرح بعض المفاهيم والمصطلحات المستعملة في ادبيات الاسلام السياسي والسياسات الشرعية، والتي لا بد للقارئ أن يكون مطلعاً عليها. وكذلك معرفة الاستراتيجيات والخطط والهيكليات، خصوصا تنظيم «داعش».

وكذلك فان ثمة علاقات هامة بين هذه الجماعات والاستخبارات الغربية، سواء من ناحية المساعدة على التشكيل، او من ناحية التوظيق لتحقيق مصالح سياسية واقتصادية وجيوسياسية. لذلك كان لا بد من الاضاءة على هذا الجانب.

لكن العمل لا يكتمل، من دون فصل ألخص فيه اسباب ظهور هذه الحركات وبعض الاقتراحات المتعلقة باستراتيجية المواجهة. وهذا ما وضعته في الفصل الأخير من الكتاب.

وفي النهاية لا بد من تقديم الشكر لكل من قدم يد العون حتى يبصر هذا الكتاب النور.

محمد محمود مرتضى
٢٦-٥-٢٠١٥

الفصل الأول

مصطلحات لا بد منها

لا يعتبر هذا الفصل دخيلا على الكتاب، وان ظهر وكأنه يأتي من خارج السياق. والواقع انه ضروري، نظراً لضرورة القاء الضوء، شرحا وتوضيحاً، لبعض المصطلحات المستعملة بكثرة في ادبيات هذه الجماعات، وهذا ما حتم تخصيص فصل يتعلق بشرح هذه المفاهيم.

١-السلفية

السلف لغة يدل على تقدم وسبق، ومن ذلك السلف المتقدمون. اما اصطلاحا: هم الصحابة ابتداء، ويشاركهم التابعون وتابعوهم. ولذلك فكلمة السلف اكتسبت هذا المعنى الإصطلاحي والذي لا يتجاوزه الى غيره.

والسلف زمانا هي القرون الثلاثة الأولى عملاً بقول النبيﷺ: «خير الناس قرني، ثم الذين يلونهم، ثم الذين يلونهم، ثم يجيء أقوام تسبق شهادة أحدهم يمينه، ويمينه شهادته»[1]. ولذلك فإن المنهج السلفي هو لزوم الطريقة التي كان عليها الصحابة.

والواقع أن هذا المفهوم للسلفية ينطبق على أغلب المسلمين،

(١) البخاري، ابو عبد الله محمد بن اسماعيل، صحيح البخاري، دمشق-بيروت، دار ابن كثير، ط١، ٢٠٠٢م، ص٨٩٧ (كتاب فضائل اصحاب النبي، حديث رقم ٣٦٥١).

فهم جميعاً يعودون الى المتقدمين القريبين من عصر النص النبوي بشكل أو بآخر، فهم بهذا المعنى سلفيون.

إلا أن التطور التاريخي للمصطلح ساهم في انبعاث عدة سلفيات تختلف في ما تتبنّاه من قضايا وأولويات، ولهذا فقد تباينت درجة التسلف.

من الضروري العودة إلى القرن التاسع مع الإمام أحمد بن حنبل الذي كان يشدِّد أكثر من غيره على العودة كلياً إلى النص والسير على خطى السلف، رغبة في تطبيق النموذج النبوي الذي بُني في المدينة المنورة آنذاك. ومع أن نموذج «المدينة»، شهد صراعات وحروباً بعد انقضاء سنوات قليلة على وفاة صاحب الدعوة، وأن حروباً نشبت حتى بين الصحابة، وسادها الكثير من الاحتجاجات والسجالات التي إتخذت بعدأ عقليا وفلسفيا في القرن الثاني والثالث، حيث تبلور في تلك الفترة تيار «أهل الحديث» الذي سعى لمواجهة التحديات الحضارية، وهنا تحديدا برز دور ابن حنبل والحنبلية من بعده، في مقاومة هذه الاتجاهات العقلانية والفلسفية والكلامية بشكل عام، والتي تنامت بقوة في عهد الخليفة المأمون العباسي(ت ٢١٨هـ) حيث تعرض خلالها ابن حنبل وعدد من اهل الحديث معه لما عرف باسم «محنة خلق القرآن» وكان من نتيجة هذه المحنة تبلور واضح لاتجاهات فكرية لتيار اهل الحديث والاتجاه السلفي بشكل عام.

وفي القرن الرابع عشر الميلادي ظهر ابن تيمية (ت ١٣٢٨)، الفقيه الحنبلي السلفي. ورغم الموقعية التي يشهدها ابن تيمية في

العصر الحاضر كمرجعية للتيارات السلفية، الا أنه يمكن القول تاريخيا أن اسم ابن تيمية لم يحتل موقعا علميا بين العلماء رغم النشاط اللافت لاحقا لتلميذه ابن قيم الجوزية (ت ١٣٤٩م) وربما لم يكن ليظهر اسمه لولا مجيء محمد بن عبد الوهاب(ت١٧٩٢م) مؤسس الدعوة الوهابية السلفية في عمق شبه الجزيرة العربية، الذي أحيا كتب ابن تيمية وتعاليمه. بهذا المعنى شكل ابن تيمية الحلقة الوسطى بين ابن حنبل وابن عبد الوهاب.

جاء ظهور الدعوة الوهابية في اوقات حساسة جدا من تاريخ المنطقة العربية، اذ كانت الخلافة العثمانية في أوج انحطاطها وتراجعها في مقابل صعود الغرب. هذه الاجواء أثرت في مجمل الحركات الاصلاحية التي ظهرت في العالمين العربي والاسلامي. ورغم ظهور تيارات نهضوية مثلها الشيخ محمد عبده وجمال الدين الافغاني وعبد الرحمن الكواكبي ومحمد رشيد رضا، الا أن التيارات السلفية، لا سيما السلفية الوهابية، كانت اقوى وذلك بسبب دعم القوى الغربية لها، والتي تحالفت مع آل سعود في الجزيرة العربية وأدت لاحقا لنشوء الدولة السعودية.

وكما كان ابن تيمية حلقة وسطى بين ابن حنبل وابن عبد الوهاب، فانه يمكننا القول ان رشيد رضا كان الحلقة الوسطى بين ابن عبد الوهاب وحسن البنا (ت١٩٥٩م) مؤسس جماعة الاخوان المسلمين في مصر والتي عرفها البنا نفسه بأنها «طريقة سلفية وطريقة صوفية ودعوى اصلاحية..» ولعل هذا الجمع بين السلفية والصوفية كان

مورد افتراق كبير بين الجماعة والسلفية الوهابية التي ارتكزت في شعاراتها على محاربة التصوف والحركات الصوفية بدعوى انها بدع ومظاهر كفر وشرك بسبب استشفاع اتباعها بالاموات والاولياء.

ورغم أن السلفية الوهابية بقيت محصورة في شبه الجزيرة العربية لفترة محددة، الا أنها شهدت نشاطا ملحوظا بعد ظهور التيارات القومية واليسارية الليبرالية ما جعل من السلفية الوهابية آداة لمحاربة هذه التيارات لا سيما في مصر خصوصا التيار الناصري (نسبة الى جمال عبد الناصر).

انطلق ابن عبد الوهاب في صياغته من اعتبار عقائدي، وهو أن التوحيد أساس الإسلام، وهو يعني إفراد اللّه بالعبادة دون سواه. فالمجتمع يجب أن يكون حقلاً تطبيقياً لهذا التوحيد الإلهي، ويعبَّر عن ذلك من خلال التمييز والتكامل المعرفي الذي يقيمه بين فكرتي توحيد الألوهية وتوحيد الربوبية. فعلى توحيد الربوبية يترتَّب توحيد الألوهية، وبالتالي فإن القبول بتعدُّد الآلهة هو إدخال الشرك في الحياة الدينية. وبالعكس لا يمكن التسليم بتوحيد الربوبية، وفي الوقت نفسه الإيمان والولاء لغير اللّه، ما يعني أن توجيه جزء من العقيدة التي يدان بها للّه نحو نبي أو وليّ أو حاكم سياسي... الخ هو بمنزلة وقوع بغير وعي في الشرك والكفر. ولا يمكن تحقيق المبدأين: توحيد الربوبية وتوحيد الألوهية، و تجسيد الإيمان الحقيقي باللّه إلا من خلال ما يسمُّونه عقيدة الولاء والبراء، وهما شرطان من شروط الإيمان.

في الخلاصة نشهد في هذا المجال تدرّجاً في الحدة بين الحلقات الثلاث التي تبلورت خلالها العقيدة السلفية، فهي حلقات انتقلت من التساهل النسبي مع ابن حنبل إلى الانتقاد النظري الجذري من جانب ابن تيمية، وصولاً مع الوهابيين إلى استخدام العنف وهدم الأضرحة ومكافحة التصوّف والتوسل، ومنع كل الممارسات التي يعتبرونها تسيء إلى صفاء العقيدة، بحيث لم يتبقَّ في المملكة العربية السعودية، التي تبنَّت تحت قيادة عبد العزيز بن سعود (١٩٠٢ - ١٩٥٣) العقيدة السلفية الوهابية، أيّ قبر من قبور الصحابة والأولياء باستثناء قبر النبي. وهو نفس التوجه الذي سنشهده لاحقا مع ما سمي بالتيارات السلفية الجهادية سواء تنظيم القاعدة او تنظيم «الدولة الاسلامية» بعده.

وبحكم تركيزها على الجانب الاعتقادي التوحيدي، فإن العالم ينقسم وفق هذه المنظومة بشكل ثنائي استقطابي متضاد: عالم كافر مشرك، وعالم مسلم صحيح الإيمان يمثله أهل التوحيد وهم الوهابيون حصراً. وقد قادت هذه الرؤية إلى توسيع دائرة مفهوم «الولاء والبراء»، وبالتالي التوسع بتكفير الآخر على ضوء ما عرف في أدبيات الوهابيين بنواقض الإسلام أو قواعد التكفير.

وفق هذا الفهم الوهابي فانه حتى بعض التيارات السلفية هي بالنسبة لها حركات كافرة ومشركة ولا يمكن اعتبار كل حركة إسلامية بانها سلفية، لان المعايير التي تضعها السلفية الوهابية شديدة الصرامة، ومثال على ذلك ما تقدم من تعريف حسن البنّا للإخوان

المسلمين وانها طريقة صوفية فهذا القول، بحسب السلفية الوهابية هو جمع للمتناقضات باعتبار أن الاستشفاع بالأولياء يتناقض كلياً مع ما يتشدَّد السلفيون الوهابيون في مكافحته باعتباره كفراً.

٢-السلفية الجهادية

دون أن نتجاهل اثر السلفية الوهابية وعنفها في شبه الجزيرة العربية فانه يمكننا القول: إن مختلف التيارات والحركات الإسلامية التي بدأت بالظهور منذ السبعينيات من القرن الماضي والتي تبنّت العنف المسلح تتجنب الدخول في المسائل والخلافية التي أثارتها السلفية الوهابية، إلا مسالة واحدة وهي قضية تكفير الحاكم الذي لا يحكم بما أنزل اللّه، وترتبط هذه الفكرة بمفهوم طاعة أولي الأمر.

لكن التطوُّر الابرز الذي ساهم في بروز السلفية الجهادية وتبلورها، كان عبارة عن امتزاج عناصر من المنظومة الوهابية بعناصر من المنظومة القطبية (سيد قطب). حدث هذا الامتزاج من خلال عدة مراحل، كان أولها عندما استقبلت السعودية الآلاف من كوادر الإخوان المسلمين المصريين والسوريين، ونجح هؤلاء في استلام مراكز هامة في المنظومة التربوية السعودية.

عمل طرفا المعادلة الجديدة (الوهابي-القطبي) على ترسيخ عقيدة «الولاء والبراء» بعد أن تم إعادة إنتاجها، لتحل محل فكرة الحاكمية التي ارتكز عليها التيار القطبي طويلاً. لكن المنظومة الفكرية التي طرحها سيد قطب حول الحاكمية، كانت تحتوي على بذور معرفية

وجدلية تجعلها قابلة للتحول الى عقيدة «الولاء والبراء»، خصوصاً المتعلق منها بالعلاقة مع الآخر غير المسلم.

ورغم استبدال فكرة الحاكمية بعقيدة «الولاء والبراء»، التي أدت إلى حصول نوع من قسمة المجتمع بين مجتمع جاهلي وآخر مسلم: فالولاء هو للإسلام، والبراءة من المشركين وغير المسلمين. ولا يكتمل إسلام المرء عندهم إلا باعتناق هذه العقيدة التي أُدخلت في صميم المناهج الدراسية، بمختلف مستوياتها.

أدَّت عملية المزاوجة بين مفهوم الحاكمية وعقيدة «الولاء والبراء» وبين المنظومة الفكرية القطبية والمنظومة الفقهية الوهابية، إلى نوع من الديناميكية، وبذلك شحنت المضامين العقيدية الوهابية بابعاد سياسية قطبية فيما تسيست المواقف الفقهية الوهابية بالاصول السياسية الشرعية القطبية.

وقد نشأ عن هذه المزاوجة تيار فكري-حركي جديد. أما الفكري فقد عبَّرت عنه مجموعة من المفكِّرين من دعاة السلفية الجهادية النظرية، ومنها مجموعة من الكتّاب والدعاة، فظهر ما عرف بتيار الصحوة في السعودية، أمثال: عوض القرني وسلمان العودة وسفر الحوالي وناصر العمر ومحسن العواجي، وسعد الفقيه ومحمد المسعري وناصر الفهد وعلي الخضير.

أما التيَّار الحركي فقد اتجه نحو المزيد من التبلور، تحت تأثير العشرات من الدعاة في العالم العربي والاسلامي.

وبالمحصلة، فقد أنتج هذا التزاوج مزيجا من التيارات أدت الى المزيد من «تسلف» الاخوان[١]، وتأقطب الوهابية[٢]. ورغم أن هذا الامر بدأ منذ خمسينات القرن الماضي، الا أنه لم يظهر على شكل حركات عنفية «جهادية» الا في ثمانينيات القرن الماضي؛ حيث حصلت عملية الربط الاكثر خطورة في أفغانستان، رغم ظهور بعض الارهاصات عام ١٩٧٩ فيما عرف بعملية احتلال الحرم المكي وحركة جيهمان العتيبي.

في افغاستان تم تظهير مفهومي «الوحدة الاسلامية» والولاء والبراء ضد السوفيات بما يمثلونه من «شيوعية كافرة»: اما مفهوم الوحدة فهو المشاركة في الدفاع عن بلاد «الاخوة في الدين» في افغانستان، واما الولاء والبراء فهو ضرورة تولي الاسلام والبراءة من الحاد الشيوعية. الامر الذي أدى الى اطلاق موجات «جهادية» إسلامية تمَّت برعاية أميركية، ومشاركة وتمويل من دول إسلامية عديدة كانت السعودية المحور الرئيسي فيها.

وفي الوقت الذي كان يحصل فيها الربط العملي بين الوهابية والقطبية في إطار الجهاد في افغانستان، كان يحصل ربط آخر في الاطار الفكري الجهادي في باكستان، حيث يتم نشر أفكار أبو الأعلى المودودي (ت١٩٧٩م) ونشر عقيدته عبر المدارس الدينية التي ترعرعت فيها حركة طالبان داخل بلاده باكستان. وما بين التربية

(١) المقصود من تسلف الاخوان أي ازدياد الميول السلفية للاخوان المسلمين.

(٢) تأقطب نسبة الى سيد قطب والمقصود من تاقطب الوهابية هو أضفاء البعد السياسي على العقيدة الوهابية وعدم حصرها في الجوانب العقدية والفقهية.

العقيدية هذه، والتجربة الجهادية في افغانستان، نشأ حكم طالبان في أفغانستان، ثم جاء إعلان الجبهة الإسلامية العالمية لجهاد اليهود والصليبيين وتنظيم القاعدة، لتمثل ترجمة صريحة لعقيدة «الولاء والبراء» الممزوجة بالتنظير القطبي-التكفيري. وقد تمثل هذا التيار الجديد بالسلفي الوهابي السعودي أسامة بن لادن، والأصولي القطبي المصري أيمن الظواهري، وقبله عبد اللّه عزام الإخواني الفلسطيني الذي تأثَّر به أسامة بن لادن، كما كان له تأثير واضح على كل «الأفغان العرب».

لقد أطلق هذا التيار جبهة أعلنت عن نفسها وعن أهدافها والتي تركزت في أن الخطر الداهم على الإسلام ليس في الأنظمة القريبة، وإنما في التحالف الصهيوني - الأميركي، وأن الفريضة الراهنة هي المواجهة مع أميركا واليهود وحلفائهما، وليست المواجهة مع الحكام.

إذن وصلت السلفية الجهادية الى ذروتها في صياغتها الجديدة بعد التفاعل بين التيارين الوهابي والقطبي، أدت الى ظهور معادلة تمثل «مثلث الصراع» العقيدي-العملي وهي: كفر الأنظمة، وجاهلية المجتمع، والجهاد سبيلاً وحيداً للتغيير.

إن ما يميِّز السلفية الجهادية عن غيرها من السلفيات، ليس إعلانها جاهلية المجتمعات كلها، وليس ادعاءها كفر الانظمة التي لا تحكم بما أنزل اللّه، بل بإعلانها الصريح والواضح أن السبيل الوحيد للتغيير يكمن في الجهاد المسلح. لذلك ترفض السلفية الجهادية أي

طريق آخر لإقامة نظام الخلافة الإسلامية، كالدخول في الانتخابات البرلمانات أو التثقيف الثوري الجماهيري السلمي، أو إشاعة ما يسمى بالوعي الإسلامي، أو السعي للعمل الديمقراطي.

هذا المنهج القتالي المسلَّح تقرِّره غالبية رموز هذا التيار، وهو منهج لا حياد عنه إلى الوسائل السلمية الأخرى. فالتغيير بالقوة واجب، فإن تحقَّق العجز ولم يمكن التغيير فالواجب هو الهجرة. وهنا نضع يدنا على مفهوم آخر يسعى لمقاربة التجربة النبوية وهي الهجرة من بلاد الشرك الى بلاد الايمان.

٣-الهجرة

يرتبط مفهوم الهجرة تاريخياً بما فعله النبي محمدﷺ إبان دعوته، حيث هاجر من مكة الى المدينة بعدما ضيقت قريش عليه حركته، ومنعته من نشر الدعوة.

ومنذ الهجرة اصبحت المدينة دار اسلام، فيما مكة دار شرك وكفر. من هنا يكتسب مفهوم الهجرة طابعا قدسياً يشير الى مجموعة من الناس تركت دارها واملاكها في سبيل الاسلام والدين. لذلك يشترط الفقهاء المسلمون ان تكون نية الهجرة هي في سبيل اللّه.

اذن ترتبط الهجرة اساسا في تشخيص دار الكفر، فان ثبت ان الدار(الدولة) التي يسكنها هي دار كفر، وجبت الهجرة منها الى دار الاسلام.

ظهر هذا المفهوم واضحا في دعوات الحركات «الجهادية»، لا

سيما بعد قيام «داعش» باعلان خلافته واقامة «الدولة الاسلامية»، فحث اتباعه في الاقطار الاخرى «للهجرة» الى «الدولة الاسلامية». وعلى غرار التجربة النبوية ومحاولة استحضارها، فان التنظيمات هذه تقوم بتقسيم عناصرها داخل المدى الجغرافي الذي تسيطر عليه الى قسمين: مهاجرين وانصار. الاول هم من جاؤوا من بلادهم مهاجرين الى اراضي «الدولة الاسلامية»، والثاني هم المواطنون الذين ينتمون الى هذه الدولة بالاصل وهم من سكانها.

بهذا المعنى الحرفي، لا يبتعد مفهوم الهجرة عما هو متعارف عليه بالمعنى القانوني الحالي، لكنه بالمعني الديني يأخذ طابعا قدسيا لناحية ان المهاجر انما يهاجر من دار كفر الى دار اسلام. من هنا تصبح الدلالة في الهجرة ذات بعدين.

فتارة يحكم هؤلاء على دولة ما انها كافرة، عندها يوجبون الهجرة منها، وتارة لا يعلنون صراحة كفر الدولة، بل يدعون الى الهجرة منها، بهذا المعنى تصبح الدعوة الى الهجرة من دولة ما هو حكم مبطن بكفر الدولة.

والواقع، ان اولى الخلافات التي وقعت بعد وفاة النبي ﷺ حول الخلافة كان في تحديد الافضلية لخلافة النبي: أيكون من المهاجرين ام الانصار، وقد حاول كل طرف من الاطراف التي اجتمعت في دار تسمى «سقيفة بني ساعدة» في تقديم الحجج التي تدعم موقفه في الافضلية: المهاجرين في انهم من قبيلة النبي وانهم تركوا دورهم واموالهم في سبيل الدعوة وبالتالي فهم الأحق بخلافته، والانصار

الذين قالوا انهم اصحاب البلد الذي استقبل النبي ودعوته، واقاموه عندهم وفي بيوتهم، ووضعوا كل ما يملكون في سبيل الدعوة، بما فيها استضافة المهاجرين انفسهم.

ويبدو أن هذا النوع من الخلاف والمحاججة قد انتقل الى الحركات المسماة «جهادية»، حيث نشهد احيانا خلافات بين العراقيين والسوريين الذي ينتمون الى «داعش» بوصفهم انصار واصحاب الارض، وبين باقي الجنسيات الوافدة بوصفهم مهاجرين. الا انه من الواضح ان الغلبة دائما «للانصار»، بعكس ما حصل في «سقيفة بني ساعدة»، حيث يحتلون معظم المراكز القيادية داخل تنظيم «الدولة الاسلامية».

٤-الجاهلية

يشير مصطلح الجاهلية الى المرحلة السابقة للبعثة النبوية، فهو من هذه الناحية تكتنفه دلالة دينية، أكثر منه دلالة اجتماعية. ما دفع بعض الباحثين لإعتبار مصطلح الجاهلية «مصطلح ديني» له غاية محددة حين ظهر الإسلام، وهي الحث على التخلص من كل نقيصة كانت ما قبل الإسلام، وحثهم على الأخذ بما جاء به الإسلام، فيما يعمد آخرون إلى النأي عن استخدام مصطلح «الجاهلية» لأنه في تصورهم مصطلح مضلل، ويؤثر استبداله بمصطلح آخر هو مرحلة ما قبل الإسلام.

وتشتمل كلمة «الجاهلية» على دلالات متعددة، فهي مرة تدل على

الجهل الذي هو ضد العلم، ومن الجهل بالقراءة والكتابة، وفهمها آخرون أنها من الجهل باللّه وبرسوله وبشرائع الدين وباتباع الوثنية والتعبد لغير اللّه، وذهب آخرون إلى أنها من المفاخرة بالأنساب والتباهي بالأحساب والكبر والتجبر.

والجهل في اللغة نقيض العلم، فالجهالة أنَّ تفعل فعلاً بغير العلم. والمعروف في كلام العرب جهلت الشيء إذا لم تعرفه، غير أنَّ هذه الكلمة تتضمن دلالات أخرى، فهي قد تدل وقد أكد ابن منظور في كتابه لسان العرب أنَّ الجاهلية «زمن الفترة ولا إسلام... وهي الحال التي كان عليها العرب قبل الإسلام من الجهل باللّه سبحانه ورسوله وشرائع الدين والمفاخرة بالأنساب والكبر والتجبر وغير ذلك.

وعلى أي حال فان جميع مظاهر العنف والوحشية والتعسف والزهو والتبجح التي كانت سائدة قبل الاسلام، يمكن أن يشملها المصطلح، بل ربما هي اشهر الدلالات لصاقة بمصطلح «الجاهلي».
نعم أخذ هذا المصطلح عند التيارات السلفية دلالة للاشارة الى العادات والسلوكيات الشركية، التي كان يمارسها المشركون قبل الاسلام.

وبالمحصلة يشير المصطلح إلى الحالة التي لا يلتزم بها الناس بدين، أي أن هذا المصطلح ليس خاصاً بالعرب بل يشمل جميع الشعوب التي لا تتبع إي دين في حياتها.

٥- الخلافة

ينقل السلفيون أن حديثا عن النبي محمدﷺ يقول فيه: «تكون النبوة فيكم ما شاء اللّه أن تكون، ثم يرفعها اللّه إذا شاء أن يرفعها، ثم تكون خلافة على منهاج النبوة فتكون ما شاء اللّه أن تكون، ثم يرفعها اللّه إذا شاء أن يرفعها، ثم تكون ملكًا عاضًا فيكون ما شاء اللّه أن يكون، ثم يرفعها إذا شاء اللّه أن يرفعها، ثم تكون ملكًا جبرية فتكون ما شاء اللّه أن تكون، ثم يرفعها اللّه إذا شاء أن يرفعها، ثم تكون خلافة على منهاج النبوة»[1].

بهذا الحديث المنسوب للنبي يركز السلفيون اهتمامهم على اقامة الخلافة. والمقصود من الخلافة هي اقامة الدولة الاسلامية التي يحكم فيها الشرع وفق الدين الاسلامي، وتكون امتدادا للدولة النبوية. وقد سميت بالخلافة لان رأس السلطة فيها يسمى خليفة للنبي على المسلمين.

تاريخياً كان إلغاء الخلافة العثمانية عام ١٩٢٤ أحد أهم العوامل التي أضعفت تيار الاصلاح الديني الذي وضع الإمام محمد عبده، تبعا لأستاذه جمال الدين الافغاني، أسسه في أواخر القرن التاسع عشر وحتى رحيله عام ١٩٠٥، فقد أحدث إلغاء الخلافة هزة عميقة، أدت للميل الي الجمود والمحافظة على القديم خوفا من التجديد، في لحظة بدا الإسلام فيها مهددا، من جراء حركات التغريب التي اقترنت بغزو غربي.

---

(١) ابن حنبل، احمد بن محمد، مسند احمد، بيروت، مؤسسة الرسالة، ط١، ٢٠٠١م، ج٣٠، ص٣٥٥ (مسند الكوفيين حديث رقم ١٨٤٠٦).

لقد ظلت الخلافة مسألة مركزية في العقل الإسلامي الأصولي، باتجاهاته المتباينة، بغض النظر عن حجم الاهتمام العام بها. فباستثناء أدبيات حزب التحرير الإسلامي، الذي ظهر في الأردن عام ١٩٥٠، يصعب على الباحث العثور على كلمة خلافة في الخطابات السياسية والإعلامية للحركات الإسلامية، رغم صعوبة الفصل، من حيث التوقيت، بين الغاء الخلافة عام ١٩٢٤ وولادة جماعة الاخوان عام ١٩٢٨.

ومهما يكن من أمر فقد قامت الخلافة، أصلا، على فلسفة تقضي بضرورة أن يكون هناك من يقوم على حفظ الدين وسياسة الدنيا به، فكان الخليفة يمثل رمزياً موقع النبي، وإن لم يحمل صلاحياته.

وعلى أي حال، فإن بعض التيارات السلفية بدأت تدخل العملية الديمقراطية، بعد أن ظلت لعقود طويلة رافضة له انطلاقا من أسس دينية وأيديولوجية؛ وذلك لأن حكم الشعب قد يعني، من وجهة نظرهم، فكرة مناوئة لحكم الله على الأرض.

إن المدقق في تاريخ الفكر السلفي المعاصر، يستطيع بكل سهولة أن يستخلص أنها حركة بدأت نشأتها في منتصف القرن التاسع عشر كظاهرة إصلاحية، تطمح إلى تحديث بعض المفاهيم الإسلامية بما يواجه تحديات تلك الفترة، والدعوة إلى بناء مجتمع إسلامي مثالي. ومع تطور المشهد السياسي العالمي في بدايات القرن العشرين، وظهور حركات علمانية تدعو إلى حذو المنهج الغربي في بناء الدولة، والتي كانت من أهم الأسباب التي أدت إلى سقوط الخلافة،

زادت حدة الصراع بين هذه التيارات العلمانية والحركات السلفية، إلى أن تحولت هذه إلى نطاق أكثر ضيقا في بعض الأحيان، تلجأ فيه إلى تفسيرات تقليدية لمفهوم الدولة والخلافة، بعيدا عن المفاهيم المستحدثة في بناء الدولة المعاصرة.

وفي فترة بزوغ «الإسلام السياسي» خلال السبعينيات، نجد أن هذه التيارات قد اندمج بعضها ببعض -حتى مع الحركات الوهابية- وتم الخلط بينها في كثير من الأحيان، وأصبحت من ذلك الوقت تتحرك سريعا وبقوة داخل الأنسجة المجتمعية المختلفة. لكن «الثورات العربية» ودخول هذه التيارات في ساحة السياسة أظهرا الخلافات الجوهرية بينها.

ومهما اختلف جوهر هذه الأطروحات لدى هذه الجماعات لمفهوم الدولة، فكل منها يشير إلى نموذج تاريخي معين، قديما كان أو حديثا، وإلى ما يراها قيما إسلامية قد اندثرت. فنجد منها من يشير إلى دولة المدينة النبوية الأولى وعصور الخلافة الرشيدة كفكرة تعيد الحنين للعصر الإسلامي الذهبي الأول.

يمكن ملاحظة أن مسألة الخلافة تكاد تكون خافتة في أدبيات الإسلام السياسي، خاصة الإخوانية منها، قبل ما سمي «بالربيع العربي»، كما نجد أن خطابات قادة الإخوان، على وجه التحديد في سنوات ما قبل الثورات، تمثل أطروحات حزبية، بعيدا عن النظرة الشمولية التي انتهجتها الجماعة في بداية حياتها السياسية على الأقل، منخرطة أكثر في طرح مبادرات إصلاح سياسي، وما إن

اشتعل فتيل «الثورة»، وجاءت الانتخابات في تونس ومصر، على وجه التحديد، بمشاركة إسلامية سياسية غالبة، حتى بدأ النقاش عن الخلافة يأخذ حيزا من الاهتمام لدي هذه الأوساط المعنية بالشأن الإسلامي. وتفجرت مع هذه المناقشات جدليات حامية، في بعض الأحيان، بين الحركات الإسلامية، والأطياف العلمانية والليبرالية، التي ترفض شكل الدولة الدينية شكلا ومضمونا، وأن مسألة استرجاع وإعادة الخلافة ما هي إلا ضرب من الوهم أو الخيال. ففي تونس، أثار حديث الأمين العام لحركة النهضة، حمادي الجبالي، عن الخلافة، قائلا: إن أمام التونسيين لحظة تاريخية لإقامة الخلافة السادسة الراشدة، أثار حفيظة العلمانيين الذين يؤمنون بأن قيم الحداثة تتهدد بظهور مثل هذه الأطروحات.

أما الخط «الجهادي»، وهو الخط الذي اختار الصدام مع السلطة في العقود الماضية، فقد خفت صوته أثناء الثورات العربية، لكنه ما لبث أن فاجئ العالم بإعلان اقامة الخلافة على ارض العراق وسوريا من خلال تنظيم «الدولة الاسلامية».

٦-الحاكمية

تعتبر الحاكمية من المفاهيم المتداولة في الفكر الإسلامي المعاصر، وقد أثارت جدلاً معرفياً، كما شكل هذا المفهوم، محوراً للممارسات الدعوية، واتخذ أصلاً للتنظيرات الفكرية، ومرتكزاً لبناء النظريات السياسية الإسلامية في أنظمة الحكم.

وقد اختلف المفكرون الإسلاميون المعاصرون حول تحديد هذا المفهوم وتأصيله، لما يواجهه من أزمة وما يكتنفه من غموض على مستوى النشأة والتنظير، فضلاً عن النتائج العلمية والعملية التي رتبت على أساسه. وعلى هذا الأساس كانت التنظيرات الفكرية لهذا المفهوم متباينة انطلاقاً من الظروف الفكرية والملابسات الواقعية التي عاشها كل مفكر، وبقي هذا المفهوم، بدلالاته ومعانيه التي استقرت، أساساً للتحرك ومرجعاً للفكر ومستنداً لكثير من التفسيرات المختلفة.

الحاكمية بحسب اللغة ترجع لدلالته اللغوية والمعاني التي يحملها جذره اللغوي (ح.ك.م).

والحكم في اللغة يأتي بعدة معاني وهي:

١ ـ القضاء:

٢ـ المنع

٣ـ الرد والرجوع.

٤ ـ الفصل في المنازعات.

٥ ـ المُحاكمة: المخاصمة إلى الحاكم، واحْتَكَمُوا إلى الحاكم وتحاكموا بمعنى واحد.

٦ ـ الإتقان: فيقال أَحْكَمَهُ أي أتقنه.

٧ـ التفويض: حَكَّمتُ الرجل، بالتشديد، فوضت الحكم إليه.

٨- الفعل حسب المراد: تقول تَحَكَّم فلان في كذا إذا فعل ما رآه.

٩- الحِكمة: (بالكسر) بمعنى الحكم وهو العلم والفقه والقضاء بالعدل، وهي العلم بحقائق الأشياء على ما هي عليه والعمل بمقتضاها.

اما المصطلح بحسب دلالته الدينية فقد ورد لفظ الحُكم في القرآن بمعنى القضاء والفصل في المظالم والخصومات، وهو ما يقتضيه ويتضمنه معنى الحاكمية. كما ان المفهوم ورد بمعنى التحليل والتحريم، وهذا ايضا من المعاني الهامة في الاسلام السياسي لانه يرتبط بالقوانين والانظمة التي ترفضها الجماعات السلفية بسبب مرجع تشريعها.

والخلاصة الاساسية ان الحاكم هو الذي يفصل ويقضي في المظالم والخصومات وهو الذي يشرع.

لا شك أن للحاكمية أبعاداً عقدية يدركها أدنى متأمل في النصوص الشرعية التي تحدثت عن أوصاف الألوهية، وهذه المعاني تندرج تحت ما يسمى بالحاكمية الإلهية، وهذا هو مراد العلماء عند قولهم: إن الحاكم هو اللّه تعالى، وهذا عندما يتحدثون عن الحاكم في الفقه الإسلامي.

كما أن للحاكمية بعداً عقدياً فإن لها أيضاً بعداً سياسياً، ولكن لا ينبغي اقحام مصطلح الحاكمية الإلهية بتعلقاتها العقدية في قضايا

السياسة والقانون، وإلا أضفي على النظرية السياسية لبوساً عقدياً، وتحول الحديث من الفقه السياسي المعدود ضمن الفقهيات وفروع الشريعة إلى الحديث عن الفقه السياسي العقدي، وقد أكد العلماء المتقدمون على كون الإمامة والسياسة من فروع الشريعة لا من أصولها.

فقضايا الإمامة والسياسة والدولة وأجهزتها وسلطاتها ومؤسساتها من فروع الدين لا من أصوله، وعلى هذا الأساس لا ينبغي سحب مفهوم الحاكمية الإلهية بدائرتها العقدية إلى الدائرة السياسية، ولكن ينبغي تكييف هذا المصطلح تكييفاً سياسياً وقانونياً يجعله ينسجم مع طبيعة البحث الفقهي السياسي.

والحقيقة أن إدخال الحاكمية ضمن المفاهيم العقدية الخالصة، والمصطلحات التوحيدية، له خطره في تطبيقاته على مستوى الواقع، لأن ارتباط الحاكمية بقضايا أصول الدين يجعل الأحكام التي تخرّج عليه لها تعلق بالكفر والإيمان، لكن الأمر يختلف عند إبقاء هذا المفهوم ضمن المفاهيم الفقهية والسياسية، مع الإقرار بالأبعاد العقدية التي يحملها هذا المفهوم.

٧-الولاء والبراء

يعتبر مفهوم «الولاء والبراء» أحد أبرز المعتقدات الدينية للجماعات الجهادية، وهو مفهوم، وفق تفسير هذه الجماعات له، يؤدي حتما الى «التكفير»، خاصة مع تقديم المفهوم على الشكل

التالي: إن كل تعامل مع غير المسلم يمثل شكلاً من أشكال المداهنة والتنازلات في دين اللّه بدعاوى سماحة الإسلام»!!

ومن هنا برزت دعوات تلك التيارات على ضرورة:«جهر الفرد بمعاداة أعداء اللّه وإظهار بغضهم ومنابذتهم بالسنان واللسان والجنان ما استطاع إلى ذلك سبيلاً، وعدم التعاون معهم، ولا المشاركة بأعيادهم».

ومهما يكن من أمر فالولاء لغة: المحبة، والنصرة، والاتباع، والقرب من الشيء، والدنو منه، أو اتخاذ مولى.

أما البراء لغة فهو: البعد، والتنزه، والتخلص، والعداوة.

وفيما يتعلق بالتعريف الشرعي له فهو: النصرة والمحبة والإكرام والاحترام لأهل الإيمان والعقيدة، أما البراء فهو البعد والخلاص والعداوة بعد الإعذار والإنذار لأهل الكفر والشرك والمشركين.

اعتبر الكثير من أهل العلم أن الولاء والبراء شرط في الإيمان. فابن تيمية مثلا اعتبر أن الإيمان ينفي اتخاذ الكفار أولياء ويضاده، وانه لا يجتمع الإيمان واتخاذهم أولياء في القلب.

كما أوضح ابن القيم الجوزية أن تحقيق شهادة أن لا إله إلا اللّه يقتضي أن لا يحب المرء إلا للّه، ولا يبغض إلا للّه، ولا يوالي إلا للّه، ولا يعادي إلا للّه، وأن يحبّ ما أحبّه اللّه، ويبغض ما أبغضه اللّه. ويقول: «الحمد والذم والحب والبغض والموالاة والمعاداة فإنما تكون بالأشياء التي أنزل اللّه بها سلطانه، وسلطانه كتابه».

لكن العديد من التيارات الدينية المتشددة أساءت فهم عقيدة الولاء والبراء، حيث بات النقصان فيها تفريطًا، والزيادة فيها غلوًا مذمومًا، ومن مظاهر الغلو في الولاء والبراء في الحياة المعاصرة:

- الغلو في مفهوم الجماعة.
- الغلو في التعصب للجماعة.
- الغلو بجعل الجماعة مصدر الحق.
- الغلو في القائد.
- الغلو في البراءة من المجتمعات المسلمة.

وعلى أي حال فقد قسمت عدد من التيارات السلفية الأفراد بحسب عقيدة والولاء والبراء إلى ثلاثة أقسام:

- القسم الأول: من يحبّ محبّةً خالصة لا معاداة معها: وهم المؤمنون الخلّص من الأنبياء والصديقين والشهداء والصالحين.
- القسم الثاني: من يبغض ويعادى بغضاً ومعاداة خالصين لا محبّة ولا موالاة معهما: وهم الكفار الخلّص من الكفار والمشركين والمنافقين والمرتدين والملحدين.
- القسم الثالث: من يحبّ من وجهٍ ويبغض من وجه، فيجتمع فيه المحبّة والعداوة.

كما أوضحنا سابقاً أن الولاء هو الدنو والقرب من أهل الأيمان،

لكن الكثير من الجماعات الدينية المتشددة، أثارت بتعميماتها الكثيرة جملة من الشبهات حول عقيدة الولاء والبراء.

ومهما يكن من أمر، فيعتبر مبدأ الولاء والبراء أحد أبرز المرتكزات الأدبية للتنظيمات الجهادية. إذ يقوم تنظيم الجهاد على مبدأين أساسيين هما «الحاكمية» و«الولاء والبراء»، والذي من خلالهما حمل تنظيم الجهاد السلاح ضد كل من الحكومات القائمة في بلاد العالم الإسلامي، أو ضد الأعداء الخارجيين.

من كل ذلك يبدو أن عقيدة الولاء والبراء مبدا أساسي من أدبيات السلفية الجهادية، التي اعتمدت عليها في جهاد الأنظمة وحمل السلاح ضدهم.

وعلى أي حال، يمكن التعرف على عقيدة «الولاء والبراء» وفقاً لفكر تنظيم القاعدة، من خلال كتاب زعيم التنظيم أيمن الظواهري والذي جاء بعنوان: «الولاء والبراء عقيدة منقولة وواقع مفقود».

٨- الجهاد

الجهاد لغة هو: بذل واستفراغ ما في الوسع والطاقة من قول أو فعل. وقيل: «الجهاد أصله لغةً: المشقة، وشرعاً: بذل الجهد في قتال الكفار، ويطلق أيضاً على مجاهدة النفس والشيطان والفساق.

أما تعريف الجهاد بحسن الاصطلاح الشرعي، تحديدا عند أهل السنة فإنه يدور عند أغلب فقهائهم من أهل المذاهب على قتال المسلم الكافر بعد دعوته إلى الإسلام أو الجزية وإبائه. وهو:

بذل الجهد من المسلمين في قتال الكفار المعاندين المحاربين، والمرتدين، والبغاة ونحوهم؛ لإعلاء كلمة اللّه تعالى.

ولابن تيمية تعريف عام للجهاد، قال فيه: «والجهاد هو بذل الوسع والقدرة في حصول محبوب الحق، ودفع مايكرهه)، وقال أيضًا: (... وذلك لأن الجهاد حقيقة الاجتهاد في حصول ما يحبه من الإيمان، والعمل الصالح، ومن دفع ما يبغضه اللّه من الكفر والفسوق والعصيان)

وللجهاد أربع مراتب:

- المرتبة الأولى: جهاد النفس.
- المرتبة الثانية: جهاد الشيطان.
- المرتبة الثالثة: جهاد الكفار. وقد قسم جهاد الكفار والمنافقين إلى أربع مراتب، أولاها: بالقلب، وثانيتها: باللسان، وثالثتها: بالمال، ورابعتها: بالنفس.
- المرتبة الرابعة: جهاد أهل البدع والمنكرات. وهو ثلاث مراتب:

الأولى: باليد إذا قدر.

الثانية: باللسان إذا عجز عن اليد.

الثالثة: بالقلب إذا عجز عن اللسان

والجهاد إما جهاد فتح وطلب وهو «جهاد ابتدائي هجومي وهدفه

إزالة العقبات التي تحول بين الناس وبين دعوة الإسلام، وإما جهاد دفع وهو جهاد دفاعي وقد يطلق عليه اسم دفع الصائل وسيأتي الحديث عنه[١].

٩-دفع الصائل

الصائل هو المعتدي على نفس الغير أو عرضه أو ماله، فيجوز للمعتدى عليه أو المصول عليه ضرورة ردُّ هذا الاعتداء؛ حتى ولو أدى ذلك إلى قتل الصائل. ويسميه الفقهاء بالدفاع الشرعي الخاص.

ومسألة دفع الصائل وجواز قتله إذا لم يندفع شره إلا بالقتل: محل إجماع بين الفقهاء.

وكما يشمل الدفاع الشرعي الدفاعَ عن النفس، يشمل كذلك الدفاعَ عن الغير.

ولما قد يكون الدفاع باكثر من صورة كالدفاع عن النفس أو العِرض أو المال؛ اختلف حكم دفع الصائل باختلاف المدافَع عنه.

ويشترطون لدفع الصائل ما يلي:

١ - أن يكون ثمة اعتداء: بمعنى أن يحصل الفعل بغير حق، فإذا كان بحق كقتل مستحقِّ القصاص، أو أخذ المال من المدين الممتنع، فهذا لا يعتبَر اعتداءً؛ وإنما هو استعمال لحق.

---

(١) http://www.alukah.net/sharia/0/801/#ixzz3Yb0hu6AT

٢ ـ أن يكون الاعتداء حالاً: فإذا كان مهدداً بشيء في المستقبل فلا يجوز الدفاع؛ لأنه لا دفاع قبل الاعتداء ولا دفاع بعد الانصراف منه، ولا يُفهَم من هذا أن ينتظر المعتدى عليه حتى يصيبَه الصائل بالفعل، بل من حقه أن يسرع إلى رد الاعتداء المتوقع إذا علم أو غلب على ظنه أنه لا يخطئه، وقد عبر الفقهاء عن هذا بوضوح فاعتبروا أن مجرد إشهار السلاح من الصائل كاف لقتله، ما دام السلاح الذي شهره يستعمل في القتل عادة.

٣ ـ أن يقدِّم المعتدى عليه بيّنةً تثبت وقوع الاعتداء عليه: لأن مجرد الادِّعاء لا يعفيه من المسؤولية، وإلا استبيحت أموال الناس وأبدانهم بدعوى الاعتداء، فإذا لم تقم له بينة إلا مقالته ودعواه فهو ضامن؛ لأنه لا يؤخذ بدعواه على غيره].

٤ ـ أن يرد الاعتداء بالقوة اللازمة لـردِّه: وذلك بتقديم الأخف فالأخف والأيسر فالأيسر؛ فلا يعدل إلى القتل مع إمكان الدفع بدونه.

وعلى أي حال، اتّفقُ الفُقهاءِ على تسميةِ دفعِ الصَّائلِ الكافرِ جهادًا، وهو المسمى عندهم بجهاد الدفع.[1]

١٠-قتال النكاية وقتال التمكين

من حيث ثمرات الجهاد وآثاره ونتائجه فهو ينقسم إلى ما كان من جنس قتال النكاية وما كان مندرجاً تحت قتال التمكين.

---

(١) https://www.tawhed.ws/r?i=k8yyn35u

فالقتال الذي يكون الهدف منه التنكيل، ولا تتعدى ثمراته النكاية في الأعداء وإغاظتهم والنيل منهم وإرهابهم، أو كف أذاهم عن بعض المسلمين أو استنقاذ بعض المستضعفين أو فك الأسارى، فهو حتى وإن لم يؤدي عاجلاً إلى تمكين للمسلمين، يسمى قتال النكاية.

وهذا النوع من القتال هو الغالب اليوم في معظم المناطق التي يقاتل فيها هؤلاء، باستثناء المناطق التي أعلن تنظيم «الدولةالاسلامية» دولته.

إلا أن هناك نوعاً آخر من أنواع القتال، ألا وهو قتال التمكين أو التحرير كما هو في مصطلحات العصر، إلا أن ثمراته لا تنحصر في النكاية أو تحرير بعض الناس ونحوه، كما هو شأن النوع الأول، بل من أهم ثمراته هو التمكين في الأرض.

وهذا النوع من القتال، أعني القتال لأجل التمكين في الأرض أو تحرير بعض بلادهم، يحتاج إلى إمكانات وشروط مختلفة عن قتال النكاية[1].

١١-التترس

ثمة مسألة طرحها الفقهاء المسلمون كثيراً، وناقشوها وفصَّلوا أحوالها في كتبهم، تبعاً لوقوعها في أزمانهم. وهي القضية التي تعرف بالتترس.

---

(١) https://www.tawhed.ws/pr?i=2382

فأصل المصطلح مأخوذ من «الترس»، وهو الآلة الحربية المعروفة التي يقي بها المقاتل نفسه من الرمي والطعن، وهو من عدة الحرب.

«فالكافر» قد يتخذ من بيده من المسلمين وغيرهم «تُرساً»، يردون بهم هجوم المسلمين عليهم ويتقونهم به، فيجعلونهم في مواضع وأماكن لا يمكن لجيش المسلمين الوصول إليهم، والنيل منهم، إلا بقتل وإصابة من بأيديهم من الأسرى، فيكون ذلك مانعاً للجيوش الإسلامية من الإقدام، ورادعاً لهم عن الهجوم والرمي.

إذاً فهذه الصورة واردة، وغالباً ما أثارها الفقهاء إما لوقوعها أو قوة توقعها.

وعلى كل حال فتتبع الصور التي ذكرها العلماء لمسألة التترس، يظهر أن لها حالتين:

- الحالة الأولى؛ حالة اضطرارية وهي التي يُتخذ فيها الأُسارى المسلمون أو مَن حرُمت دماؤهم من الكافرين ترساً؛ بحيث يكون هؤلاء الأسارى مجبرين على ذلك ولا اختيار لهم في البقاء بين أظهر الكافرين، ولا حيلة لهم في اتقاء رمي المسلمين، فالذين يأسرونهم يتعمدون وضعهم في مكان ما، بغية رد هجمات المسلمين عن أنفسهم واتقائهم ذلك بأسراهم.
- الحالة الثانية؛ أن يكون ضمن حصن من حصون الكافرين أو قلعة من قلاعهم بعض المسلمين من التجار أو من أسلم ولم يهاجر أو غيرهم؛ بحيث يكون وجودهم في ذلك الموطن

وبقاؤهم فيه؛ اختيارياً، بمعنى أن «الكفار» لم يقصدوا اتخاذ من هو بينهم من المسلمين ترساً يتقون به هجمات وضربات جيوش المسلمين، وإنما وقع وجود التجار المسلمين ونحوهم بين الكافرين اتفاقاً، إلا أن رمي «الكفار» بما يعم يؤدي قطعاً أو بغلبة الظن؛ إلى إصابة أو قتل من يوجد بينهم من المسلمين.

وهذه الصورة أكثر وقوعاً في جهاد الطلب أي جهاد الفتح وليس جهاد الدفع.

فعلاقة الحالة الأولى بأصل التسمية - «الترس» - ألصق وأوثق وأوضح من الحالة الثانية.

وأما في الحالة الثانية؛ فوجه التسمية أن المقاتلين حينما يعلمون بوجود مسلمين في حصون وقلاع ومراكز «الكافرين» فإن ذلك يدفعهم عادة إلى التوقف عن الرمي بما يعم الكافرين وغيرهم، فبهذا الاعتبار كأن المسلم المقيم وَقَى الكافر من الهجمات، وإن لم يقصد ذلك، فصاروا في حكم الترس لهم.

وعلى أي حال فالحكم في موضوع التترس هو أن قتل المسلمين المتترس بهم لا يجوز إلا بشرط أن يُخاف على المسلمين الآخرين الضرر بترك قتال الكفار، فإذا لم يحصل ضرر بترك قتال الكفار في حال التترس بقي حكم قتل المتترَّس بهم على الأصل وهو التحريم. فجوازه - إذاً- لأجل الضرورة، وليس بإطلاق[1].

---

(١) https://www.tawhed.ws/r1?i=5472&x=vjs5vkiw .

لكن الحركات «الجهادية» الحالية توسعت في مفهوم التترس؛ بحيث أباح ضرب «العدو» في مناطق سكنية مأهولة من المسلمين، حتى لو أدى ذلك الى قتل المسلمين، وهؤلاء المتترس بهم يعتبرون شهداء عندهم.

١٢-الردة

الردة: لغة الرجوع في الطريق الذي جاء منه. اما اصطلاحا فهي: رجوع المسلم البالغ العاقل عن الإسلام إلى غيره باختياره دون إكراه من أحد. وقيل انه لا يعتبر المسلم مرتدا حتى يشرح صدره للكفر ويطمئن قلبه به، ويدخل فيه بالفعل.

ويمكن تصور أكثر من صورة للردة وهي:

١ـ الردة عن الدين: بأن يغير دينه. فالردة مقصورة على المسلمين أي يترك المسلم دين الإسلام ويخرج عليه بعد اعتناقه. اما انتقال غير المسلم من دين لآخر فلا يعتبر ردة.

٢ـ الردة بالإنكار لوجود اللّه تعالى: أي الانكار لوجود اللّه وأن لم يعتنق صاحب هذه الفكرة أي دين آخر. بمعنى أن المنكر انكر وهي مسلم ولم يعلن خروجه الى دين آخر. فان نفس انكار وجود اللّه هو ردة.

٣ـ الردة بالإنكار لمصدر من مصادر التشريع كالسنة النبوية المطهرة: والسنة ثلاثة أنواع قولية وفعلية وتقريرية.

٤ـ الردة بالسخرية والاستهزاء والسب للّه أو الرسول أو الدين.

وأما أحكام المرتد فإنها عندهم أن المرتد يستتاب، وتقدم له الأدلة والبراهين التي تعيد الإيمان إلى القلب فإن رجع وأقر بالشهادتين وبرئ من كل دين إلا دين الإسلام قبلت توبته وإلا يقيمون عليه الحد.

ومن الأحكام التي تترتب على الردة:

- القتل: فان احد احكام الارتداد هو القتل.
- إنهاء العلاقة الزوجية: فإذا ارتد الزوج أو الزوجة انقطعت علاقة كل منها بالآخر.

١٣-الشورى

إن لمفهوم الشورى عدة تعريفات وكلها تجتمع في أنها «استخراج الآراء ووجهات النظر».

في اللغة: الشورى والمشورة والمشاورة بمعنى واحد وهي مصادر للفعل شاور. فتقول: شاورته في الآمر، أي طلبت رأيه، واستخرجت ما عنده وأظهرته.

والشورى في الاصطلاح السياسي الفقهي:هي «استطلاع الرأي من ذوي الخبرة فيه للتوصل إلي اقرب الأمور للحق». ولكن هذا التعريف يصدق على نوعية خاصة من الشورى هي (الشورى الفنية)

الخاصة باستشارة أهل الرأي والخبرة في المسائل الفنية. ولكن الشورى كنظام للحكم أعم من هذا التعريف.

وخلاصة القول عندهم أن الشورى هي: استظهار رأي الأمة أو من يمثلها في أمور المصالح العامة وإشراكهم في صنع القرار المتعلق بتلك الأمور في ضوء أحكام الشريعة الإسلامية.

وعلى أي حال فان ثمة أمور مما يجب أو يجوز أو لا يجوز أن تكون محلاً للشورى، ومجالها قسمان: قسم عام، وقسم خاص.

فأما القسم الخاص: فهو متعلق بطالب المشورة، فقد يشاور في بيع أو في شراء أو علاج أو سكن أو غير ذلك من الأمور.

وأما القسم العام: فهناك أكثر من قول. منها: أنها في أمور الحرب، ومنها أنها في أمور الدنيا، ومنها أنها في كل أمر ليس فيه نص قاطع. والأكثر من العلماء يذهبون الى أن الشورى تغطي تلك المجالات كلها مما لم يأت فيها نص شرعي(اي نص من النبي)، وأما الأمور التي وردت فيها نصوص شرعية؛ فلا تكون الشورى فيها إلا بمعنى بيان المقصود من تلك النصوص والوصول إلى الفهم الصحيح لها. ولا يمكن بحال في ظل حكم الشرع أن يتم تجاوز النصوص والاعتماد على الشورى المجردة.

ومهما يكن من أمر، فإن تعدد الآراء في الشورى، كما يقولون، هو من طبيعة الشورى؛ إذ لولا ذلك لم تكن هناك حاجة إليها، ولم يكن لها فائدة ترجى منها؛ إذ فائدتها تظهر من استخراج ما عند المستشارين من آراء وأفكار وتصورات.

١٤-البيعة

لا يخفى على المشتغلين بالحركات الإسلامية عموماً، والجهادية خصوصا أهمية البيعة. فقد شكلت مباحث البيعة قديماً وحديثاً أحد الأركان الأساسية للفقه السياسي الإسلامي والفرق والمذاهب الإسلامية، وتعتبر البيعة في الوقت الحاضر إحدى المسائل التي هيمنت على حركات الإصلاح منذ سقوط الخلافة العثمانية عام ١٩٢٤، الأمر الذي أدى إلى انفراط عقد الدولة الإسلامية التي هيمنت على مجمل العالم العربي والإسلامي لعدة قرون.

يعتبر الفقهاء البيعة عقد مراضاة لا يدخله إجبار ولا إكراه، ينشأ في الجماعة المسلمة بين الأمة من جهة والحاكم أو الخليفة من جهة أخرى، ومع انهيار الخلافة وتشكل جماعات وحركات إسلامية متعددة، أثناء الحقبة الاستعمارية التي سيطرت على معظم البلدان العربية في المشرق والمغرب، عملت هذه القوى على تأسيس نظم سياسية تابعة لها سياسياً واقتصادياً وثقافياً، إلا أنه سرعان ما سيطرت الأنظمة الانقلابية العسكرية على كثير من الأقطار في العالم العربي، بحيث أصبحت المنطقة خاضعة لعمليات استقطاب دولي بعد انتهاء الحرب العالمية الثانية وبروز المنظومة الغربية الرأسمالية بزعامة الولايات المتحدة الأمريكية. وفي هذه الحقبة التي امتدت حتى بداية التسعينات، برزت حركات إسلامية سياسية كالإخوان المسلمين في مصر وفروعها المختلفة في العالمين العربي والإسلامي، وحزب التحرير في الاردن والسلفية الوطنية في المغرب، ثم السلفية

الجهادية التي بدأت في مصر مع بداية سبعينات القرن الماضي، ثم انتشرت في أقطار عربية مختلفة، والتي توجت بتأسيس تنظيم القاعدة عام ١٩٨٨ ونشوء فروع تابعة له في أقاليم مختلفة. وكانت البيعة إحدى المسائل المطروحة بقوة في التأسيس النظري لجميع هذه الحركات.

وعلى أي حال فالبيعة: هي إعطاء العهد من المبايع على السمع والطاعة.

هذا وتنقسم إجراءات البيعة إلى مستويين متتابعين متلازمين:

١- بيعة الانعقاد: وبموجبها ينعقد للشخص المبايع السلطان، ويكون له بها الولاية الكبرى دون غيره، حسما للخلاف حول من يتولى أمر المسلمين. وهذه البيعة هي التي يقوم بها أهل الحل والعقد.

٢- البيعة العامة أو بيعة الطاعة: وهي بيعة شعبية عامة للكافة من الأمة، أي بيعة سائر المسلمين للخليفة.

وأخيرا فإن الذي يأخذ البيعة من المسلمين هو الإمام في عاصمة الخلافة الإسلامية، وفي الأمصار المختلفة؛ فقد يأخذها الإمام أو من ينيبه عنه من العمال.

وباختلاف أنواع البيعة يختلف أيضا حكم نكثها من جهة الطرف الذي نكث، هل هو الحاكم، أم المحكوم، ومن جهة نوع البيعة التي نكثت:

١ـ فالحكم عندهم على من نكث البيعة على الإسلام الكفر، والارتداد، وإن اختلفوا في عقوبته بحسب حاله وحال الأمة.

٢ـ وحكم من نكث البيعة على النصرة أو الجهاد أو السمع والطاعة دون أن يصدر عنه ما ينافي أصل الإيمان فهو عاص مرتكب لكبيرة من الكبائر؛ لأنها نقض عهد، ولكنها تختلف حرمتها باختلاف موضوعها فأشدها حرمة نكث بيعة الإمام الشرعي على السمع والطاعة في غير معصية دون مبرر شرعي، وأما البيعة على النصرة والجهاد فهي تأتي في ظروف استثنائية؛ فلذلك نكثها أخف من نكث بيعة الإمام.

وعلى أي حال فمن المعروف أن تنظيم القاعدة تشكل من فصيلين أساسيين من فصائل السلفية الجهادية العالمية، وهما تنظيم الجهاد المصري، والسلفية الجهادية السعودية، الا أن أدبيات الجهاد المصري كانت تمثل مرجعاً أساسياً لتنظيم القاعدة،لا سيما كتابات الشيخ عبد القادر عبد العزيز (السيد إمام) والشهير بالدكتور فضل، كأحد أهم الكتابات التي تصدت للشأن الجهادي والتأسيس السياسي، قبل أن ينسحب بسبب خلافات منهجية، وفي مقدمتها مسألة عولمة الجهاد، عن طريق تأسيس «الجبهة العالمية لقتال اليهود والصليبيين والأمريكان»، ولا تزال كتابات عبد القادر عبد العزيز تتمتع بأهمية استثنائية وخصوصاً كتاباه «العمدة في إعداد العدة» و«الجامع في

طلب العلم الشريف»، حيث يذهب فيهما إلى أن العالم اليوم يشهد غياب الحكم الإسلامي والخلافة.

فالجماعات السلفية لا تعترف بوجود ولي للأمر في العالم الإسلامي اليوم، ومن ثم فلا وجود لبيعة شرعية في أعماق الأمة، سواء كانوا من أهل الحل والعقد، أو من عامة المسلمين، وهي رؤية أسفرت عن القول ان العالم الإسلامي لا تتوافر فيه شروط «دار الإسلام» المذكورة في كتب الفقهاء، إذ تحولت ـ بحسب هذه الجماعات ـ إلى «دار كفر».

وعلى هذا الاساس فإن الحركات السلفية الجهادية لا ترى أن هناك إماماً شرعياً تجب طاعته في هذا الزمان، والواجب على الأمة أن توجد الجماعة التي تعمل على قتال هذه الأنظمة، وهذه الجماعة هي التي يجب بيعتها وطاعتها لا غير.

طبعا هذا حسب ادبيات القاعدة، أما تنظيم «الدولة الاسلامية» فخليفتهم البغدادي هو الامام المفترض الطاعة والتي تجب مبايعته.

ويمكن القول ان الفكر السياسي للحركات السلفية الجهادية، لا يفصل بين السياسي والديني، ويرى كفر الأنظمة القائمة حالياً وخلوها من حاكم يعمل على تطبيق الشريعة، ولا وجود لبيعة صحيحة في عنق الأمة؛ ولذلك فإن هذه الجماعات (من غير داعش) تعمل على إيجاد أمير تتوافر فيه شروط الخلافة والإمارة، إلا أن هذه الجماعات تفصل بين الخلافة الكبرى، وإمارة الجماعات والمعسكرات

المختلفة، حيث يتم تعيين أمير للمجموعة أو الجماعة بعد أن يكون قد أثبت ولاءه وصدقه للتنظيم، ولأهدافه ولمقاصده ولغاياته، وتكون بيعة المعسكرات بيعة من باب العهد وليس من قبيل الإمامة الكبرى استناداً إلى وجوب الإمارة في أي جماعة من المسلمين مهما صغرت.

وأخيرا فإن النص المشهور للبيعة هو: «أبايعك على السمع والطاعة في غير معصية، في المنشط والمكره والعسر واليسر وعدم المنازعة وتفويض الأمر إليك، ما دمت تحكم بحكم اللّه».

١٥-دار الحرب ودار السلم

عَرف الفقهاء دار الإسلام ودار الحرب بتعريفات وضوابط متعددة، يمكن تلخيصها فيما يلي:

- دار الإسلام هي: الدار التي تجري فيها الأحكام الإسلامية، وتحكم بسلطان المسلمين، وتكون المنعة والقوة فيها للمسلمين.
- دار الحرب هي: الدار التي تجري فيها أحكام الكفر، أو تعلوها أحكام الكفر، ولا يكون فيها السلطان والمنعة بيد المسلمين.

وتعتبر الدار دار كفر لظهور أحكام الكفر فيها، وإن كان جل أهلها من المسلمين. على أنه يمكن أن يجتمع في الدار، وفي الشخص كفر وإيمان وفسق وإسلام كما قرر ذلك ابن تيمية.

اما دار الكفر فقد قسمت إلى قسمين:

١ -. دار كفر حربية - دار حرب.

٢ - دار كفر غير حربية - دار عهد.

فبحسب ابن القيم الجوزية: «الكفار إما أهل حرب وإما أهل عهد». فأهل الحرب هم الكفار الحربيون أهل دار الحرب، وأهل العهد هم الكفار المعاهدون أهل دار العهد.

فدار الحرب هي الدار التي تنصب العداء التام للإسلام والمسلمين وتحاول جادة في القضاء عليه وعليهم، ولا فرق بين أن تعلن ذلك أو لا تعلنه ولم يكن بينهما وبين المسلمين معاهدات، فالعلاقة بينها وبين المسلمين علاقة عداء وحرب.

وهذا ما صرح به علماؤهم فقالوا: إن دار الحرب هي الدار التي يتسلط عليها الكفار، وتغلب فيها أحكامهم، ويخاف فيها المسلمون من الكفار.

وقد اختار بعض المعاصرين تعريفاً لدار الحرب غير هذا التعريف ومضمونه: «أن دار الحرب هي الدار التي تعلن الحرب على المسلمين فقط، أما إذا لم تعلن فليست بدار الحرب».

فعلى رأي هؤلاء ومن سار على نهجهم، تكون الدول الكافرة التي لا تعلن الحرب على المسلمين، وليس بينها وبين المسلمين عقود معاهدات أو علاقات دولية ليست بدار الحرب يفترض على المسلمين أن يعدوا العدة لجهادهم.

لكن دار الحرب عن التيارات الجهادية هي الدار التي تنصب العداء التام للإسلام والمسلمين ولا فرق بين أن تعلن ذلك أو لا تعلنه، ولم يكن بينها وبين المسلمين عهد أو علاقات دولية، والعلاقة بينهما علاقة عداء وحرب.

وعليه فدار الحرب؛ تقع مقابلة لدار الإسلام التي تكون فيها الحكومة الإسلامية التي تقيم أحكام الإسلام.

فكل أمة أجنبية لا تعقد حكومتها مع الحكومة الإسلامية معاهدة على السلام والأمان وعدم الاعتداء؛ تكون أمة محاربة، وتكون دارها دار حرب، لأن الحرب فيها عرضة للوقوع في كل وقت، إذ لا عهد يمنعها.

وعند هؤلاء احكام تترتب على دار الحرب وهي: سبى ذراريهم، وتغنم أموالهم، ويجب الهجرة منها، سقوط وجوب المَحْرَم لسفر المرأة المهاجرة من دار الكفر، وإذا أسلم بعض عبيد الكفار وهاجروا صاروا أحراراً ويملكون ما خرجوا به من أموال أهل الحرب.

اما دار الكفر غير الحربية - دار العهد -فهي دار الكفر التي عقد أهلها العهد بينهم وبين المسلمين، بعوض أو بغير عوض بحسب المصلحة التي تعود على المسلمين. أي أن العلاقة بين أهلها وبين المسلمين علاقة سلمية لا حربية.

وهذا العهد تكون مصلحة المسلمين فيه هي الراجحة ويكون إلى مدة معينة وبشروط إسلامية.

أما دور الكفر المعاهدة في هذا الوقت فلا ينطبق عليها هذا التعريف، وفق توصيفات السلفية الجهادية، لأن المعاهدات والعلاقات الدولية التي تكون بينها وبين المسلمين تكون على غير شروط إسلامية، والمصلحة الراجحة فيها تكون لصالح الكفار، وكذلك مدتها تكون مؤبدة غير مقيدة بزمن، وتساعد أعداء المسلمين بالمال، والرجال، والسلاح، ومتى رأت أن المصلحة في نقض العلاقة بينها وبين الدول الإسلامية، نقضت هذه العلاقة والاتفاقية بدون إنذار أو إشعار. وبناء على هذه النظرة، يظهر أن الدول «الكافرة» التي بينها وبين المسلمين عهود واتفاقات وعلاقات في هذا الزمان أقرب إلى دار الحرب وإن لم تعلن ذلك. ولذلك نرى ان هؤلاء لا يفرقون بين دولة واخرى سوى في المناطق التي تخضع لسيطرتهم. نعم قد لا ينشطون في بعض المناطق لأسباب مصلحية لوجستية.

يبقى ان نشير الى وجود ما يسمى بالدار المركبة وهي الدار التي يسكنها المسلمون، ولكن حكامها كافرون. وينطلقون حول هذا النوع من الحكم من خلال ما اطلقه ابن تيمية على بلدة «ماردين» التي كان أهلها مسلمون واحتلها التتار. فقال ابن تيمية: «وأما كونها دار حرب أو سلم؛ فهي مركبة فيها المعنيان، ليست بمنزلة دار السلم التي تجري عليها أحكام الإسلام، لكون جندها مسلمين، ولا بمنزلة دار الحرب التي أهلها كفار، بل هي قسم ثالث، يعامل المسلم فيها بما يستحقه، ويقاتل الخارج عن شريعة الإسلام بما يستحقه».

١٦-أهل الحل والعقد

يقصد من أهل الحل والعقد: أهل الشأن من الأمراء والعلماء والقادة والساسة ووجوه الناس.

ويبدو ان المصطلح ظهر متقدماً، ولم يرد في نص شرعي، واستعملته طائفتان هما: الأصوليون، وعلماء الفقه السياسي، وأول من استعمله أبو الحسن الأشعري (ت ٣٣٠)، ثم القاضي أبو بكر الباقلاني (ت ٤٠٣)، وتحدث عنه بعد ذلك إماما الفقه السياسي: الماوردي (ت٤٥٠)، وأبو يعلى الفراء (ت٤٥٨)، في كتابيهما عن الأحكام السلطانية.

والمراد بالعقد والحل؛ عقد نظام المسلمين في شؤونهم العامة السياسية وغيرها، ثم حلّ هذا النظام لأسباب معينة، وإعادة عقده وترتيبه من جديد. وثمة اتجاهات في تحديد من هم أهل الحل والعقد.

ورغم أن البعض يرى فروقات بين أهل الحل والعقد وأهل الشورى الا أن أغلب التنظيمات تضعهما في مجلس واحد.

يتشارك أهل الحل والعقد مع أولي الأمر بالنفوذ، ومع العلماء بسمة العلم. ويتطلب عملهم قدرة على الاجتهاد، ويمارسون وظيفتهم من خلال الشورى.

أما الشروط التي يجب أن تتوافر فيهم فهي ثلاثة كما قال الماوردي في الأحكام السلطانية:

أ- العدالة الجامعة لشروطها.

ب- العلم الذي يتوصل به إلى معرفة من يستحق الإمامة وفق الشروط المعتبرة.

ج- الرأي والحكمة المؤديان إلى اختيار من هو أصلح للإمامة، وأعرف بتدبير المصالح.

١٧-ولاية المتغلب

في البداية لا بد من الاشارة الى أن الخلافة والوصول الى سدة الحكم وفق مذهب اهل «السنة» هو طريق «الشورى» وموافقة الأمة لا سيما من ينوب عنهم من اهل «الحل والعقد».

فإذا حدد اصحاب الشورى واهل الحل والعقد وبايعوا شخصاً ثم وافقت الامة عليه فقد اصبح حاكماً شرعياً.

اذا ما اتضحت المقدمة ننطلق منها لنقول: إن مصطلح المتغلب لا يقصد به هذا النوع من الحاكم. ومن الواضح ان لفظ «المتغلب» يدل على معناه: فهو من قام بحركة عسكرية غلب فيها الآخرين ودانت له السلطة. وبكلمة اخرى هو من وصل الى الحكم عن طريق القوة والغلبة والقهر ويطلق عليه اسم «المتغلب»، بشرط أن يكون التغلب قد حصل اما ضد حاكم منصب بطريقة شرعية، اي حاكم مبايع له، او ان يكون التغلب عن طريق الوصول الى الحكم في بلد لا حاكم فيه، سواء استقال من منصبه او وقع بالاسر، بحيث لم يعد هناك من يدير الحكم. ففي هذه الحالات يصدق على من وصل الى الحكم بالقوة مصطلح التغلب ايضاً.

أما اذا كان الوصول الى الحكم بواسطة القوة لكن ضد حاكم جائر لا يحكم بشرع اللّه وظاهر بارتكاب المعاصي، فقد ذهب المتقدمون من العلماء، ومنهم احمد ابن حنبل، بعدم القيام ضده، بينما ذهب معظم المنظرين «الجهاديين» المعاصرين الى وجوب محاربته. وعندهم لا يسمى «متغلبا» بل يعتبرون وصله الى الحكم عن طريق «المجاهدة».

بعيدا عن ما ذكره العلماء حول الشروط التي يجب توافرها في المتغلب لعدم وجوب القيام ضده، اذ البعض ذهب الى عدم جوازه مطلقاً، فإن الشرط الاساس الذي يبدو أنه موضوع اتفاق وقبول عند الجميع هو تقدير مدى مفسدة الخروج عليه مع مفسدة السكوت عنه. ففي هذه الحالة تُقَدم اقل المفسدتين ليتم دفع المفسدة الكبرى.

وبتعبير آخر، متى كان الخروج على المتغلب وإقالته من سدة الحكم أقل ضرراً ومفسدة من السكوت عليه وإقراره على حكمه، تعيّين على الأمة الخروج واستبداله بحاكم شرعي ترتضيه الأمة؛ «لأن في الخروج عليه استبدال الامن بالخوف وإراقة الدماء وشن الغارات، والفساد في الارض، وهذا أعظم من الصبر على جوره وفسقه، والنظر يشهد أن أعظم المكروهين أولاهما بالترك»[1].

يختلف الموقف حول ما أعلنه داعش في موضوع الخلافة ويمكن تقسيم الحديث هنا وفق رؤيتين:

---

(١) ابن الوزير اليماني، محمد بن إبراهيم، العواصم والقواصم، مؤسسة الرسالة، ١٩٩٤، ج٨، ص١٨.

• رؤية داعش:

لا يعتبر داعش نفسه متغلباً وان بسط نفوذه وبنى «دولته» بالقوة والقهر والغلبة وذلك لاسباب عدة:

أ - أنه لا يوجد بيعة في عنقه لحاكم.

ب - حتى لو سلم جدلاً بأن ثمة بيعة للملا محمد عمر في افغانستان فان الاخير قد فقد سلطته على أمارته بعد الغزو الاميركي والغربي للبلاد وتوارى عن الانظار. وهم يعتبرون ان التمكين شرط من شروط الإمارة والحاكمية. ولما كان الملا عمر فقد التمكين، صح إعلان الدولة في مكان آخر، وتصدي شخص آخر للمهمة إذا ما حصل له التمكين.

ج - إن ما قام به داعش،وفق وجهة نظره، هو القيام على حكومة غير شرعية لم تنعقد لها البيعة من أهل الحل والعقد ولا تحكم بشرع اللّه، حسب توصيفه للحكومات في سوريا والعراق، ومن ثم فان فعله هو «جهاد» وليس تغلب.

• رؤية القاعدة

أما تنظيم القاعدة فإنه ينظر الى الامور نظرة مختلفة توصل الى أن إمارة البغدادي هي إمارة تغلب وذلك للأسباب التالية:

أ - إن منظري «القاعدة» لا يشترطون التمكين في شرعية الخليفة، وبالتالي فإن إمارة الملا عمر لا تزال قائمة.

ب - ان هناك فرق بين الخلافة الشرعية والخلافة السياسية، وعليه فإن ما خسره الملا عمر هو الثاني لا الاول، لان البيعة تمت له من اهل الحل والعقد وهي لا تنخرم بخسارة التمكين.

ج - إن البغدادي يسفك الدماء ويحل الحرمات ويقتل «المجاهدين»، وهذا يتعارض مع شروط الحاكم.

د - بناء على كل ما تقدم فإن البغدادي يصدق عليه انه متغلب، لأنه يسيطر على الحكم والسلطة بالقهر والقوة ضد حاكم آخر (الملا عمر) قامت له البيعة الشرعية.

هـ - ولأن المتغلب وفق رؤية «السلفية الجهادية» تجوز مقاتلته بل تجب، خصوصاً اذا سفك الدماء وأحل الحرمات، فإن تنظيم القاعدة أجاز قتال داعش[١].

١٨-الحسبة

نشأت وظيفة الحسبة إلى جانب وظيفة القاضي؛ نتيجة لتضُّم ظروف الحياة في الخلافة الإسلامية، وهي وظيفة دينية من باب الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر.

---

(١) راجع: طهور، عبد الاله، ولاية المتغلب، منتدى التوحيد: http://www.el-whed.com/vb/showthread.php?54797-%E6%E1%C7%ED%C9-%C7%E1%E3%CA%DB%E1%C8.

وكذلك: الطرطوسي، ابو بصير، شرعية إمارة المتغلب، http://www.abubaseer.bizland.com/articles/read/a%20165.pdf.

والحسبة في اللغة من العد والحساب. أما في الإصطلاح فقد عرفها الفقهاء بأنها:

ولاية دينية يقوم ولي الأمر - الحاكم - بمقتضاها بتعيين من يتولى مهمة الأمر بالمعروف إذا أظهر الناس تركه، والنهي عن المنكر إذا أظهر الناس فعله، صيانة للمجتمع من الانحراف، وتحقيقا لمصالح الناس الدينية والدنيوية وفقا لشرع اللّه تعالى.

تنطلق فلسفة الحسبة من أن الشريعة الإسلامية جاءت لتحصيل المصالح وتكميلها، وتعطيل المفاسد وتقليلها، وتحصل أعظم المصلحتين بتفويت أدناهما، وتدفع أعظم المفسدين باحتمال أدناهما. وقد أمر اللّه تعالى عباده بأن يبذلوا غاية وسعهم في التزام الأصلح فالأصلح - واجتناب الأفسد فالأفسد، وهذا هو الأساس الأكبر في التشريع الإسلامي.

تاريخياً، يقولون إن أول من مارس الحسبة في التاريخ الإسلامي هو رسول اللّه، فكان يمشي في الأسواق وينهى عن الغش والتطفيف في الكيل والوزن. ثم سار على دربه أصحابة وعلى رأسهم الخلفاء الراشدون.

وفي تطوُّرها، فقد تَعَدّتِ الحسبة هذا المعنى الديني في الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر، إلى واجبات عملية مادِّيّة تتّفق مع المصالح العامّة للمسلمين. فقد تطورت وظيفة المحتسب في ظلِّ الخلافة العباسية مثلاً، من مراقبة المكاييل والموازين، ومنع الاحتكار، والأمر بالمعروف والنهي عن المنكر، إلى الإشراف على

نظافة الأسواق والمساجد، ومراقبة الموظفين للتقيد بالأعمال، حتى مراقبة المؤذِّن للتَّقَيُّد بأوقات الصلاة، وامتدَّت سلطة المحتسب كذلك إلى مراقبة القضاة إذا تأخَّروا عن أعمالهم، أو انقطعوا عن الجلوس عن الحكم، كما كان للمحتسب الحق في امتحان واختيار ذوي المهن والحرف؛ لمعرفة مدى إتقانهم للمهنة والحرفة؛ منعا للاستغلال.

الفصل الثاني

التكفير في بداياته الأولية الوهابية

أولا: الوهابية كأداة استعمارية

إن من يراجع التاريخ، سيجد ان الموقف الاسلامي العام في الجزيرة العربية، كان شديد العداء للوهابية عند ظهورها، وهو ما دفع محمد بن عبد الوهاب للهرب الى العُيَينة، ومن ثم الى الدرعية مركز آل سعود؛ حيث إحتضنه هؤلاء وإحتضنوا دعوته. لكن هذا العداء اخذ بالتراجع شيئا فشيئاً؛ اولا تحت تأثير المجازر التي أرتكبها تحالف آل سعود مع أبن عبد الوهاب وابنائه، ثم بعد ذلك مع ظهور الثروة النفطية التي استغلها هذا التحالف في «كي الوعي» الاسلامي العام، وارتباطهم بالاسلام النقي البعيد عن العنف.

إن الدعوة الوهابية في جوهرها دعوة تصادم العقل والعقلانية، لذلك فإن نشر الوعي يصيبها في مقتل. وإن الهدف الاساس للوهابية هو التفرقة؛ لذا فان الدعوة للوحدة يشظي احلامها ويبدد اوهامها واهدافها. من هنا نفهم سر العداوة التاريخية بين الوهابية وكل الحركات التي كانت تدعو للوحدة؛ سواء تحت شعارات قومية عربية، او شعارات دينية اسلامية.

تمسكت الوهابية بروايات لطالما اهملها الفقهاء والعلماء، ونظروا اليها بريبة، روايات ما ان تمسكت بها الوهابية حتى فُتحت ابواب الضلال والاضلال على مصراعيها، فظهر الفكر الاسلامي

بسببها معوجا، وتشوه الاسلام عبر جعله وسيلة لاستباحة دماء واموال واعراض المسلمين قبل غيرهم.

اذ كيف يمكن لعاقل ان يتصور ان رسول اللّهﷺ، الذي سُمي بنبي الرحمة، ان ينسب اليه انه قال: «لقد جئناكم بالذبح». وكيف لرسول اللّهﷺ الذي قال: «انما بعثت لاتمم مكارم الاخلاق»، ان يسلك من يزعم انه يسير هديه، مسلك أهل «الجاهلية»، وكيف لكتاب اللّه الطافح بالدعوة للتفكر والتعقل والتدبر، ان يُقيَّد بدعوة تحجر على العقل. إن خطورة الوهابية ووليدتها التكفيرية، تكمن في انها دعوة لبست لبوس الاسلام، وقامت، بدعم من أعدائه، بنخر الجسم والفكر الاسلاميين فسادا وافسادا، تمزيقا وتفريقا، تعصباً وتطرفاً. هي تخالف الاسلام حتى في ركيزته الاساسية، اعني التوحيد. اليس من مقتضيات التوحيد الوحدة والتوحد والاتحاد؟!

لطالما كانت الوهابية أداة بيد الغرب منذ نشوئها: بها حارب البريطانيون الخلافة العثمانية في الجزيرة العربية، عندما قرر البريطانيون تمزيقها، وبها حاربوا الشريف حسين وغيره، من الذين عارضوا وعد بلفور وانشاء كيان صهيوني في عمق العالم العربي، وبها حاربوا القومية العربية والدعاة الى الوحدة العربية، وبها حارب الاميركيون، ورثة البريطانيين، الحركات الاسلامية التحررية والتنويرية من اسلاميين اصلاحيين، وبها حاربوا الثورة الاسلامية في ايران بما تمثله من دعم للقضايا العربية والاسلامية في مواجهة الصهيونية العالمية، وبما تمثله من دعوة للوحدة الاسلامية، وبها

يحاربون خط المقاومة ومحوره، وبها ينفذون الآن مشاريع التفتيت والتقسيم وخرائط سايكس -بيكو جديدة، وبها يشوهون الاسلام، وينشرون من خلالها «الاسلاموفوبيا».

لطالما كانت الوهابية أداة، وهي انما انشأت لتلعب هذا الدور. وهي ستسقط عندما ينتهي الدور الذي انشأت من اجله. وعندها ستتحول الوهابية، من كونها أداة، الى مبرر وذريعة لمشروع التقسيم.

ثانيا: سيف وبندقية وعقل يحترف الاجرام

في الواقع، ان دور الوهابية في خدمة السياسة البريطانية لم يقتصر على الجزيرة العربية، بل تجاوزها إلى الدول العربية والعالم الإسلامي. ففي عام ١٩٢٢ كما ذكر السيد عبد الرزاق الحسني في كتابه (تاريخ الوزارات العراقية)، عجزت بريطانيا عن إكراه العراقيين على قبول الانتداب البريطاني، فقامت بتحريك الوهابية للإغارة على أطراف عشائر المنتفك ليلة ١١ اذار مارس، وذلك بقصد دفع العراقيين إلى الارتماء في أحضان بريطانيا كي تحميهم من الوهابية.

ورغم محورية فكرة اقامة الخلافة الاسلامية في الفكر الوهابي والسلفي، الا ان حربها على العثمانيين (مع ما تمثلة هذه من كونها كانت تعبر عن الخلافة الاسلامية) يتناقض مع شعار اقامة الخلافة. وهو شعار ترفعه الآن الجماعات التكفيرية ايضا وتدعو اليه باساليب وعناوين شتى.

ولئن برزت داعش الآن كأداة بيد الاستخبارات الاميركية والصهيونية وحلف الناتو، فقد برزت الوهابية ايضا قبلها كاداة طيعة منذ انطلاقها بيد الانكليز، الذين كانوا في كثير من الاحيان يتدخلون باساطيلهم، لحسم بعض المعارك العسكرية التي عجزت العصابات الوهابية عنها.

تتشابه الى حد كبير اساليب الاغارات التي تنتهجها داعش مع الاساليب التي انتهجتها الوهابية عند انطلاقها، وهي نفسها الى حد التطابق، مع اساليب العصابات الصهيونية.

وتتشابه ايضا اساليب القتل والسلب والنهب، وزرع الخوف عبر تقطيع الرؤوس وغيرها من الاساليب الوحشية.

ما سنقدمه في هذا الفصل هو غيض من فيض، من جرائم ربما لو كتبت من غير اسماء لما تردد القارىء باعتقاده اننا نتحدث عن داعش، عن مشاهد من الموصل وسنجار في العراق، او من الرقة وادلب وحلب في سوريا. لكننا في الواقع ما سنقدمه هو بعض مما قامت به الوهابية، خلال حروبها في طريقها لبناء مملكتها، على انقاض الخلافة العثمانية بالتعاون والتعاضد مع البريطانيين الذين وصفهم ابن سعود، مؤسس المملكة وقائد حروبها، بانهم اهل للثقة والمودة والصداقة والتحالف.

استباحة الطائف وقتل الأطفال

من الطائف نبدأ حيث هاجمها الوهابيون بدعوى تحريرها من ما

يسمونه الشرك! وكانت الطائف تحت حكم الشريف غالب حاكم مكة، الذي كان بينه وبين الوهابية مواثيق.

غدر الوهابيون بحليفهم؛ حيث تمكنوا من الاستيلاء على الطائف، فدخلوها في ذي القعدة ١٢١٧هـ/ ١٨٠٢م. فقتلوا اهلها دون تمييز بين رجل وامرأة وطفل؛ حتى انهم ذبحوا الاطفال الرضع في حجر امهاتهم[١].

ولم يسلم من القتل حتى من لاذ بالمساجد او لزموا بيوتهم، فلاحقوا الفارين من المدينة وقتلوا أكثرهم. كما انهم أعطوا الأمان للبعض، وما ان استسلموا حتى ضربوا أعناق فريق منهم، وأخرجوا الفريق الآخر إلى أحد الأودية، واسمه وادي الوج، فتركوهم مكشوفي العورة ومعهم النساء.

وأخذت الأعراب الوهابية تذهب إلى الطائف لتحمل ما تستطيع نهبه، وتدفع خمسه إلى الأمير فيما يقتسمون الباقي.

ولم تسلم المصاحف والكتب الدينية، ورموها من عبثهم، فقاموا بتمزيقها ورميها في الأزقة. كماعمدوا إلى حفر بيوت المدينة حتى المراحيض منها، بحثاً عن المال الذي قيل لهم أنه خبئ في الأرض[٢].

---

(١) الأمين، محسن، كشف الارتياب، ايران، مؤسسة دار الكتاب الاسلامي، ٢٠٠٧م، ٢٠ ط٢، ص ١٨.

(٢) راجع: الخطيب، محمد عوض، صفحات من تاريخ الجزيرة العربية الحديث، ص ١٧٨ و٢٣٣.

ويروي ناصر السعيد أن هؤلاء الأعراب بعد أن قتلوا وذبحوا الرجال والنساء والأطفال والصلحاء، عمدوا إلى قطع أيدي النساء لانتزاع الحلي منها، كما كانوا يتوضأون بدماء الآدميين بعد صبه في الماء. كل ذلك واهل الطائف من المسلمين الحنابلة.

احتلال مكة المكرمة

بعد استيلائهم على الطائف، بدأ الهجوم الوهابي على مكة المكرمة مباشرة، فدخلوها سنة ١٢١٨هـ/ ١٨٠٣م كما ذكر ذلك عبد اللّه بن الشريف حسين[١]، أما مؤرخ الوهابية عثمان بن بشر الحنبلي النجدي فيذكر ذلك في أحداث سنة ١٢٢٠هـ.

ومن أحداث تلك الفترة، ما قام به الوهابيون في محرم ١٢٢٠هـ / ١٨٠٥م؛ حيث عمدوا الى مهاجمة حجاج بيت اللّه الحرام. فيقتلون من يقتلوم، وياسرون من يأسرون. هذا وقد اشتدّ الغلاء في مكة بشكل فاحش لم تشهده من قبل، حتى باع أهل مكة أثاث منازلهم وحلي نسائهم بعُشر القيمة؛ ليشتروا قوتا لأطفالهم بأضعاف أثمانها.

وقد شهدت مكة في هذه السنوات ازمة كبيرة، اودت بحياة الكثير من أهلها جوعاً، فيما انتشرت جثث الأطفال في الأزقة.

ويذكر مؤرخ الوهابية عثمان: «**إن لحوم الحمير والجيف بيعت**

(١) الحسيني الحجازي، عبد اللّه بن السيد شريف حسن باشا، صدق الخبر في خوارج القرن الثاني عشر، سوريا، مطبعة كرمين، دون تاريخ.

فيها بأغلى الأثمان، وأكلت الكلاب، وأخذ الناس يهجرونها نتيجة الخطر الجائم على أطرافها، فلم يبق فيها إلا النادر من الناس»[(١)].

ومن أفعال الوهابية خلال غاراتهم على مكة والمشاعر العظام، أن توجه اثنان من قادتهم وهما (عثمان المضايفي والذي أصبح أمير الطائف بعد الاستيلاء عليها، وابن شكبان) إلى عرفة، فقتلا من لم يطعهما، وأسرا الكثير من الناس. ثمّ انتقلا إلى وادي مرّ ينهبون ويقتلون الواردين إلى مكة المكرمة، مما أدى إلى امتناع أهل الحجاز عن الحج، وأحرق المحمل المصري رمز اجتماع الحجيج، ولقد رفض أمير الحج الشامي شروط الوهابية وعاد إلى بلاده ومن معه.

أدت هذه الاحداث بالشريف غالب إلى الموافقة على الصلح مع الوهابيين، والسماح لهم بدخول مكة، لكنه بقي حاكما عليها شريطة أن يحظر الصلاة والسلام على الرسول الكريم بعد الأذان؛ لأنها بدعة حسب اعتقادهم، وأن يوافقهم على ما يريدون.

لقد كان لدخول الجيوش المصرية الجزيرة العربية للقضاء على الوهابية سنة ١٢٢٦هـ/ ١٨١١م، والتي بقيت حتى عام ١٢٣٤هـ/ ١٨١٨م، أثراً كبيراً في إضعاف الوهابية في دولتها الاولى، وسيطرتها على الحرمين الشريفين، ولكن القبضة المصرية ما لبثت أن تراخت، لتقوم قائمة الوهابية ثانية.

وكان قيام الوهابية ثانية بفعل التعاون الوثيق، الذي حصل بين

---

(١) النجدي الحنبلي، عثمان بن بشر، عنوان المجد في تاريخ نجد، مكتبة الرياض الحديثة، الرياض.، ج١، ص١٣٥.

الوهابية والانتداب البريطاني، لاضعاف الخلافة «الاسلامية» العثمانية.

ومهما يكن من امر، فقد كان نتيجة استيلاء الوهابية على مكة المكرمة ومنطقتها، أن انفلت حبل الأمن فانتشر السلب والنهب، واضطربت الامور. الا ان الوهابية ما لبثت أن زهدت في مكة فتركوها، عندما سمعوا أن العجم غزو عاصمتهم الدرعية، كما يروي الجبرتي، فعاد إليها الشريف غالب، وحاول استعادة الطائف، ولكنه فشل بعد أن استطاع حماية جدّة من هجماتهم الشرسة[١].

لقد تم احتلال مكة المكرمة احتلالا فعلياً، فيما الملك علي بن الملك حسين في جدّة يحاصره الوهابيون من جهة البر، بينما يضيّق عليه الإنكليز من جهة البحر، إلى أن قبل بالصلح والاستسلام للإنكليز سنة ١٩٢٤م فانتقل إلى العراق.

منع الحجاج من الوصول إلى بيت اللّه الحرام

يذكر عثمان بن بشر الحنبلي في كتابه من أحداث ١٢٢١هـ الحادثة التالية:

«فلما خرج سعود من الدرعية قاصداً مكة أرسل فرّاج بن شرعان العتيبي، ورجالا معه ... وذكر لهم أن يمنعوا الحجاج التي تأتي من جهة الشام واسطنبول ونواحيهما، فلما أقبل على المدينة الحاج

---

(١) راجع: الخطيب، محمد عوض، صفحات من تاريخ الجزيرة العربية، مصدر سابق، ص ١٧٩-١٨٠

الشامي ومن تبعه، وأميره عبد الله العظم باشا الشام فأرسل اليه هؤلاء الأمراء أن لا يقدم وأن يرجع إلى أوطانه»[١].

ويقول مفتخراً: **«ولم يحج في هذه السنة أحد من أهل الشام ومصر والعراق والمغرب (أي بلاد المغرب العربي كله) وغيرهم إلا شرذمة قليلة من أهل المغرب لا اسم لهم»[٢].**

مجازر الوهابية ضد الحجيج

لقد جعل الوهابيون الديار المقدسة رهينة في أيديهم، وراحوا يتحكمون بحركة الوفود إليها.

ففي سنة ١٩٥٩م منع الحاج السوري من الوصول إلى مكة المكرمة، كما أرجعت كسوة الكعبة المشرفة المرسلة من مصر، ومنع الحجاج المصريون ما لم يدفعوا المكوس بالعملة الصعبة. علما بأن فرض الرسوم على عبادة الله محرم شرعا. كما منعوا الحاج اليمني بعد انقلاب السّلال. إلا أن الأمر لم يتوقف عند هذا الحد، بل تعداه إلى قتل الحجيج العزل بشكل وحشي في اكثر من مناسبة، وقد حفظ التاريخ للوهابيين ارتكابهم مجزرتين مروعتين:

الأولى: مجزرة الحاج اليماني سنة ١٣٤١هـ/ ١٩٢١م.

في سنة ١٣٤١هـ/ ١٩٢١م انقض الوهابيون على الحجاج اليمانيين المتوجهين إلى مكة، فقتلوهم غدرا وغيلة دون سبب. فقد

---

(١) عنوان المجد في تاريخ نجد، مصدر سابق، ج١، ص١٣٩.

(٢) المصدر نفسه، ج ١، ص١٤٣

صودف أن التقت سرية من الوهابيين بحوالي ألف من أبناء اليمن القادمين لأداء فريضة الحج، وكانوا بطبيعة الحال عزلا من السلاح، فسايرهم الجنود الوهابية بعد أن أعطوهم الأمان، فلما وصل الفريقان إلى وادي (تنومة)، والوهابيون في الجهة العليا بينما اليمنيون في الجهة الدنيا، انقض المسلحون على الحجاج بأسلحتهم فأبادوهم فلم ينج منهم إلا اثنان.

وقد حاول الوهابيون التخفيف من الجريمة، عن طريق الادعاء بأن الوهابيون ظنوا مجموعة الحجاج مجموعة مسلحة من أهل الحجاز، فاشتبكوا معها!!

والثانية: مجزرة الحاج الإيراني

ارتكبت هذه المجزرة المروعة سنة ١٤٠٨هـ/ ١٩٨٧م فراح ضحيتها (حوالي ٤٠٠) شهيدا ما بين رجل وامرأة، ما عدا الجرحى، فقد كان الإيرانيون يقومون بمسيرة البراءة من المشركين في صفوف منظمة، ويطلقون الهتافات ضد أعداء المسلمين من شرقيين وغربيين، ويدعون المسلمين للوحدة في مواجهة هؤلاء الأعداء قائلين: «**الموت لأمريكا، الموت لروسيا، الموت لإسرائيل، أيها المسلمون اتحدوا**».

ولما انتهت المسيرة، واتجهت الجموع صوب الحرم للزيارة والطواف، إذا بالقوات الوهابية تحاصرهم بإطلاق النار الغزير من الرشاشات والبنادق.

حرق المكتبة العربية بمكة المكرمة

تعتبر المكتبةَ العربية في مكة المكرمة من أنفس مكتبات العالم، إذ كانت تحوي ستين ألفاً (٦٠،٠٠٠) من الكتب النادرة، وحوالي أربعين ألف (٤٠،٠٠٠) مخطوطة، بعضها مما أملاه النبيﷺ، وبعضها كتبه الخلفاء الراشدون وسائر الصحابة، ومنها ما هو مكتوب على جلود الغزلان والعظام والألواح الخشبية والرقم الفخارية والطينية، كما كانت المكتبة تشكل في جانب منها متحفاً يحتوي على مجموعة من آثار ما قبل الإسلام وبعده.

وقد عمد الوهابيون الى مكتبة مكة المكرمة اثناء اغارتهم على المدينة، واحرقوا المكتبة وعاثوا فيها فسادا.

وعداوة الوهابية للكتب والعلم معروفة مشهورة، لا سيما الكتب التي لا تتناسب وعقيدتهم الوهابية، فهم يحرقون كتب المسلمين التي ترد إلى بلادهم، وما زالوا حتى الآن يقومون بمصادرة كتب المسلمين في المطارات، أثناء قدومهم لأداء فريضة الحج. ومن ذلك ايضا تزويرهم لكتب المسلمين، حيث يقدمون على أمهات الكتب الإسلامية، فيعيدون طباعتها بمطابعهم، فيحذفون منها يريدون، بل ويتجرؤون على أئمة المذاهب الأربعة، فيحرفون كلامهم ليتناسب وعقيدتهم في التجسيم

استباحة دماء المسلمين في المساجد

يعتبر الاتهام بالشرك، الذي يطلقه محمد بن عبد الوهاب على

احدهم كافياً لهدر دمه وقتله، حتى لو كان في مساجد اللّه او معلقا باستار الكعبة، كذريعة لاستباحة دماء مخالفية. وقد مارس ذلك بكثرة مفرطة ضدّ المسلمين في الجزيرة العربية، لسفك دمائهم واستباحة أعراضهم وسبي أموالهم. ومن امثلة ذلك ما دوّنه الوهابيون أنفسهم، فقد جاء في الصفحة (٩٧) من كتاب (تاريخ نجد) نقله الشيخ حسين بن غنام عن رسائل محمد بن عبد الوهاب.

يقول محمد بن عبد الوهاب: «إن عثمان بن معمّر - حاكم بلد عيينة - مشركٌ كافر، فلما تحقق المسلمون من ذلك تعاهدوا على قتله بعد انتهائه من صلاة الجمعة، وقتلناه وهو في مصلاه بالمسجد في رجب ١١٦٣ هـ».

ولا يخفى ان تهمة الشرك تتنافى ووجوده في المسجد علما ان حكم المرتد عند اهل السنة والجماعة هو يستتاب فاذا تاب حرم دمه وان لم يتب قتل.

لقد دمر محمد بن عبد الوهاب وحزبه بلدة العيينة المكتظة بالسكان عن بكرة أبيها؛ لأنهم ثاروا على الحاكم الذي عينه الوهابية، ومنع بناؤها منذ ذلك اليوم، ولقد علل محمد بن عبد الوهاب كذبا إفناء بلدة العيينة بقوله «إنّ اللّه سبحانه وتعالى قد صبّ غضبه على العيينة وأهلها، وأفناهم تطهيراً لذنوبهم، وغضباً على ما قاله حاكم العيينة: عثمان بن معمّر، فقد قيل لحاكم العيينة بأن الجراد آتٍ إلى بلادنا، ونحن نخشى أن يأكل الجراد زراعتنا، فأجاب حاكم العيينة قائلاً ساخراً من الجراد: سنُخرج على الجراد دجاجنا فتأكله، وبهذا غضب اللّه سبحانه لسخرية

الحاكم بالجراد آية من آيات اللّه لا يجوز السخرية منها ... ولهذا أرسل اللّه الجراد على بلدة العيينة فأكلها عن آخرها». علما ان الدمار في العييينة قد طال الجدران والرجال واخذ ما تبقى من اهلها ما تبقى رقيقاً، وهدمت الآبار، وبقرت بطون الحوامل[1].

الهجوم على الكويت

ومن الأقطار التي هاجمتها الوهابية الكويت، فوجهوا إليها الغارات تنهب وتقتل وتسلب وتسبي، وكانت الحملة الأولى سنة ١٢٠٥هـ/ ١٧٩٠م، ثم تلتها حملة أخرى سنة ١٢١٣هـ/ ١٧٩٨م، وثالثة سنة ١٢٢٣هـ/ ١٨٠٨م ووصلوا في هذه الأخيرة إلى الجهراء. وحينما رفض العتوب في الكويت والبحرين دفع الجزية، هاجمهم الوهابيون مرة أخرى وأوقعوا بهم خسائر جسيمة.

وقد أعطى الإنجليز أثناء صراعهم مع الأتراك، الضوء الأخضر للوهابية لمهاجمة الأراضي الكويتية سنة ١٣٣٧هـ/ ١٩١٩م، فوقعت معركة (الحمض) حيث عاثوا فيها نهبا.

وأعادوا الكرة سنة ١٣٣٨هـ/ ١٩٢٠م فكانت معركة (الجهراء)، وكاد الشيخ سالم الصباح أن يقع في الأسر لولا أن أنجده ابن طوالة بقوة من قبائل شمّر والعجمان.

وبموت سالم الصباح سنة ١٩٢١ م طلب الإنجليز من الوهابية

(١) للتوسع في هذا الموضوع راجع: التقوى، أبو العُلى، الفرقة الوهابية في خدمة من؟ طبعة الإرشاد للطباعة والنشر بيروت - لندن (ص ٣١ -٣٢)، وعثمان بن بشر النجدي الحنبلي، عنوان المجد في تاريخ نجد، مصدر سابق، ج١، ص ٢٣.

التوقف عن تقتيل الكويتين لانتفاء الداعي بعد أن صفا الجو لهم، فتوقفت الهجمات الوحشية عن الكويت.

الحجاز (المدينة المنورة)

اما ما فعلوه بالمدينة المنورة فسنكتفي بالنص من كتابهم عنوان المجد في تاريخ نجد: «...**أجمعوا على حرب المدينة ونزلوا عواليها، ثمَّ أمر عبدالعزيز ببناء قصر فيها فبنوه وأحكموه، واستوطنوه، وتبعهم أهل قباء ومن حولهم وضيَّقوا على أهل المدينة، وقطعوا عليهم السوابل، وأقاموا على ذلك سنين ... ولما طال الحصار على أهل المدينة وقعت المكاتبات بينهم وبين سعود من حسن قلعي وأحمد الطيار والأعيان والقضاة وبايعوا في هذه السنة**»[1]. وهكذا سقطت المدينة المنورة، بعد أن مات أهلها جوعا.

هذيل الشام واللفاع

وقد غزا الوهابية هذيل الشام بقيادة عثمان المضايفي في حوالى سنة ١٢١٤هـ/ ١٧٩٩م فقتلوا وسبوا النساء، ثمَّ غزوا اللفاع حيث يقيم أشراف بني عمرو فقتلوا منهم عدداً، ونهبوهم وسبوا النساء حتى أنهم جردوهن من ثيابهن

تربة وحزبة

وهما قريتان بالحجاز انقض عليهما جنود الوهابية في أواخر شعبان ١٣٣٧هـ/ ١٩١٩م فقتلوا ونهبوا واعتدوا على الأعراض وأحرقوا

(١) انظر عنوان المجد في تاريخ نجد، مصدر سابق، وقد فهرس الجزء الأول منه وضبط أسماء البلدان فيه الشيخ محمد عبدالرزاق حمزة المدرس بالحرم الشريف، ج١، ص ١٣٧.

النخيل، وقد أحصي من قتل في تربة وحدها فبلغوا ثلاثة آلاف من المدنيين العزّل، وقد كان ذلك بعد سحقهم للجيش الشريفي بقيادة عبد اللّه بن الحسين، وكانت اقسى الحملات بقيادة فيصل الدويش[1].

الاحساء

يقول المؤرخ الوهابي في أحداث ١٢١٠ هـ: «... **فلما استووا على ركائبهم (أي الجند الوهابي) وساروا ثوروا بنادقهم دفعة واحدة، فأظلمت السماء وأرجفت الأرض، وثار عج الدخان في الجو، وأسقط كثير من الحوامل في الإحساء، ثم نزل سعود في الرقيقة ... فأقام في ذلك المنزل يقتل من أراد قتله، ويجلي من أراد جلاءه، ويحبس من أراد حبسه، ويأخذ من الأموال، ويهدم من المحال، ويبني ثغوراً، ويهدم دوراً، وضرب عليهم ألوفاً من الدراهم وقبضها منهم.. ثم يقول عن القتل وذلك بعد الاستسلام.. فهذا مقتول في البلد، وهذا يخرجونه إلى الخيام، ويضرب عنقه عند خيمة سعود، حتى أفناهم إلا قليلا، وحاز سعود في تلك الغزوة ما لا يحصى**»[2].

البحرين

امتنع العتوب عن دفع الجزية فهاجمهم الوهابية وقتلوا منهم الكثير، وأوقعوا بهم خسائر جسيمة[3].

---

(١) انظر صفحات من تاريخ الجزيرة، مصدر سابق، ص ١٨٨.

(٢) عنوان المجد في تاريخ نجد، مصدر سابق،ج١، ص١٠٦.

(٣) كما يذكر ذلك إبراهيم عبد العزيز عبدالغني في صراع الأمراء، ص ٣٣، و صفحات من تاريخ الجزيرة، مصدر سابق، ص ١٧٤.

وقد هاجم الوهابيون البحرين مرات عديدة، ومنها الحادثة الشهيرة التي رواها مؤرخ الوهابية عثمان النجدي حين قتلوا من أهل البحرين ١٤٠٠ رجل[١].

قطر

اما قطر فيقول صاحب عنوان المجد: «**ثم دخلت السنة السادسة بعد المائتين والألف وفيها غزا سليمان بن عفيصان بأمر عبد العزيز بجيش من أهل الخرج وغيرهم، وقصد قطر المعروف بين عمان والبحرين، فصادف منهم غزواً نحو خمسين مطية فناوخهم، فقاتلوا وهزمهم سليمان، وقتلهم إلا القليل، وأخذ ركبهم**»[٢].

ويقول كذلك - ابن بشر -عندما تحدث عن أحداث ١٢٠٩هـ «.. **ثم سار بهم إبراهيم بن عفيصان فقصد ناحية قطر، وأغار على أهله فأخذ إبلا كثيرة من بواديهم وأموالهم، فأقبل بها وباعها في الإحساء**»[٣].

والحقيقة أن الغارات الوهابية على قطر بدأت منذ سنة ١٢٠٨هـ، حيث قاتل ابن عفيصان بني عتبة (العتوب) في الزبارة في قطر، وحاصرهم، ومنع الناس من الدخول إليها أو الخروج منها، حتى اضطر العتوب للهجرة إلى البحرين هرباً بنسائهم وأطفالهم سنة

(١) عنوان المجد، مصدر سابق، ص١، ص ١٥٧.

(٢) انظر كذلك: أبو حاقة، أحمد، لمع الشهاب، دار الثقافة، بيروت، ص ٧٨ وما بعدها. وصراع الأمراء، مصدر سابق، ص ٢٣ ؛ وصفحات من تاريخ الجزيرة، مصدر سابق، ص ١٧٣-١٧٤.

(٣) عنوان المجد، مصدر سابق، ج١، ص١٠٣.

١٢١٢هـ (١٧٩٧م)، ولم يعودوا حتى دخلوا مكرهين في المذهب الوهابي، وهاجم الوهابية كذلك مناطق أخرى في قطر حيث تقيم قبائل فريحة والحويلة واليوسفية والرويضة وغيرها، وأخذوا يثيرون الشقاق والضغائن بينهم[١].

بوادي شمَّر وجوارها

وفيها (أي سنة ١٢٠٦هـ)كانت غزوة الشقرة وذلك أن سعوداً سار بالجيوش الكثيفة من جميع نجد الحاضرة والبادية، وقصد ناحية جبل شمر، وقد ذكر له قبائل كثيرة من البوادي من مطير وحرب وغيرهم، وهم على الماء المعروف بالشقرة قريب من جبل شمر، فعدا عليهم سعود وأخذهم جملة وحاز منهم أموالاً عظيمة، ثم رحل سعود بجميع تلك الغنائم وأخرج خمسها!! وقسم باقيها غنيمة في جماعاته للراجل سهم وللفارس سهمان[٢].

ومن القبائل التي قتلت في تلك المنطقة أيضاً عربان الظفير وآل بعيج وآل زقاريط[٣].

العراق

نوازل وبادية السماوة:

وفيها (أي سنة ١٢٢٠هـ) سار سعود بالجيوش، من جميع نجد

(١) المصدر نفسه، ج١، ص٨٨ – ٨٩.
(٢) المصدر نفسه، ج١، ص ٨٨.
(٣) صراع الأمراء، مصدر سابق، ص ٣٠.

ونواحيها وبواديها، وقصد جهة الشمال نوازل بلد المشهد المعروف في العراق، وفرق عليها جيشه من كلِّ جهة، وأمرهم أن يتسوروا الجدار على أهله!! ... ثم رحل منه سعود فانحاز على الزملات من عربان غزية فأخذ مواشيهم ثمَّ ورد الهندية المعروفة، ثم اجتاز بحلل الخزاعل، وجرى بينه وبينهم مناوشة قتال وطرد خيل، ثم سار وقصد السماوة وحاصر أهلها ونهب من نواحيها ودمَّر أشجارها، ووقع بينهم رمي وقتال، ثم رحل منها وقصد إلى جهة البصرة ونازل أهل الزبير ووقع بينه وبين أهله مناوشة قتال ورمى، ورحل منه إلى وطنه[١].

وقد سبق للوهابية سنة ١٢١٣هـ/١٧٩٨م أن غزوا (سوق الشيوخ) و(الأبيض) في بادية السماوة من أرض العراق فقتلوا خلقاً كثيراً وسبوا وسلبوا[٢].

مجزرة كربلاء

حشد الوهابية جيشا من أعراب نجد قدر بعشرين ألفا وتوجه إلى العراق حيث حاصر مدينة كربلاء المقدسة واقتحمها، فقتل فيها قتلا ذريعا لم ينج منها حتى الأطفال ونهبت خزائن من الذهب والجواهر النفيسة.

وقد وصف محمد حامد الفقي، من المتحمسين للوهابية، مجزرة كربلاء مشيدا بدور «جند الإسلام» الوهابي فقال: (توجه سعود في ذي القعدة من سنة ١٢١٦هـ/ ١٨٠١م بجموع كثيرة وقوة عظيمة إلى

---

(١) عنوان المجد، مصدر سابق، ج١، ص ١٣٧ - ١٣٨.

(٢) انظر لمع الشهاب، مصدر سابق، ص ٨٩.

العراق والتقى في كربلاء بجموع كثيفة من الأعاجم ورجال الشيعة (وهم الزوار العزل طبعا) الذين استماتوا في الدفاع عن معاقل عزهم ومحط آمالهم، قبة الإمام الشهيد الحسين رضي اللّه عنه وغيرها من القباب والمشاهد.

ولكن جيش التوحيد(!) قد تغلب بقوة إيمانهم(!) وصدق عزيمتهم في الجهاد(!) لهدم كل نصب وطاغوت اتخذ مع اللّه شريكا في العبادات وجعل للّه نداً في القربات، وشأن مشاهد كربلاء والكاظمية والنجف ومعصومة قوم (قم) وموسى الرضا عند الشيعة وتعظيمهم لها معلوم للقاصي والداني.

فكانت موقعة هائلة وكانت مذبحة عظيمة سالت فيها الدماء أنهاراً، خرج منها سعود وجيشه ظافرين ودخل كربلاء وهدم القبة العظيمة بل الوثن الأكبر المنصوب على ما يزعمون من قبر الإمام الحسين بن علي رضي اللّه عنهما. وأقر اللّه بهدمها عين الإمام الحسين وعيون الموحدين الذين يتتبعون شرعة جد الحسين أشرف الخلق محمد ﷺ ورضي اللّه عن الحسين وآله الطاهرين)، كما يذكر ذلك محمد حامد الفقي في أثر الدعوة الوهابية (ص ٨٤).

النجف

وفي شهر صفر من سنة ١٢٢١هـ/ ١٨٠٦م هاجم سعود المذكور النجف الأشرف حتى وصل إلى السور وصعد عليه بعض أصحابه ولكن أهل النجف تصدوا له وردوه على أعقابه بعد أن أكثروا القتل في المهاجمين.

ثم حاول سعود أن يغزو النجف مرة أخرى في جمادى الآخرة من السنة التالية ولكنه وجد أهل النجف مستعدين على السور بالأسلحة فكر راجعا، فتوجه إلى الحلة فلما رأى أهلها على استعداد تحول عنها إلى كربلاء التي فاجأها نهارا، ونشبت معركة بينه وبين أهلها، وفشا القتل بين الفريقين فاضطر إلى التراجع وراح ينهب في أنحاء العراق الجنوبي فعطل الحج ثلاث سنين.

وفي سنة ١٢٢٥هـ/ ١٨١٠م عاود الوهابية الكرة على النجف وكربلاء فقطعوا الطريق وأخذوا ينهبون الزوار وقتلوا منهم عددا كبيرا قدر بمائة وخمسين نفسا ما بين الكوفة والنجف.

اليمن

احتل الوهابية صنعاء وأمعنوا فيها قتلا، ونهبوا خيراتها، ووضعوا لها إماماً من أتباعهم، وإليك ما يقوله مؤرخهم ابن بشر في عنوان المجد في غزو الحديدة:

«ثم أن إمام صنعاء (أي المستعمر الوهابي) سير عساكر عظيمة وحاصروا بندر الحديدة وأخذوه ...فتجهز صالح المذكور إلى زبيد وجنوده وقومه فسار إليه بجيش عديد من قبائل عديدة حاضرة و بادية نحو ثلاثة الآف مقاتل فنازل أهل زبيد وأخذوه عنوة ونهبوا منها من الأموال والأمتاع شيئا كثيرا، ولم يمتنع إلا القلعة الأمامية وما تحميه، ثم خرجوا عنها، وعزل صالح الأخماس وبعثها إلى الدرعية»[1].

---

(١) عنوان المجد،مصدر سابق، ج٢، ص١١٧ - ١١٨.

عُمان

كان للوهابية حملات شرسة عديدة ضدَّ عمان، يذكر فيها مؤرخهم، عثمان بن بشر الحنبلي النجدي أن اللّه يسلط عليهم خلال هجماتهم الصواعق، والمحن، ويمكن تدوين الأحداث التالية:

البريمي

في سنة ١٢٠٧هـ/ ١٧٩٢ م تعرضت البريمي لغزو وهابي شرس بقيادة مطلق المطيري الذي ما يزال العمانيون يضربون به المثل في الفساد والإفساد، وكذلك من بعده سعد بن مطلق المطيري سنة ١٢٦٤هـ/ ١٨٤٩م، حيث وقعت معركة العاتكة، وذلك طمعا في ضم هذه الواحة للنفوذ الوهابي، فتعرضت قبائل النعيم وبني كعب وبني قتب، لحرب شرسة وسلب ونهب مما اضطرهم للخضوع لسلطانهم إلى أمد مع دفع الجزية[1].

وهكذا اتخذت البريمي قاعدة للهجوم الوهابي على عمان.

صحار

بين سنة ١٢٢٢هـ/ ١٨٠٧م وسنة ١٢٢٥/ ١٨١٠م وجه الوهابية قواتهم مرة أخرى إلى عمان، حيث ارسل «...سعود إلى عمان عبد اللّه بن مزروع صاحب منفوحة وعدة رجال من أهل نجد و أمرهم بنزول قصره البريمي المعروف فى عمان، مطلق المطيري بجيش من أهل

(١) المصدر نفسه، ج١، ص١٣٨.

نجد ...، فقاتل أهل الباطنة سحار (صحار) ونواحيها، ورئيسهم يومئذ عزان بن قيس.

وقاتلوا سعيد بن سلطان صاحب مسكة (مسقط) ودام القتال بينهم وقتل من عسكر عزان مقتلة عظيمة بلغت القتلى نحو خمسمائة رجل، ثم أنه اجتمع مع مطلق المطيرى جميع من هو من رعية سعود من أهل عمان، فنازل أهل سحار بألوف من المقاتلة. ودخلت سنة خمس وعشرين وهم على ذلك يقتلون ويغنمون. وأخذ مطلق ومن معه قرى كثيرة من نواحى سحار من أهل الباطنة. وبايع غالبهم على دين اللّه ورسوله والسمع والطاعة. ولم يبق محارب إلا مسكة ونواحيها مملكة سعيد وما تحت ولاية عزان من سحار، وغنموا منها غنائم كثيرة، وبعثوا الأخماس إلى سعود في الدرعية.

شناص

حوالي عام ١٢٢٥هـ ١٨١٠م هاجم الانكليز شناص وخاضوا حرباً شرسة ضدَّ أهلها، بعد أن استعصت على مطلق المطيري، ثمَّ سلموها لمطلق بعد أن أنهكتها البحرية البريطانية بالقصف.

صور

هاجم الوهابيون ساحل صور بشرقية عمان، عام ١٢٨٢ هـ/ ١٨٦٥م، منطلقين من واحة البريمي، واستطاعوا احتلالها وتقتيل الكثير من أهلها، واستولوا على أموال التجار.

مسقط ومطرح وبركاء وسمائل

وقد غزا الوهابيون بقيادة مطلق سمائل من داخلية عمان وبركا من الباطنة وأغاروا على مطرح فقتلوا ونهبوا ثمَّ توجهوا إلى مسقط، ولما عجزوا عن اقتحام سورها أحرقوا البيوت التي خارج السوق.

علماً بأن المسلمين بتلك المنطقة أكثرهم من المسلمين السنَّة النازحين من شبه القارة الهندية.

وهكذا قتِّل الكثير من أهل الباطنة وصور، مما اضطر الكثير منهم للدخول في العقيدة الوهابية وذلك لحقن دمائهم وحفظ وأموالهم.

هكذا كان المشهد في القرن التاسع عشر وبدايات القرن العشرين، فهل يختلف كثيرا عما هو الآن في العراق وسوريا واليمن وليبيا حيث يتواجد الفكر الداعشي؟

ربما يقال ان آلة القتل هي التي اختلفت وحسب والتي لا شك انها اصبحت اكثر فتكا من قبل؟

لكن الحق والحق اقول: إن آلة القتل ليست هي السيف ولا البندقية، كما انها ليست المدفع او الصاروخ.

ان آلة القتل الحقيقية التي قَتَل بها هؤلاء وما زالوا يقتلون هو: ذلك الفكر التكفيري الوهابي، اما السيف والبندقية فمجرد تفصيل صغير لا يقدم شيئأ ولا يؤخر الا اذا وقع بيد عقل وفكر يحترف الاجرام.

ثالثاً: اتفاقية «دارين» لعام ١٩١٥ بين ابن سعود وبريطانيا

تأتي أهمية اتفاقية «دارين» لعام ١٩١٥، بعد اتفاقية «الصبيحية» لعام ١٩١٤ التي أصبح بموجبها ابن سعود «قائمقام عثماني»[1] وذلك لاختلاف الظروف والأوضاع المستجدة على الساحة العالمية بعامة والخليج والجزيرة العربية بخاصة، وذلك بعد إعلان الدولة العثمانية الحرب على الحلفاء، ما دفع بريطانيا إلى السعي نحو إيجاد حلفاء لها في المنطقة، ومحاولة حل «الخلافة الإسلامية العثمانية» في شبه الجزيرة العربية.

لقد كانت اتفاقية «دارين» تهدف الى كسب بريطانيا ابن سعود من جهة، وشل حركة ابن رشيد حليف العثمانيين من جهة ثانية وذلك عن طريق حماية الخطوط الجنوبية للقوات البريطانية التي قامت باحتلال البصرة من الهجمات القوية لقبائل «الشمر» بقيادة ابن رشيد.

يبدء خط سير اتفاقية «دارين»، بالمباحثات التي جرت حولها. وذلك من خلال تطلع ابن سعود تجاه بريطانيا ودور الضابط البريطاني «شكسبير» في هذه الاتفاقية، ثم المسودة الأولى لها، والدور الذي قامت به حكومة الهند في إقناع الخارجية البريطانية بعقد اتفاقية الحماية مع ابن سعود. وبعدها توقيع اتفاقية «دارين» في ٢٦ ديسمبر ١٩١٥.

---

(١) هذا البحث هو ملخص لبحث كتبه الدكتور محمد حسن العيدروس ونشر في مجلة جامعة دمشق، المجلد ٢١، العددد ١+٢، ٢٠٠٥.

تطلع ابن سعود اتجاه بريطانيا

رأى ابن سعود مذ كان لاجئًا في الكويت، قوة النفوذ البريطاني في شمال الخليج الفارسي مقابل ضعف الدولة العثمانية. ما جعله يتجه مبكرًا إلى التفكير في الاستعانة بالنفوذ البريطاني. وبعد استيلائه على الرياض بمساعدة الشيخ مبارك عام ١٩٠٢، فكر ابن سعود بالاستعانة بالبريطانيين، وتلت محاولات مختلفة من جانب ابن سعود لكي يظفر بالتحالف مع بريطانيا وخاصة في فبراير عام ١٩٠٦ حيث تطلع صراحة الى تأييد الأسطول البريطاني في حملته لإخراج العثمانيين من الإحساء، مقابل امتيازات غير محددة تحصل عليها بريطانيا.

رحب «بيرسي كوكس» المقيم السياسي البريطاني في الخليج العربي بالفكرة، وبعث بمزاياها إلى الحكومة البريطانية في لندن التي رفضتا لانها كانت ماتزال متمسكة بالسياسة التقليدية القاضية بالحفاظ على الدولة العثمانية نظرًا لتعاطف القبائل العربية مع الخلافة العثمانية في عهد السلطان عبد الحميد الثاني.

تلقى المقيم السياسي البريطاني تقريرًا من المعتمد السياسي البريطاني في البحرين عن استيلاء ابن سعود على الإحساء، وانسحاب الحامية العثمانية من القطيف إلى البحرين في الأول من يونيو ١٩١٣، اما ابن سعود فقد بعث برسالة إلى «برسي كوكس» المقيم السياسي البريطاني في الخليج العربي بعد استيلائه على الإحساء مباشرة في ٨ رجب ١٣٣١ الموافق ١٣ يونيو ١٩١٣ يقول فيها:

«... نخاطب سيادتكم بالنظر إلى الصداقة القديمة بيننا وبينكم، وإلى المعاهدة الأسبق من ذلك التي تعود إلى عهد المغفور له جدي فيصل بن تركي والتي انقضى من مدتها خمسة وخمسون عامًا ويبقى منها خمسة وخمسون عامًا، إنني أرغب في إقامة العلاقة ذاتها.. وهذه الحقيقة دفعتني للإشارة إلى ذلك أولا، إنني واثق من أن لن يحدث شيء لشعبكم (يقصد بذلك الرعايا البريطانيين من الهنود في الإحساء) من شأنه أن يولد أسبابًا قد تكون منافية للصداقة والقوانين، وقد فتحنا هذه الأيام بلاد آبائنا وأجدادنا أي الإحساء والقطيف وكذلك توابعهما....وبالنظر إلى مشاعري الودية أود أن تكون علاقتي بكم كتلك التي كانت بينكم وبين أجدادي...فإننا نلتزم تجاهكم فيما يتعلق بأولئك الذين هم بطرفنا وبما يخص رعاياكم وسنحترم شرفهم ونحميهم ونكون مسؤولين..».

وبعث المقيم السياسي البريطاني في الخليج العربي نسخة من هذه الرسالة وفي ما يتصل بعلاقة ابن سعود الماضية والمستقبلية مع الحكومة البريطانية.

ورغم التردد فاننا نجد أن حكومة الهند ورجالها في الخليج العربي يريدون الإبقاء على الأقل، على العلاقات الودية مع ابن سعود بشكل غير رسمي والاتصال معه بشكل دوري والحفاظ على استمرارية اللقاء بين الضباط البريطانيين في الخليج العربي وخاصة في البحرين والكويت مع ابن سعود، ونجحت حكومة الهند في إقناع الخارجية البريطانية، التي وافقت على طلب حكومة الهند

باستمرار تلك الاتصالات بقولها:- «عدم الالتزام بأي خط سياسي مهما كان».

إعادة الاتصالات البريطانية مع ابن سعود

أرسلت الحكومة البريطانية في شهر أكتوبر ١٩١٤ بعض قواتها من الهند للمرابطة في البحرين التي تحولت إلى قاعدة حربية بريطانية، وقبل إعلان العثمانيين الحرب قامت بريطانيا بإعادة اتصالاتها مع حلفائها الثلاثة في الخليج العربي وهم الشيخ خزعل، الشيخ مبارك، ابن سعود الذي طلب بنهاية عام ١٩١٤ وبداية عام ١٩١٥ الدخول تحت الحماية البريطانية، ولاسيما أن طلب الحماية يرجع إلى تاريخ استيلائه على الحكم في نجد والإحساء إلا أن علاقة بريطانيا بالدولة العثمانية بعد اتفاقية عام ١٩١٣ حالت دون تحقيق ذلك الهدف، والآن بعدما دخلت الدولة العثمانية الحرب ضد بريطانيا، فإن ابن سعود أعاد الطلب في حين كانت فيه بريطانيا في أمس الحاجة إليه وإلى العرب الآخرين للتخلص من «إعلان الجهاد» من قبل العثمانيين، فطلب ابن سعود من بريطانيا إرسال مندوب بريطاني ليقيم لديه في الرياض وقد اختير الضابط النقيب «شكسبير» للقيام بهذه المهمة. وأرسل ابن سعود رسالة إلى «برسي كوكس» المقيم السياسي البريطاني في الخليج العربي في ٥ ديسمبر ١٩١٤ جاء فيها:

تسلمت رسالة من صديقي الكابتن «شكسبير» يطلب فيها أن يراني ولدى لقائنا سأشرح له أمورًا لابد وأنه سيبلغكم بها تؤكد العلاقات

القديمة بيننا وبين الحكومة البريطانية، أننا لا نزال متمسكين بعلاقاتنا القديمة وأنكم أفضل الناس من هذه الناحية ونحن نأمل كل خير منكم.....

استلم «برسي كوكس» رسالة ابن سعود وشعر بارتياح تجاه مشاعر ابن سعود من الاحتلال البريطاني للعراق.

أعاد ابن سعود تأكيد مطالبه السابقة وطالب في الحماية والاعتراف وعقد معاهدة وقد وافقت بريطانيا على ذلك.

وقال ابن سعود في رسالته المؤرخة في الأول من يناير ١٩١٥ ردًا على رسائل

المقيم السياسي البريطاني «بيرسي كوكس»: حمدت اللّه على سلامتكم وسررت بنجاحكم وكذلك سررت بأن أقرأ ما كتبتموه إلي حول نجاحكم في «القرنة» وأرجو لكم التوفيق الدائم أما فيما يتعلق بي فقد بعثتم في نفسي الأمل نتيجة ما تم من أمر احتلالكم هذه البلاد فسيكون لدينا سبب أعظم من السابق للرضا وأن بلادنا ستكون بمأمن من استبداد الحكومة التركية التي عانينا منها في الماضي وليس لدينا هناك شك بأنكم أعدل الناس وأكثرهم تقديرًا لحقوقنا وحقوق الناس المحترمين وأنني كنت معتزًا دائمًا بمشاعر الصداقة والاحترام نحوكم ولا أفكر بأي أمر يكون معارضًا لرغباتكم والآن قد تسلمنا بكل احترام أمركم، وأننا مقتنعون بأن مصلحتنا وشرفنا يتوقفان على إطاعة أوامركم.

الدور الخاص «لشكسبير» في اتفاقية «دارين»

على الرغم من اعتماد البريطانيين على الشريف حسين، ما كان بوسعهم أن يتجاهلوا ابن سعود. وعندما بدأت العمليات العسكرية في جنوب العراق استدعي المقيم السياسي البريطاني في الخليج العربي السير «برسي كوكس» مخبره الموهوب الضابط «شكسبير» من إجازته وأرسله إلى ابن سعود.

جاء اختيار الضابط «شكسبير» لمهمة إعادة التحالف والصداقة مع ابن سعود نظرًا لخبرته السابقة وعلاقته مع ابن سعود عندما كان معتمدًا سياسيًا في الكويت، تعد هذه الخطوة تحولا كبيرًا في السياسة البريطانية اتجاه ابن سعود الذي كانت بريطانيا تعده أميرًا قبليًا داخليًا.

غادر الضابط «شكسبير» الكويت في ١٢ ديسمبر ١٩١٥ ووصل إلى مخيم ابن سعود في ٣١ ديسمبر قرب الكويت، واستقبله ابن سعود بكل ترحاب، ثم كتب شكسبير تقريرًا عن الحالة السياسية العامة وعن الحملة ضد قبائل الشمر بقيادة ابن الرشيد، وعن علاقة بريطانيا بابن سعود. وقال في تقريره:

وبعد ذلك جاء في منتصف نوفمبر ١٩١٤ إعلانَ الحرب بين الدولة العثمانية وبريطانيا والوثائق المذكورة في رسالة الكويت وضمنها رسالة التأكيدات من وكيل المقيم وقد طلب إلى ابن سعود في هذه الوثيقة الأخيرة أن يتعهد بالحرب علنًا ضد الدولة العثمانية وتقوم الحكومة البريطانية مقابل ذلك:

١- بضمانه ضد أي انتقام من الدولة العثمانية.

٢- بضمانه ضد أي هجوم من البحر.

٣- بالاعتراف بوضعه الواقعي في نجد والإحساء وإعلامه

٤- بموافقة الحكومة البريطانية واستعدادها للدخول في عقد اتفاقية الحماية التي كان ابن سعود يسعى من أجلها من مدة طويلة.

وصحيح بأن ابن سعود تسلم تأكيدات بريطانية لحمايته مؤخرًا لكن الوثيقة عبارة عن رسالة غامضة ولم تكن هذه التأكيدات محدودة فقط بالحرب العالمية الأولى أو تمتد أيضًا إلى المستقبل، كذلك لم تطلب إليه شروطًا أخرى بعد ذلك.

وكدليل على رغبته في مساعدة الحكومة البريطانية دون أن يعرض نفسه للخطر بصورة لا أمل فيها، فإنه أوقف ابن رشيد زعيم قبائل الشمر الموالي للعثمانيين في محله وحث وطلب إلى شيوخ العرب وأمرائهم بالوقوف مع بريطانيا ضد الدولة العثمانية.

يقول الضابط البريطاني «شكسبير»، بذلت جهدي لإزالة المخاوف التي أبداها ابن سعود..أتجاسر فأعرض أن ابن سعود لا يطلب في الحقيقة سوى ما يزيد قليلا على ما نقدم له بالفعل في تأكيدات وكيل المقيم السياسي البريطاني في الخليج العربي، فيعرض ابن سعود مقابل ذلك أن يجعل من نفسه تابعًا لبريطانيا إلى النهاية ويظهر إن مسؤولياتنا تجاه ابن سعود ليست صعبة وإنما سهلة وهي كالآتي:

أولا: إن التهديدات العثمانية من غرب نجد وشمالها.. ولو أنها حقيقة لابن سعود، ليس من شأنها أن تقلقنا.

ثانيًا: يحتمل أن ندعي إلى العمل كمحكمين إلى درجة ما أكثر من السابق بين شيوخ العرب على الساحل وابن سعود، وهو واجب يكون على الأخص لمصلحتنا، ومن الجهة الأخرى تكون المنافع عظيمة في:

١- السيطرة الكاملة على الساحل العربي من الخليج العربي.

٢- سيطرة كاملة مماثلة على تجارة السلاح.

٣- المنع عمليًا للدول الأجنبية وتأثيرها في وسط الجزيرة العربية.

٤- الأمن الناشئ عن السيادة البريطانية، وسيطرة ابن سعود على القبائل البدوية سوف يكون حافزًا عظيمًا للتجارة في موانئ الخليج العربي ومن المحتمل تحويل جزء مما يمر الآن بموانئ البحر الأحمر.

٥- تأثير ابن سعود الكبير في الرأي الإسلامي في العالم العربي وهو تأثير من المحتمل أن يزيد حين تتمزق الدولة العثمانية الإسلامية وتكون خلافة السلطان موضع التساؤل وفي ذلك منفعة لبريطانيا.

٦- نفوذ ابن سعود على جميع العشائر العربية وخاصة عنزة الشمالية التي سوف تكون على اتصال وثيق بها بسبب احتلالنا لجنوب العراق.

المسودة الأولى لاتفاقية «دارين»

فيما يلي المسودة الأولى لاتفاقية دارين التي قام بإعدادها الضابط البريطاني شكسبير وأرسلها إلى حكومته البريطانية للموافقة عليها وإجراء التعديلات الممكنة وفق المصلحة البريطانية ٢١ وهي كما يلي بلسان ابن سعود:

١- أن تعترف الحكومة البريطانية وتقبل أن نجدًا والإحساء والقطيف وما حولها والموانئ التابعة لها على سواحل الخليج العربي تعود إلي، وهي إقليم آبائي وأجدادي وأنني الحاكم المستقل لها، وتكون بعدي لأبنائي وسلالتهم بالوراثة، وأن الإقليم المذكور هو إقليم مستقل لا حق للتدخل فيه لأي دولة أجنبية.

٢- أن تعلن الحكومة البريطانية حدود هذا الأقليم شمالا وجنوبًا وشرقًا وغربًا، برًا وبحرًا، وفيما يتعلق بالبدو الرحل الذين يتنقلون بين البلدان المجاورة وهم إما تحت الحماية البريطانية وإما مباشرة تحت الحكم البريطاني، وإذا نشأ خلاف بيني وبين رؤساء تلك البلدان تقدم الشكاوى في هذه الأمور، فإنها تحل وفقًا للملكيات وعوائد الآباء والأجداد.

٣- إن القضاء الحاضر في جميع أقاليمي يستمر وفقًا لقوانين الشريعة الإسلامية، وكل الذين يقيمون فيها يكونون خاضعين لهذه الشريعة في كل الأمور أو يكونون خاضعين للقانون الاعتيادي للبلدان التي يكونون فيها، وذلك سواء أكانوا من

رعاياي أم من رعايا الدول المجاورة لأقاليمي فبسبب العهد الديني نحن لا حول لنا دونها ولا نستطيع تجاوزها.

٤- لن يؤذن لأي أجنبي بالحصول على شبر من أقاليمي في داخل الحدود المعينة حتى ولا عن طريق التبادل إلا بعد الرجوع إلي وبإذني.

٥- بعد الإقرار بما تقدم من المواد تتعهد بريطانيا بمنع كل اضطهاد واعتداء يقع أو يحدث على أقاليمي برًا وبحرًا من جانب أي دولة كانت.

٦- تعد بريطانيا بألا تسمح ولا تشجع ولا تمنح ملجأ للأشخاص المتهمين أو الفارين من أقاليمنا سواء أكانوا من المدنيين أم من البدو الرحل.

٧- تحترم بريطانيا حقوق رعاياي وتحميها وتعاملهم كما تعامل رعاياها أنفسهم حين يكونون مقيمين في أقاليمها وتوابعها.

٨- إذا قبلت بريطانيا وأقرت بالمواد السابقة فعندئذ أقبل وأقر قطع المراجعات مع أي دولة أخرى في جميع شؤون الامتيازات والمداخلة والاتصال إلا بعد مراجعة الحكومة البريطانية.

٩- أتعهد بحماية التجارة في داخل أقاليمي من كل اعتداء وأن أتعامل مع رعاياها وفق المعاملة التي يعامل بها رعاياي في جميع شؤون الحكم والتجارة في بلاد بريطانيا وتوابعها.

١٠- أتعهد بالحماية في السواحل والموانئ الخاضعة لحكومتي من كل اعتداء على رعايا الحكومة البريطانية وأولئك الذين تحت حمايتها.

١١- سوف أمنع المتاجرة بالأسلحة والعتاد أكان من قبل الحكومة أم من قبل التجارة في كل الموانئ الخاضعة لحكومتي بشرط أنني إذا دعت حاجتي إلى أي شيء من السلاح والعتاد فإني أتوجه إلى الحكومة البريطانية للحصول على ما أحتاج إليه.

علق أحد المسؤولين البريطانيين على تلك المسودة والتقرير اللذين أعدهما الضابط البريطاني شكسبير عن مهمته الخاصة إلى ابن سعود بقوله: «إن هذا التقرير الطريف لابد أن يكون واحدًا من آخر التقارير التي كتبها الكابتن «شكسبير» قبل مقتله، ولعله آخرها جميعًا. إنه يؤكد مرة أخرى الفوائد العظيمة لدعم ابن سعود من كل قلوبنا.

إقناع حكومة الهند للخارجية البريطانية بعقد اتفاقية الحماية مع ابن سعود:

بعثت وزارة الخارجية البريطانية رسالة إلى القائم بالأعمال البريطاني في القاهرة عام ١٩١٥ بأن ابن سعود أرسل رسالة إلى الحكومة البريطانية يبدي فيها وقوفه إلى جانب بريطانيا ضد الدولة العثمانية وأن لهجة رسالته تبدو مرضية للغاية.

ردت حكومة الهند بوجهة نظرها تجاه مسودة الاتفاقية التي قدمها

ابن سعود لبريطانيا إلى مقيمها السياسي في الخليج العربي في ٢١ يناير ١٩١٥ وفيها الملاحظات التي يجب أن تراعى في عقد اتفاق مع ابن سعود.

جاء موقف «برسي كوكس» المقيم السياسي البريطاني في الخليج العربي موافقًا على اقتراحات حكومته في الهند.

نظرًا لتلك القناعات لدى حكومة الهند بضرورة عقد اتفاقية الحماية مع ابن سعود فقد أرسلت وزارة الهند كتابًا إلى وزارة الخارجية تطلب موافقتها على ذلك مبديًا المبررات وطريقة التعامل مع ابن سعود.

في ٢٩/ ١/ ١٩١٥ بعث نائب الملك في الهند ببرقية أخرى إلى وزارة الهند يطلب فيها ضرورة تعجيل التوصل إلى اتفاقية مع ابن سعود، ويقول: إننا نعتبر عقد الاتفاقية مع ابن سعود في وقت مبكر أمرًا بالغ الأهمية. في حين طلب ابن سعود إلى»برسي كوكس» المقيم السياسي البريطاني في الخليج العربي إيفاد موظف آخر لعقد الاتفاقية بعد مقتل «شكسبير» خلال معارك ابن سعود ضد ابن الرشيد زعيم قبائل الشمر، واستئناف المفاوضات بالمراسلة مباشرة من البصرة وليس بواسطة الكويت، كما أرسلت حكومة الهند رسالة إلى وزارة الهند في لندن وفيها الأوراق الكاملة المتعلقة بالمفاوضات مع ابن سعود بعدما درست التعديلات المقترحة من قبل ابن سعود بكل دقة في الاتفاقية الأولية التي أرسلها إليه «كوكس» للموافقة وإن هذه التعديلات ليست مهمة في معظمها. وطلبت وزارة الهند من

حكومة الهند من «كوكس» أن يلح في إعادة العبارات الأصلية التي تعلق عليها الحكومة البريطانية أهمية كبيرة وإيجاد إيضاح مناسب لذلك.

وافقت الخارجية البريطانية على مقترحات حكومة الهند حول الاتفاقية مع ابن سعود مع إدخال تعديلات.

وبعد ذلك أعطت حكومة الهند موافقتها للمقيم السياسي برسي كوكس فيما يراه مناسبًا بقولها: «إنك الآن مخول بتدبير اجتماع مع ابن سعود على ما تراه مرغوبًا فيه والتفاوض على هذه الأسس إذا تم عقد المعاهدة فإنها ستكون معلقة على تصديق حكومة الهند».

أرسلت حكومة الهند رسالة لابن سعود عن طريق برسي كوكس المقيم السياسي البريطاني في الخليج العربي بتاريخ ٢٧/ ٨/ ١٩١٥ وطلبت إليه أن يرسل بصيغة المخاطبة الودية التي يجب استعمالها من قبل نائب الملك لدى مخاطبة ابن سعود بكلتا اللغتين الإنكليزية والعربية وذلك لغرض إدخالها في قائمة العناوين المسجلة للرؤساء الهنود.

ولكن ابن سعود لم يستطع مقابلة المسؤول البريطاني بسبب سيطرة قبيلة «العجمان» القوية على منطقة الإحساء والتي أصبحت غير آمنة، واقترح تأجيل الاجتماع إلى أن يستتب الهدوء وفي الوقت نفسه تقدم بطلب مساعدات عسكرية ومادية عاجلة من بريطانيا لقتال قبيلة العجمان القوية.

طلب «برسي كوكس» من حكومته في الهند مساعدات مادية وعسكرية لتقديمها إلى ابن سعود ولسرعة التقديم اقترح أن يدفع من البحرين بأقساط شهرية مناسبة، ويقول: «إننا عند إعرابنا عن أستعدادنا لدفع القسط الأول يجب أن نرسل إلى ابن سعود نسخة معدلة من المعاهدة مع إيضاحات تفصيلية وأن يطلب إليه توقيعها، آمل بأن أتمكن بهذه الطريقة من تفادي مزيد من المناقشات والتأخيرات.

وافقت حكومة الهند على اقتراح برسي كوكس بتقديم الأسلحة والمال لابن سعود. وقال نائب الملك في الهند لوزير الهند في لندن: «أننا عندما نبلغ ابن سعود باستعدادنا لدفع القسط الأول يجب أن نرسل إلى ابن سعود نسخة معدلة من الاتفاقية مع إيضاحات تفصيلية ونطلب إليه توقيعها.

توقيع اتفاقية «دارين» في ٢٦ ديسمبر ١٩١٥

نظرًا لموافقة الخارجية البريطانية فإن حكومة الهند طلبت إلى برسي كوكس مقيمها السياسي في الخليج العربي التوجه إلى «دارين» وهي جزيرة في الخليج مواجهة للقطيف لتوقيع الاتفاقية مع ابن سعود.

وفي تاريخ ٤ ديسمبر تسلم المعتمد السياسي البريطاني في البحرين رسالة من ابن سعود يعرب فيها عن رغبته في الإسراع في عقد الاتفاقية، ونظرًا لصعوبة الاتصال بين ابن سعود والبريطانيين في البحرين فقد حدث بعض الالتباس في عقد الاجتماع دعا إلى

تأخيره،ولكن عندما تمكن المسؤول البريطاني ويدعى «كيز» من مقابلة ابن سعود في القطيف بتاريخ ٢١ديسمبر ١٩١٥، فإن الأخير أخبره بأنه لا يستطع البقاء أكثر من تاريخ ٢٥ ديسمبر مما اضطر «برسي كوكس» المقيم السياسي البريطاني بالتوجه إلى القطيف بسرعة.

وعقد مع ابن سعود اتفاقية دارين في ٢٦ ديسمبر ١٩١٥ (وان كان نص الاتفاقية مدون عليها انها تمت في شهر كانون الثاني يناير ١٩١٥ والسبب يعود الى التأخير الذي حصل في عقد الاجتماع بسبب ظروف امنية حالت دون قدوم ابن سعود في التاريخ المحدد سابقا) ومن ثم بعث ببرقية إلى حكومته في الهند والتي أرسلت نسخة منها إلى وزارة الهند في لندن لتقديمها إلى الخارجية البريطانية وجاء في البرقية أن «المعاهدة مع ابن سعود عقدت في ٢٦ ديسمبر ١٩١٥ والنص الذي تم الاتفاق عليه أخيرًا يبدو لي مرضيًا ومتفقًا مع متطلبات برقية وزير الهند وكان موقف ابن سعود الشخصي صريحًا ومستقيمًا وأنني اعتقد أن انضمامه إلينا بثبات خلال الحرب يمكن الاعتماد عليه.

انتهت المفاوضات التي استمرت مدة عام بين ابن سعود وبريطانيا إلى توقيع اتفاقية الحماية البريطانية في «دارين» بتاريخ ٢٦ ديسمبر ١٩١٥ ووقعها السير برسي كوكس المقيم السياسي البريطاني في الخليج العربي وابن سعود، وبموجب هذه الاتفاقية اعترف البريطانيون بنجد والإحساء ملكًا لابن سعود، كما كانت

لآبائه من قبله ولأحفاده من بعده والتزمت بريطانيا بحماية ابن سعود وعدم دخول الأخير في علاقة مع أي قوة خارجية وبعدم التنازل أو التخلي عن أي أرض دون الموافقة البريطانية، وباتباع نصح بريطانيا وعدم الإضرار بمصالحها وعدم الاعتداء على إمارات شرق الجزيرة العربية المرتبطة أيضًا باتفاقيات الحماية مع بريطانيا.

تلقى ابن سعود في مقابل هذه الاتفاقية قرضًا بعشرين ألف جنيه إسترليني وألف قطعة سلاح ومئتي ألف وحدة ذخيرة، كما اتفق على مساعدة شهرية تبلغ خمسة آلاف جنيه إسترليني، وكان للمساعدة البريطانية بالمال والسلاح أهميتها الخاصة لابن سعود، ليس فيما يتعلق بمجريات الحرب العالمية الأولى إذ كان ابن سعود فيها

محدودًا وسهلا، وإنما في تحديد مصيره ومستقبله السياسي في مواجهة أعدائه الداخليين وخاصة قبائل الشمر والعجمان و«المرة».

وأهم ما اشتملت عليه بنود هذه الاتفاقية ما يلي:

أولا: اعتراف الحكومة البريطانية بابن سعود وخلفائه من بعده حكامًا.

ثانيًا: تقرير الحماية لابن سعود.

ثالثًا: إشراف بريطانيا على علاقات ابن سعود الخارجية.

رابعًا: يتعهد ابن سعود بأن لا يتخطى ولا يبيع ولا يرهن أي قطعة من الأراضي التابعة له ولا يمنح امتيازات لدولة أجنبية دون موافقة الحكومة البريطانية وأن يتبع نصائحها التي لا تضر بمصلحته.

خامسًا: يتعهد ابن سعود أن يبقي طرق الحج مفتوحة وأن يحافظ على الحجاج في أثناء ذهابهم لتأدية فريضة الحج.

سادسًا: يتعهد ابن سعود بأن يمتنع عن كل مداخلة في أراضي الكويت والبحرين وقطر وعمان وسواحلها وكل الشيوخ الموجودين تحت حماية بريطانيا والذين لهم معاهدات معها.

أصبح ابن سعود بعد تلك الاتفاقية مثله مثل بقية شيوخ القبائل في شرق الجزيرة العربية المرتبطين بمعاهدات الحماية مع بريطانيا التي قدمت له مقابل توقيعه تلك الاتفاقية المساعدات المالية والفنية والعسكرية والضباط البريطانيين، وكان ابن سعود بحاجة ملحة للمال والسلاح اللذين قدمتهما له بريطانيا لمقاتلة أعدائه التقليديين وهم من قبائل «العجمان» و«المرة» و«الهواجر» و«الشمر»، وأرسلت المساعدات المالية والنقدية والأسلحة والذخيرة من البحرين حتى يستطيع ابن سعود أن يفي باحتياجات الحملة التي وجهها ضد قبائل العجمان. وكان من نتائج توقيع معاهدة دارين لعام ١٩١٥، أن توسط المقيم السياسي البريطاني «برسي كوكس» مع سالم الصباح حاكم الكويت، كي يقوم بطرد قبائل العجمان من إمارته بناء على طلب من ابن سعود.

الفصل الثالث

ويستمر التكفير
تنظيم القاعدة

أولاً: السعودية وتنظيم القاعدة من التأسيس الى المخاوف

ليس غريبا ان يكون خمسة عشر رجلا من اصل تسعة عشر ممن نفذوا هجمات الحادي عشر من ايلول هم من الجنسية السعودية...[1]

فمواطنوا المملكة كانوا يتمتعون بامتيازات تخولهم دخولهم الاراضي الاميركية لاسباب تعليمية و استثمارية، اضافة الى ان المملكة هي المعقل الاساس للفكر الوهابي الذي تخرج منه الفكر التكفيري. فما هي طبيعة العلاقة التي تربط بين السعودية وتنظيم القاعدة؟. للاجابة على هذا السؤال لا بد من ملاحقة القضية من بداياتها، اي ملابسات نشوء المملكة ومن ثم الكشف عن جذور التنظيم بعد حوالي قرن من الزمن لنكتشف ان العلاقة بين الاثنين لم تكن وليدة صدفة بقدر ما هي تحالف سياسي ديني يضمن لآل سعود غطاء دينيا، ويؤمن لابناء عبد الوهاب، مؤسس الفكر الوهابي امتيازات سياسية واقتصادية.

١- الجذور

الدم، الدم، الهدم، الهدم، كان هذا الشعار من اهم البنود في

(١) كُتب هذا البحث قبل احتلال داعش لشمال العراق وقبل اعلان داعش للخلافة.

التحالف الذي قام بين محمد بن عبد الوهاب، مؤسس الوهابية وبين ابن سعود، مؤسس الدولة السعودية الاولى (١٧٤٥-١٨١٨).

لقد وجد ابن عبدالوهاب المتوثب لنشر فكره التكفيري في آل سعود ضالته، اي الدعم السياسي من العشائر السعودية، فيما وجد ابن سعود في ابن عبدالوهاب الغطاء الديني الذي يعطي لحركته السياسية غطاء دينيا..

لقد اعطى ابن عبدالوهاب لآل سعود تشريع الاستحلال بعد ان اتهم كل المسلمين الاخرين بالكفر، وجعل ذلك الاتهام مبررا دينيا للغزو و التوسع. وبذالك قامت الدولة السعودية الاولى، ونشرت السلب و النهب وسفك الدماء في الجزيرة العربية وحول الخليج و في العراق والشام.

وهكذا استمرت الغارات السعودية الوهابية في العراق فتحول على ايديهم إلى فوضى ودمار.

ورغم أن محمد علي باشا والدولة العثمانية قد قضت على الدولة السعودية الأولى ودمرت عاصمتها الدرعية، إلا ان ذلك لم يكن كافيا ؛ لأن القضاء على هذه الدولة عسكريا غير كاف ما لم تواجه فكريا من داخل الدين الإسلامي نفسه.

لقد وجد أهل نجد وأتباع الوهابية في الفكر الوهابي مرتعا لتحقيق نزواتهم باسم الدين، فكل ما عداهم كافر يحق لهم قتاله وقتله وسلبه، والنزو على نساءه، ونهب أمواله. ولا غرابة في ان

تنطلق الدعوة الوهابية من اعراب نجد، او ان تعتمد الدعوة عليهم. فمنطقة «نجد» متطرفة فى مناخها،شحيحة فى مواردها، منعزلة فى صحرائه،ا لا يرى أهلها إلا أنفسهم.

ففى صحراء نجد القاحلة والواسعة، عاش العرب على قطع الطرق؛ لذلك فقد اعتبروا ان مجيء دعوة دينية تبرر وتبيح لهم القتل والسلب للاخرين على أنه جهاد، هو فرصة كبرى ينبغي استثمارها. من هنا نرى ان استحلال النجديين لدماء المسلمين المسالمين وأموالهم وأعراضهم ضارب فى التاريخ، ومرتبط بثورات نجد الدينية، تلك الثورات التى تخصصت فى التدمير وسفك الدماء.

وما عدا الثورات ومشروعات الدول الدموية، فإن تاريخ نجد يبدو مجرد غارات داخلية فيما بينهم، أو غارات سنوية عادية على قوافل الحجاج، أى مجرد غارات «علماني» خالية من الشعارات الدينية؛ لذلك استلزمت أن تسير قوافل الحجاج فى حماية جيش كامل، لحمايتهم من غارات أعراب نجد.

ولهذا نجد ان مؤرخا كابن خلدون قرر فى مقدمته الشهيرة أن الاعراب هم أسرع الناس للخراب، وأنهم يحتاجون إلى دعوة دينية يستطيعون من خلالها استحلال الدماء والاموال والاعراض، لإسباغ الشرعية على ثوراتهم واعتداءاتهم[1].

(١) ابن خلدون، عبد الرحمن محمد، مقدمة ابن خلدون، ص ١٢٥ , ١٢٧.

ولهذه الاسباب استطاع تحالف أل سعود ـ ابناء عبدالوهاب من اعادة بناء دولتهم (الدولة السعودية الثانية)، بعد ثلاث سنوات فقط (١٨٢١ـ١٨٨٩)؛ لكنها سرعان ما سقطت بسبب تقاتل الامراء فيما بينهم على الغنائم والسلطة.

وبعد ثلاث عشرة سنة، أي عام ١٩٠٢ تمكن عبدالعزيز بن عبدالرحمن بن فيصل أل سعود من بناء الدولة الوهابية الثالثة، وهي الدولة التي لا تزال إلى الآن.

اعتمد عبدالعزيز في ملكه على البدو، عبر اقناعهم بالعقيدة الوهابية على أنها تمثل الاسلام حصرا. لقد اغرت العقيدة الوهابية أهل البدو من النجديين؛ لأنها اعطتهم التشريع الإسلامي لحياتهم القائمة اصلا على السلب والنهب، والقتل وقطع الطرق كما اسلفنا. وماذا يريد ذلك البدوي أكثر من أن تجعل له القتل جهادا، السلب والنهب غنائما، وان هو قُتل فالجنة بانتظاره؛ لانه «شهيد».

لم يحمل عبد العزيز في بداية نشاطه العسكري اهدافا دينية، ولم «يلجأ الى الخطاب الديني بصورة كثيفة ومعلنة قبل احتلال الاحساء عام ١٩١٣»[١].

الا أنه ومع بداية التطلع نحو ما وراء نجد و«إخوانهم»، كان لا بد من اعادة استعمال الخطاب الدعوي، والتركيز على الإنبعاث الديني وإعادة إحياء مفردات دار الهجرة، وذلك من أجل تحشيد مجتمع

(١) ابراهيم، فؤاد، السلفية الجهادية في السعودية، بيرقت، دار الساقي، ط١، ٢٠٠٩م، ص٣٤.

النجديين وبناء جبهة داخلية مرصوصة، يلعب فيها علماء الدين دوراً محورياً لإنجاح المشروع[١].

لقد رأى ابن سعود أن التوسع العسكري غير ممكن الا بإستعمال سلاح الدين، وذلك عبر قيام العلماء بنزع صفة الإسلام عن المحتمعات التي يراد إجتياحها. وبذلك تصبح هذه المجتمعات مجتمعات شرك ضلال. تُهم كانت كافيةً «لتوفير مبررات العقاب الالهي المنزل على يد جيش الأخوان» فأعاد ابن سعود والعلماء الذين يقفون خلفه «إحياء المعنى الديني لغزو المناطق المجاورة، وجعل إشاعة الرعب والدماء وسلب الممتلكات وقتل الإهالي ممارسات مبررة شرعاً»[٢].

لم تكن استعانة عبدالعزيز بالنجديين إلا استعانة مرحلية، لاسباب خارجة عن إطار هذا البحث، استفاد منهم في غزو الاحساء وحائل وشمر، وهزم آل الرشيد، واستولى على العسير والحجاز وهاجم الكويت والعراق وشرق الأردن.

وما ان استتب لعبدالعزيز الامر بعد ضم الحجاز، حتى شن حربه على النجديين أنفسهم عام (١٩٢٨-١٩٢٦) في معركة السبلة.

وحتى لا نطيل هنا، فسنكتفي بذكر مقاطع من كتاب «بريطانيا وابن سعود» للكاتب محمد علي سعيد حيث يقول:

---

(١) المصدر نفسه، ص٣٤.

(٢) ابراهيم، فؤاد، السلفية الجهادية في السعودية، مصدر سابق، ص٣٤-٣٥.

«مع بداية القرن العشرين اضحت الامبراطورية البريطانية سيدة الخليج...، في هذه الاثناء كان هم بريطانيا اكتساب اكبر عدد من الاصدقاء والحكام وشيوخ القبائل وتوقع اتفاقيات ثنائية معهم تكرس فيها سيطرتها عليهم عن طريق المساعدات والرواتب الشهرية والاسلحة،...ثم مالبثت ان وضعت فلولا من قواتها في الاراضي الخليجية علامة على استعمارها العسكري المباشر.. وهكذا كانت اغلب مشيخات الخليج بما فيها ايران وجنوب العراق تحت السيطرة الانجليزية المباشرة.

كان هذا وضع مشيخات الخليج، اما وضع الجزيرة العربية آنذاك فيمكن تلخيصه بالتالي:

كان الشريف حسين مسيطراً تماما على ما يمكن تسميته اليوم (بالمنطقة العربية) (مكة، جدة، المدينة، الطائف).. اما الجزء الجنوبي من الجزيرة العربية فكان خاضعا للنفوذ البريطاني.. وشرق الجزيرة «الاحساء والقطيف» كان خاضعا للحماية التركية آنذاك.

اما اواسط الجزيرة «نجد وما حولها «فكانت تحت سيطرة ابن الرشيد الذي هزم «السعوديين وارغمهم على الهرب إلى الكويت..

كان لحاكم الكويت «محمد» اخ يدعى مبارك وكان على خلاف معه فسافر إلى «بومباي» في الهند التي كانت مستعمرة بريطانية، وهناك قضى عدة سنوات من عمره في التجارة الا آنه وفي بداية تواجده في الهند اتصل بالمكتب الهندي التابع للمخابرات البريطانية وهناك جند كعميل بريطاني حيث وضعت اموال طائلة تحت تصرفة

وكان يجد المال في أي وقت يشاء وحين يسأل عن مصدر الثروات يقول: ان كرم اللّه لا حدود له!!

وعاد مبارك إلى الكويت عام ١٨٩٧ م فوجد عبد العزيز..، ولا غرابة في ان يحيط مبارك الصباح عبد العزيز وان يكيف عجينته حسب متطلبات اسياده الانجليز وكان يقول في نفسه «ان لهذا الصبي خامة جيدة ومن الممكن أن يجعل منه شيء كبير»

وتلقى «عبد العزيز» خلال سنتين (١٨٩٧-١٨٩٩) تربية وتعليما في فنون العلاقات، وادخله مبارك الصباح المدرسة وكان عمره آنذاك (١٨ سنة)، وتقدم «عبد العزيز» خطوة حين عينه مبارك سكرتيرا له وبدا باحاطة «عبد العزيز» علما ببعض انشطته ثم جعله يحضر مقابلاته الخاصة..وعن هذا الطريق قابل حشدا من عملاء الدول الاجنبية وخصوصا الانجليز الذي كانت علاقة مبارك بهم قوية..

في هذه الاثناء فكرت بريطانيا بتنفيذ انقلاب عسكري على حاكم الكويت آنذاك لاحكام السيطرة الانكليزية على الكويت وجعلها محمية تابعة لها وطرد الاتراك منها...من هنا قام مبارك «عميل الانجليز» بانقلاب على اخيه وقتله بنفسه واعلن نفسه حاكما... وتعزز موقع عبد العزيز وابيه بعد الانقلاب فقربهم مبارك ووضع عبد الرحمن على رأسحملة ضد ابن الرشيد، كما وضع تحت تصرف «ابن سعود» عبد العزيز الف مقاتل لغزو الرياض ووقعت معركة الصريف (١٩٠١ م) الذي هزم فيها مبارك هزيمة منكرة...

وهنا تذكر مبارك حماته الجدد الانكليز فابرق إلى بوشهر (الميناء

الايراني المعروف) والخاضع للسيطرة الانجليزية يستنجدهم.. فظهرت بارجة بريطانية عند فرضة الكويت ووجهت مدافعها نحو المدينة ثم ارسل قائد البارجة الحربية زورقاً إلى البر وعرف من يلزم بان مباركا هو صديق صاحب الجلالة البريطاني وان بريطانيا قد وضعته تحت حمايتها، وانها لن تسمح بطرده من مدينته. ثم ارسل الضابط البحري الانكليزي مندوبين إلى ابن الرشيد يطلبون إليه سحب قواته من المنطقة. وهكذا تراجع ابن الرشيد... ونجا «ابن سعود» كما نجا مبارك من فتك ابن الرشيد...

بعد معركة الصريف وخروج مبارك الصباح منكسرا جاء عبد العزيز إليه يحثه لمقاتلة ابن الرشيد، ومع ان مباركا يميل إلى مقاتلة ابن الرشيد ويحلم بالسيطرة على نجد الا آنه لم يجد دافعا قويا نحو الغزو. حينها توجه عبد العزيز نحو الانكليز، فاتصل بعملاء من القنصلية البريطانية وسألهم تقديم العون له.. لقد كان مبارك موضع ثقتهم في الكويت وبفضله اقاموا محمية هناك وبواسطته اتصل عبد العزيز بهم. فلماذا لا توكل إليه مهمة مماثلة في نجد؟

على غرار المهمة التي قام بها مبارك بانقلابه على اخيه؟ وهو في نفس الوقت عدو للاتراك اعداء الانجليز.

اثار طلب عبد العزيز اهتمام المخابرات البريطانية كثيرا فأوعزت لمبارك الصباح ان يساعده للقيام بانقلاب مماثل في الرياض وفعل ما امر به وحث ابن سعود للاستيلاء على الرياض فوجده اشد منه رغبة في ذلك... وكما كان لانجلترا اطماع كان لعبد العزيز ذاته طمع في

ان يسيطر على الرياض، وابن الصباح كان يفكر ان كل انتصار «لعبد العزيز» انتصار لشخصه وتوسيع للمملكته!!

وهكذا تلاقت هذه الاطماع الثلاثة لتعد عدة بسيطة قوامها يزيد على اربعين شخص قليلا، كيلا تثير انتباه احد، وساروا متوجهين إلى الرياض وهناك قاموا بانقلابهم الذي ادى إلى قتل ابن عجلان حاكم الرياض والسيطرة عليها كما هو معروف»[١].

ومهما يكن من امر، فقد استطاع ان يقيم ابن سعود نظاما يقوم على احتكار السلطة الدينية والزمنية معاً، وقد ساعده على ذلك العلماء في تعزيز هذا المقام المزدوج، وان كان ذلك مرتبط، من وجهة نظر هلماء الوهابية، بمدى التزام عبد العزيز بتطبيق الأحكام الشرعية.

لقد استطاع ابن سعود اكتساب تأييد كبار العلماء، لا سيما آل الشيخ، وحظي بإحترامهم لانهم أدركوا «انه لولا دوره التاريخي لما نجت دعوة جدهم الشيخ محمد بن عبد الوهاب من الإندثار والضياع الى الابد»[٢]. من هنا وجد هؤلاء العلماء ان إمامة ابن سعود، وبيعته وطاعته من قبل الرعية، هو تعبير عن العقيدة الخالصة لمنع انكسار الدولة الجديدة وتكرار ما جرى في في الدولة السعودية الثانية.

وعلى أي حال، فقد جاءت الاكتشافات النفطية الكبيرة لتعطي لهذا التحالف قوة للتوسع نحو مصر واليمن ودول أخرى.

---

(١) سعيد، محمد علي، تاريخ بريطانيا وابن سعود، دار الجزيرة للنشر، ص٤-٩

(٢) السلفية الجهادية في السعودية، مصدر سابق، ص٣٥.

ورغم أن البعض يعتبر أن ما يسمى بالسلفية الجهادية هو مصطلح جديد ظهر منذ ثمانينات القرن العشرين، وان صياغاته النظرية الاولى ظهرت على يد سيد قطب في كتابه «معالم في الطريق»، تحت تاثيرات كتابات ابي الاعلى المودودي، لا سيما كتابه المصطلحات الأربع في القران، والتي اطلع عليه سيد قطب في السجن، أقول رغم هذا فان مضمون مايسمى بالسلفية الجهادية موجود في ثنايا كتب الوهابية ومن أسس لعقيدتهم ككتب ابن تيمية. ولعل من ذهب الى هذا الرأي كان يلحظ تاريخ «الاخوان المسلمين» مقارنة مع فكر المؤسس حسن البنا. ولعل السبب في الخلط، حول الجذور الفكرية، هو ان بعض المنظرين الفكريين الذين كانوا ينتمون إلى الفكر الاخواني في مصر، قد انقلبوا عليه نحو خط آخر اكثر عنفاً: كعبد القادر بن عبدالعزيز، وعصام الدين دربالة، وعاصم عبد الماجد.

ويرى البعض أن تشكيل الاخوان المسلمين في مصر على يد حسن البنا، شكل انعطافة كبيرة. ورغم ان جماعة الاخوان قد تأسست بدعم سعودي، حسب قول بعض المؤرخين، إلا أن المملكة بدأت ترى في الاخوان منافسا كبيرا لها في الاستقطاب، لا سيما بعد أن بدأت الجماعة تستقل بقراراتها عن المملكة. فقد مثلت حركة الصحوة في المملكة، مع ما تمثله من فكر إخواني، وما تلاه من أحداث في مطلع التسعينيات من القرن الماضي، عنصر قلق داخل المملكة.

لذلك بدأ آل سعود في تكوين جماعات سلفية جديدة، انطلقت

في الاساس من رحم جماعة الاخوان المسلمين، لا سيما بعد كتابات أبي الاعلى المودودي وسيد قطب.

لقد فشل التيار السلفي في بداياته من احراز نجاحات كبيرة، تستطيع أن تنافس جماعة الإخوان، لا سيما مع اختلافات فكرية وتنظيمية، وقد ادى هذا الاختلاف الى بروز ماعرف فيما بعد باسم السلفية الجهادية.

لقد وجدت السعودية في بروز الجمهورية الاسلامية في ايران شعارا كبيرا لها، تستطيع من خلاله شد عضد جماعاتها. وكان وجود الجيش السوفياتي في افغانستان فرصة مؤاتيه لبروز «الحركة الجهادية»، فكان تشكيل تنظيم القاعدة ودعم حركة طالبان وغيرها.

٢- النشوء

في مقابلة مسجلة على شريط فيديو في أكتوبر ٢٠٠١ قال أسامة بن لادن عن أصل تسمية القاعدة:

«ظهر اسم القاعدة منذ فترة طويلة بمحض الصدفة، فالراحل أبو عبيدة البنشيري أسس معسكرات تدريب المجاهدين لمكافحة إرهاب روسيا. كنا نسمي معسكرات التدريب بالقاعدة، وبقي الاسم كذلك».

غير أن الصحفي «بيتر بيرجن» قال أنه حصل على وثيقتين من سرايیفو في مكتب المؤسسة الخيرية الدولية، تشيران إلى أن المنظمة التي تأسست في أغسطس ١٩٨٨، لم يسمها: «المجاهدون» بهذا

الاسم، وأن هاتين الوثيقتين تحتويان على محاضر الاجتماعات التي عقدت لتأسيس مجموعة عسكرية جديدة، وتحت اسم «القاعدة».

اتفق بن لادن مع المشاركين في تلك الاجتماعات في ٢٠ أغسطس ١٩٨٨، على أن «القاعدة» ستكون الجماعة الرسمية التي تجمع الفصائل الإسلامية، التي هدفها رفع كلمة اللّه والانتصار لدينه. وكانت هناك قائمة شروط للعضوية، مثل السمع والطاعة، وحسن الخلق، والتعهد بطاعة القادة.

ووفقا للورانس رايت، فاسم «تنظيم القاعدة» لم يستخدم في التصريحات العلنية، مثل فتوى عام ١٩٩٨ لقتل الأمريكيين وحلفائهم، ذلك لأن «وجودها كان لا يزال سريًا» [١].

وذكر رايت أن القاعدة تشكلت في ١١ أغسطس ١٩٨٨، في اجتماع مع عدد من كبار قادة «الجهاد الإسلامي المصري»، مثل سيد إمام الشريف، وأيمن الظواهري، وعبد اللّه عزام، مع أسامة بن لادن؛ حيث اتفقوا على توظيف أموال بن لادن، مع خبرة منظمة الجهاد الإسلامي، ومواصلة الجهاد في مكان آخر، بعد أن انسحب السوفييت من أفغانستان.

وبمعزل عن تاريخ التسمية او ظهور القاعدة كتنظيم، فمن الواضح ان هذه المجموعات قد بدأت ارهاصاتها بالتمظهر خلال الحرب الباردة، وتحديدا دخول الاتحاد السوفياتي الى افغانستان.

---

(١) راجع:, Lawrence Wright (2006). The Looming Tower: Al-Qaeda and the Road to 9/11. New York: Knopf, (p260.

كان الهدف من تأسيس القاعدة في البداية، محاربة الشيوعيين في الحرب السوفيتية في أفغانستان، بدعم من الولايات المتحدة التي كانت تنظر إلى الصراع الدائر في أفغانستان بين الشيوعيين والأفغان المتحالفين مع القوات السوفيتية من جهة، والأفغان «المجاهدين» من جهة أخرى، على أنه يمثل حالة صارخة من التوسع والعدوان السوفييتي. موّلت الولايات المتحدة، باموال سعودية عن طريق المخابرات الباكستانية، «المجاهدين الأفغان» الذين كانوا يقاتلون السوفيتي، في برنامج لوكالة المخابرات المركزية سمي بـ «عملية الإعصار».

في الوقت نفسه، تزايدت أعداد العرب «المجاهدين» المنضوين تحت راية القاعدة (الذين أطلق عليهم «الأفغان العرب») «للجهاد ضد النظام الماركسي الأفغاني»، بمساعدة من المنظمات الإسلامية الدولية، وخاصة مكتب خدمات المجاهدين العرب، الذي أمدهم بأموال تقارب ٦٠٠ مليون دولار في السنة، تبرعت بها المملكة العربية السعودية وافراد من الأثرياء السعوديين المقربين من أسامة بن لادن.

في هذا الوقت كان عبد اللّه عزام قد أسس، بمساعدة ابن لادن، مكتب الخدمات في بيشاور (باكستان) في عام ١٩٨٤. ومنذ عام ١٩٨٦، افتتح المكتب شبكة من مكاتب التجنيد في الولايات المتحدة، أبرزها كان مركز اللاجئين «كفاح» في مسجد الفاروق في شارع الأطلسي ببروكلين في نيويورك. ومن بين أبرز الشخصيات

في مركز بروكلين، «العميل المزدوج» علي محمد (الذي أطلق عليه جاك كلونان عميل مكتب التحقيقات الفيدرالي اسم «المدرب الأول لابن لادن»). و«الشيخ الضرير» عمر عبد الرحمن، رائد عملية تجنيد «المجاهدين» في أفغانستان.

يُعتقد أن «المجاهدين» الأفغان في الثمانينات، كانوا مصدر إلهام لجماعات «جهادية» في دول مثل أندونيسيا والفليبين ومصر والسعودية، والجزائر والشيشان ويوغوسلافيا السابقة. ووفقًا للمصادر الروسية، يُعتقد أن مرتكبي التفجير الأول لمركز التجارة العالمي عام ١٩٩٣، استخدموا دليلاً كتبته وكالة المخابرات المركزية الأمريكية للمقاتلين في أفغانستان، عن كيفية تصنيع المواد المتفجرة.

كان مكتب الخدمات يوفر دورًا لضيافة «المجاهدين» في بيشاور في باكستان، قرب الحدود الأفغانية، ومعسكرات شبه عسكرية للتدريب في أفغانستان، لإعداد مجندين دوليين غير أفغان لجبهة الحرب الأفغانية. وقد أقنع عزام ابن لادن بالانضمام إلى مكتب الخدمات، الذي استخدم ماله الخاص وعلاقاته مع «العائلة المالكة في السعودية وأصحاب المليارات النفطية في الخليج»، لبذل المزيد من الجهد لمساعدة المجاهدين[1]. لكن ابن لادن سرعان ما انفصل عن عبد الله عزام، وخرج عن عباءته عام ١٩٨٦ وانشأ معسكره

(١) راجع: Lawrence Wright, The Rebellion Within ,An Al Qaeda mastermind questions terrorism, , June 2, 2008.

الخاص «مأسدة الأنصار»، المخصص لتكوين قوات عربية صرفة في افغانستان[١].

ويبدو لي أن مشروع تشكيل قوة عربية «جهادية»، كانت فكرة موجودة في وقت مبكر عند ابن لادن، وبهذا المعنى يصبح الجهاد في إفغانستان مفيداً للعرب، ولتكوين وصقل هذه المجموعة أكثر منها إفادة للافغان انفسهم، اذا ما أخذنا بعين الاعتبار عدد العرب المشاركين في «الجهاد الافغاني»، مقارنة بعدد الفصائل الافغانية نفسها. بل رأى البعض أن المملكة نفسها كانت وراء الافتراق بين بن لادن وعبد اللّه عزام، ويعلل هؤلاء السبب بتوجس المملكة خيفة من الجهاد الافغاني، الذي اخذ يترك اثرا في اوساط الاسلاميين «الراديكاليين» المعادين للانظمة في الشرق الاوسط. فاعتبر بعض الباحثين ان عدم امتلاك المملكة السيطرة الكافية على الشيخ عبد اللّه عزام، دفعها لتشجيع ابن لادن على الانفصال عنه عن طريق بعض اصدقاء ابن لادن وبعض المتمولين. بدوره، لم يجد ابن لادن في الانفصال ما يؤثر سلباً على مشروعه، بل على العكس، فانه سيهدأ من قلق السلطات السعودية، ما يعطيه حرية اكثر في العمل على تجنيد السعوديين.

ومع انسحاب الاتحاد السوفياتي من أفغانستان في عام ١٩٨٩، عاد أسامة بن لادن إلى المملكة العربية السعودية، وكان في ذلك

(١) لاكروا، ستيفان، زمن الصحوة، بيروت، الشبكة العربية للابحاث والنشر، ط١، ٢٠١٢، ص١٥٢.

الوقت قد بدأت تتبلور بشكل اكبر معالم «الفكر الجهادي»، بعد تنظيرات عبد اللّه عزام لفكرة «الجهاد» على انه أهم فرض من فروض العين، كما ان التجربة الافغانية قد اكسبت هؤلاء خبرة قتالية عالية.

لقد كان الانسحاب السوفياتي من افغانستان بمثابة الفراغ الاستراتيجي بالنسبة للتنظيم، الذي وجد نفسه «عاطلا عن العمل»، مع انعدام وجود عدو واضح يوجه «الجهاد» ضده.

فوجد هؤلاء في بعض بؤر التوتر في العالم الاسلامي، كالبوسنة والشيشان وغيرهما، متنفسا «جهاديا» لاكتساب المزيد من الخبرة والانصار.

يُجمع المتتبعون أن هذه الحركة اعتمدت أساسا على الدعم المادي السعودي، سواء من خلال النظام مباشرة، او بعض الامراء في الاسرة الحاكمة.

٣- الافتراق المرحلي

وضع الغزو العراقي الكويت عام ١٩٩٠ المملكة العربية السعودية وآل سعود في خطر، ففي السعودية، أهم حقول النفط، وهي على مقربة من القوات العراقية في الكويت، بالإضافة لدعوة صدام حسين للاتحاد العربي الإسلامي، التي يمكن أن تجمع المعارضة الداخلية.

لقد اختار الملك فهد بن عبد العزيز، لحماية المملكة العربية

السعودية من الجيش العراقي، الاستعانة بالقوات الأمريكية والقوات الحليفة، وسمح لهم بالانتشار على الأراضي السعودية. أثار القرار السعودي غضب بن لادن؛ لأنه كان يؤمن أن وجود القوات الأجنبية في «أرض الحرمين» يعتبر انتهاكاً للأراضي المقدسة. وبعد أن انتقد علنًا الحكومة السعودية لإيوائها الجنود الأمريكيين، نُفي إلى السودان، وسُحبت منه الجنسية السعودية في ٩ أبريل ١٩٩٤. لقد بدأت تظهر معالم افتراق بين المملكة الداعمة للتنظيم وقيادة ابن لادن له.

لقد كانت احدى نقاط التحول الرئيسية في العلاقات بين الطرفين، بعد أن وجّه أسامة بن لادن في عام ١٩٩٣، انتقاداته اللاذعة للسعودية، بعد دعمها لاتفاقات أوسلو التي وضعت طريق التسويات بين إسرائيل والفلسطينيين.

مما لا شك فيه ان حرب الخليج الثانية عام (١٩٩٠) شكلت نقطة تحول ايضا، وشكلت هزة عنيفة تعرض لها التحالف الحاكم بين آل سعود والمؤسسة الدينية الوهابية.

لقد اثار قرار الملك السعودي فهد بن عبدالعزيز باستقدام قوات اجنبية إلى أرض المملكة اشكالية دينية مزدوجة، فالبيئة الدينية الحاكمة في المملكة هي ذهنية اقصائية، تكفر الآخر، فكيف يمكن القبول بتواجد قوات عسكرية أجنبية، هذا من جهة، ومن جهة اخرى، الى اي مدى يمكن شرعنة الاستعانة بدولة «كافرة»، حسب توصيفهم (الولايات المتحدة الأميركية) لقتال دولة مسلمة كالعراق..

وهنا برز دور التحالف السعودي الوهابي، فاستصدر آل سعود من المؤسسة الدينية فتوى من «هيئة كبار العلماء»، والتي كان يرأسها «عبدالعزيز ابن باز»، بجواز الاستعانة بالكفار.

لقد شكلت هذه الفتوى شرارة الصراع بين التحالف الوهابي السعودي وبعض العلماء الرافضين لها، منهم: حمود بن عقلاء الشعيبي، وسفر الحوالي، وسلمان العودة وغيرهم.

ومع هذا الصراع بدأت تظهر ملامح «حركة سلفية جهادية»، لا سيما في التسعينيات، كخط فكري محدد يرتبط بسياق النفوذ على منطقة الخليج، ويستهدف الولايات المتحدة الأميركية ووجودها العسكري بشكل أولي ورئيسي.

ورغم أن المملكة قد شهدت بعض أعمال العنف قبل دخول القوات الأميركية إلى السعودية، كأحداث احتلال الحرم الملكي في عام ١٩٧٩، لكنها ظاهرة أتت من خارج السياق العام الذي كانت ترسمه المملكة من خلال دعمها للفكر التكفيري.

فأحداث مكة المكرمة عام ١٩٧٩ جاءت من قبل فرقة تمسكت بنبوءات جهيمان العتيبي، الذي دخل في صراع جدلي مع علماء المدينة المنورة، وانتهى جهيمان الى القول بان «نهاية العالم باتت قريبة..وان المهدي، وهو رجل مسلم يُنتظر ظهوره، تجلى في أحد افراد الزمرة (اشارة الى محمد القحطاني)، وأن مبايعته واجبة في

الحرم (المكي) على رأس القرن الهجري الجديد(١٤٠٠هـ)»[1].

وكانت جماعة جهيمان عبارة عن بقية من جماعة تأسست في أواخر السيتينات من القرن الماضي عُرفت بإسم «الجماعة السلفية المحتسبة».

ومهما يكن من امر فقد قضي على جماعة جهيمان عام ١٩٧٩ إثر أحداث مكة المكرمة.

إلا أن القضاء على جماعة جهيمان، وإن تسنى للمملكة القيام به، بسبب محدودية تواجد هذه الجماعة داخل المجتمع السعودية بشكل عام، وعدم وجود امتداد لها في المؤسسة الدينية الوهابية بشكل خاص، إلا أن التحدي الاكبر تمثل في خروج بعض السلفين من داخل العباءة السعودية الوهابية، لا سيما بعد دخول القوات الأميركية إلى أراضي المملكة.

والواقع، ان التهديد الذي واجهته المملكة، كان قد بدأ من الجبهة الافغانية نفسها، عندما استقر عاصم طاهر البرقاوي (ابو محمد المقدسي) في باكستان، ومن هناك الف كتابه الشهير «الكواشف الجلية في كفر الدولة السعودية» الذي طبع في اواسط عام ١٩٩٠ وذلك قبل اشهر فقط من حرب الخليج.

ومهما يكم من أمر، فقد بدأت بوادر الأزمة مع المطلبين اللذين

---

(١) هيغهامر، توماس، الجهاد في السعودية: قصة تنظيم القاعدة في جزيرة العرب، ترجمة امين الايوبي، بيروت،الشبكة العربية للابحاث والنشر، ط١، ٢٠١٣، ص١٢-١٣.

رفعهما كل من الشيخين «سفر الحوالي» و«سلمان العودة» عام ١٩٩١ و١٩٩٢ تواليا.

إن عام ١٩٩١ شكل بداية انعطافه في تاريخ ما يسمى بالحركة الجهادية، حيث بدأت بعض الاعمال داخل المملكة. كانت البداية مع هجمات محدودة على أهداف أميركية أثناء حرب الخليج عام ١٩٩١، وكذلك هجمات في نفس العام في محافظة القصيم والرياض.

وبين اعوام ٢٠٠٠ و٢٠٠٣ شهدت المملكة هجمات ضد قضاة ورجال شرطة في مدينة سكاكا الشمالية في محافظة الجوف، وهي اول أعمال تطال ممثلين حكوميين.

وتعتبر تفجيرات عام ٢٠٠٣ هي الاهم، لأنها انطلقت من ما أطلق عليه إسم «تنظيم القاعدة » في جزيرة العرب بقيادة أسامة بن لادن. وهذه الهجمات هي الاخطر، لأنها ولدت من رحم الحركة الوهابية نفسها، ومن تنظيم كانت المملكة تعتبر نفسها الداعم الأساسي له، فكريا وماليا.

بعد هذه الهجمات، وما سبقها من هجمات الحادي عشر من أيلول عام ٢٠٠١، بدأت المملكة تتحسس الخطر، أعني خطر خروج هذه التنظيمات عن السيطرة، لا سيما أن القضية التي طرحت نفسها عند هؤلاء المنشقين عن الوهابية تمثلت بشكل أساسي حول مفهوم الحاكمية..

٤- العدو الجديد وملئ الفراغ الاستراتيجي (استراتيجية الساحات الجديدة للجهاد):

يشير سيمور هيرش، إلى اجتماع قال أنه حصل بين نائب الرئيس الأميركي السابق ديك تشيني والأمير بندر بن سلطان، وفيه قال بندر لديك تشيني «ليس المهم أن يضرب الإرهاب ويفجر، بل المهم أين يضرب، وضد من يفجر».

يمثل هذا الكلام ايذانا بمرحلة جديدة، سعى السعوديون للعمل عليها وترسيخها، وهو ما احب ان اطلق عليه اسم «استراتيجية الساحات الجديدة للجهاد». فمن الواضح ان الامير بندر كان يشير بكلامه هذا الى ضرورة ايجاد عدو لتنظيم القاعدة يوجه سلاحه اليه، فيملىء فراغا بنشاطها، ويجعلها تبتعد عن استهداف المصالح الاميركية، وتاليا مصالح المملكة نفسها؛ بسبب قبولها بالتواجد الاميركي على اراضيها.

لقد كانت معظم التقارير الصحافية تظهر بان العلاقة السعودية بالحركات الإرهابية لم تنقطع أبدا، بل كان الطرفان يتبادلان المصالح، فضلا عن وجود جهات كبيرة داخل القاعدة وغيرها من الحركات السلفية المقاتلة، تتلقى دعما رسميا سعوديا مباشرا، وتنفذ أجندات سعودية رسمية مباشرة، و هذا بالتحديد ما قاله سيمور هيرش في مقابلة مع قناة السي ان ان:

«إن السياسة الأميركية في الشرق الأوسط قد تغيرت لمواجهة إيران سوريا وحلفائهما «الشيعة» بأي ثمن حتى لو عنى ذلك دعم المتشددين «السنة» ».

ومن هذا المنطلق بدأت المملكة بعد أحداث عام ٢٠٠٣ العمل على خطين متوازيين:

الأول: تفكيك تنظيم القاعدة كتنظيم مركزي يتبع لابن لادن ولقيادة موحدة، عبر تأليف أخوات للقاعدة تتبع لها مباشرة، وإبراز قيادة جديدة داخل التنظيم. وكذلك العمل على محاصرة بن لادن وايجاد قيادة بديلة عنه.

الثاني: فتح جبهات جديدة لعمل التنظيم، يبتعد عن شعارات التنظيم الاساسية المتعلقة بمحاربة ما كانوا يسمونه بأدبياتهم «الوجود الصليبي واليهودي».

تقاطعت الخطة السعودية الوهابية مع المخططات الأميركية، في توجيه بوصلة القيادات القاعدية الجديدة نحو بلدان عربية أخرى، وجعل المسلمين انفسهم، ممن لا يتبعون للوهابية، هم الاهداف الرئيسية لحملة التنظيم..

فنشطت أخوات القاعدة في العراق، وليبيا، ومصر، واليمن وتونس والجزائر وباكستان وكشمير وغيرها.. ثم بدأت علامات الانشقاق في اكثر من بلد.

فانتقد نعمان بن عتمان، الأفغاني العربي والعضو السابق في الجماعة الليبية الإسلامية المقاتلة، انتقد علناً في رسالة مفتوحة، أيمن الظواهري في نوفمبر ٢٠٠٧، بعد إقناعه قادة جماعته السابقة المسجونين بالدخول في مفاوضات سلام مع النظام الليبي. وفي

تشرين الثاني نوفمبر ٢٠٠٧، أطلقت الحكومة الليبية سراح ٩٠ من أعضاء الجماعة من السجن.

في عام ٢٠٠٧، ومع اقتراب الذكرى السنوية السادسة لهجمات ١١ سبتمبر، قام الشيخ سلمان العودة، رجل الدين السعودي وأحد آباء الصحوة، بتوبيخ أسامة بن لادن، حيث وجه خطاب إلى زعيم القاعدة على قناة إم بي سي، وخاطبه قائلاً:

«أخي أسامة، كم من الدماء أريقت؟ وكم من الأبرياء والأطفال والمسنين والنساء قد لقوا مصرعهم... تحت اسم القاعدة؟ هل ستكون سعيدا للقاء اللّه سبحانه وتعالى، وأنت تحمل عبء مئات الآلاف أو الملايين من الضحايا على ظهرك؟»

وفي عام ٢٠٠٧، انسحب سيد إمام الشريف (المشهور باسم دكتور فضل)، صاحب التأثير في الأفغان العرب، والأب الروحي للقاعدة والمؤيد السابق للتكفير، بشكل مثير من تنظيم القاعدة، بعد إصداره كتابه «ترشيد العمل الجهادي في مصر والعالم».

لقد أعطت المملكة الاولوية للدول المحيطة بها، فنشأ تنظيم الدولة الاسلامية في العراق، والقاعدة في بلاد المغرب العربي، ثم جبهة النصرة في بلاد الشام مع دخول سوريا في عين العاصفة.

اتى كل ذلك بعد ان شنت الولايات المتحدة الاميركية حربها على العراق وافغانستان، فتشتت التنظيم ما بين جبال ومغاور افغانستان وصولا الى باكستان، التي حول التنظيم قيادته اليها،

نظرا لوجود بيئة حاضنة هناك، مع وجود امتداد لحركة طالبان بشكل خاص، وللحركة «الجهادية» بشكل عام. اما بعض النشطاء، قمنهم فقد اختار الذهاب الى العراق والدول المجاورة له، كالاردن وسوريا.

وما كان يبدو على انه تشتت للتنظيم، ادى فيما بعد الى ظهور اخوات للقاعدة في هذه البلدان، وهو ما وجدت فيه السعودية فرصة مؤاتية لتنفيذ مخططها، بتشتيت مركزية القاعدة.

لقد رأت المملكة ان غياب الادارة المركزية للتنظيم، يعطيها الافضلية بالتعامل مع الفروع بشكل افضل، ما يسهل لها عملية الاختراق وتغيير وجهة السلاح من «الصليبيين واليهود والحكومات العربية الكافرة»، الى اطراف اقليمية عربية او اسلامية، لا سيما وانها مع اواخر عام ٢٠٠٣ كانت قد استأصلت الخلايا القاعدية، التي نشطت على اراضيها ضد المصالح الاميركية وبعض الاهداف السعودية.

ورغم هذا الاستئصال، الا ان المملكة كانت تنظر بريبة الى اصرار التنظيم على محاربة الولايات المتحدة وتواجده في شبه الجزيرة العربية؛ ولذلك، فانها اعتبرت ان هذا الخطر سيبقى داهما، ما لم تجد للتنظيم عدوا جديدا يحول نشاطه اليه.

لقد سعت المملكة بعد هجمات الحادي عشر من سبتمبر الى تلميع صورتها امام الغرب، كما ساعدتها الولايات المتحدة الاميركية في هذا الامر، لما اصاب الادارة الاميركية من

احراج، كون معظم العناصر التي شاركت في الهجمات هم من السعوديين، اي من حليفهم في المنطقة، فضلا عن اصابع الاتهام من ان الادارة الاميركية هي من درب هؤلاء، والمملكة من كانت تمولهم. فلا غرابة اذن، ان نجد مدير الاستخبارات الاميركية جيمس وولسي، يحاول ان يجد المبررات لدعم المملكة لتنظيم القاعدة.

ففي شهادة أدلى بها امام لجنة العلاقات الدولية في الكونغرس، في الثاني والعشرين من ايار-مايو ألفين وأثنين، عن علاقة السعوديين بدعم المنظمات التكفيرية، قال وولسي أنه جاء كردة فعل سعودية على انتصار الثورة الإسلامية في إيران في العام ١٩٧٩، وعلى الانتفاضة التي قادها جهيمان العتيبي، فكان اللجوء السعودي إلى الوهابيين، كعامل أمان للنظام، من الأخطار التي شكلتها تلك الصدمتان القويتان على النظام.

وأضاف وولسي: «منذ سنوات الحرب الباردة تمتعنا والسعوديون بعلاقة تحالف قوية ومريحة، كنا وإياهم على الجانب نفسه في الحرب الباردة، وتبادلنا المنافع والخدمات ضد النفوذ السوفيتي في الشرق الأوسط، وكان لنا دوما مصالح مشتركة معهم في شؤون عديدة، منها النفط والعقود الحكومية؛ ولكن سنوات ما بعد العام ١٩٧٩ جلبت لنا تغييرات عميقة في العلاقة مع السعوديين، في تلك السنة تعرض الحكم السعودي لصدمتين الأولى هي انتصار ثورة ايران والثانية قضية جهيمان».

٥- العراق مجرد بداية

لطالما قامت الاستراتيجية السعودية على مبدأ تفتيت دول الجوار، ومنع قيام كيانات قوية.

لم تكن دول الخليج العربية تمثل هاجسا بالنسبة للسياسات السعودية؛ لانها كانت تعتبرهم دائما تحت عباءتها؛ لذلك انصب الاهتمام السعودي على جارين اساسيين: العراق واليمن.

اما اليمن فانها نسجت علاقات قوية مع القبائل هناك، وعمدت الى صرف رواتب شهرية لزعمائهم ادت لتقويتها، على حساب قيام دولة قوية مركزية كما هو معلوم ومشهور.

اما العراق، فقد كان نظام صدام حسين في العراق مصدر قلق كبير، لا سيما بعد فشل الحرب التي فرضت على الجمهورية الاسلامية الايرانية.

جاء الغزو الاميركي للعراق ليحقق اماني المملكة. والغزو هذا، وان تقاطعت بعض مصالحه بين المملكة من جهة والشعب العراقي الساعي للتخلص من نظام البعث العراقي من جهة الاخرى، الا ان نظر المملكة كان ينصب على تفتيت العراق، ونشر الفوضى فيه، تحول دون قيام دولة مركزية قوية. كما انها وجدت في العراق، بسبب تركيبته الدينية، هدفا يمكن ان توجه عناصر القاعدة اليه. الا ان ذلك يستلزم تجييشا مذهبيا، وخطابا تحريضيا قويا.

أ - ابن لادن وتحديد البوصلة «الجهادية».

رغم الضربة القوية التي تلقاها تنظيم القاعدة في افغانستان، الا ان زعيم التنظيم وجد في الغزو الاميركي لها، ومن ثم للعراق، انتصارا له. فالعدو الذي كان يصرف الجهد ليصل اليه، ها هو قد قدم بنفسه للمنطقة، وبالتالي سوف يسهل استهدافه؛ لذلك بدأ بن لادن ينظّر لفكرة حرب استنزاف طويلة، كما في الرسالة التي وجهها لاهل العراق قبيل الدخول الاميركي الى بغداد.

يقول: **«كما ننصح بأهمية استدراج قوات العدو إلى قتال طويل متلاحم منهك، مستغلين المواقع الدفاعية المموهة في السهول والمزارع والجبال والمدن، وأخوف ما يخافه العدو، هو حرب المدن والشوارع، تلك الحرب التي يتوقع العدو فيها خسائر فادحة باهظة في أرواحه»**[١].

ورغم الخطاب التكفيري الذي يبدو واضحا في خطب ابن لادن تجاه الحكومات المتعاقبة في العراق، بعد الاطاحة بظام صدام حسين، الا انه من الواضح ايضا، انه لم يكن تكفيرا بسبب المذهب الذي ينتمون اليه، بل بسبب ما يعتبره ابن لادن مساعدة الصليبيين، لان مساعدتهم عنده ارتداد عن الدين.

---

(١) راجع: رسالة ابن لادن الى اخواننا المسلمين في العراق(١)، (ضمن الصفحة الخاصة بكلمات وبيانات بن لادن)، موقع منبر التوحيد والجهاد: /http://tawhed.ws

فهو يقول في نفس الرسالة:

«كما أننا نوضح أن كل من أعان أمريكا من منافقي العراق أو من حكام الدول العربية وكل من رضي بفعلهم، وتابعهم في هذه الحرب الصليبية بالقتال معهم أو بتوفير القواعد والدعم الإداري أو بأي نوع من أنواع الدعم والمناصرة لهم ولو بالكلام، لقتل المسلمين في العراق عليه أن يعلم أنه مرتد خارج عن الملة حلال المال والدم قال اللّه تعالى: «يا أيها الذين آمنوا لا تتخذوا اليهود والنصارى أولياء بعضهم أولياء بعض ومن يتولهم منكم فإنه منهم إن اللّه لا يهدي القوم الظالمين»[1].

وهو في الوقت الذي يكفر هؤلاء، فانه يكفر حكم صدام حسين ايضا، والذي يصفهم «بالاشتراكيين»، كما يظهر من رسالتيه الاولى والثانية الى العراق. ثم هو يتحدث عن حكومة الجعفري وعلاوي وغيرهما...

ويظهر عدم البعد المذهبي عنده، انه عندما يبرر بعض العمليات ضد اهل جنوب العراق، فيعلله بدعم اميركا، لا الانتساب الى مذهب معين، فيقول:

«وخلاصة القول؛ فإنه لا يمكن أن يشارك كثيرٌ من أبناء الجنوب مع أمريكا وحلفائها في استباحة الفلوجة والرمادي

---

(١) المصدر نفسه.

وبعقوبة والموصل وسامراء والقائم وغيرها من المدن والقرى؛ وتسلم - في المقابل - مناطقهم من ردة الفعل والأذى»[١].

وبغض النظر عما يعيب خطاب ابن لادن هذا، خاصة ان شيعة العراق كانوا سباقين لمقاومة الاحتلال الاميركي، وعمليات حزب اللّه العراق وعصائب اهل الحق شاهدة على ذلك، الا ان ابن لادن تناسى المجازر الكبيرة التي ارتكبها صدام حسين مع اهل الجنوب، فان ابن لادن نفسه قال في رسالته الاولى الى مسلمي العراق ما نصه:

«ولا يضر في مثل هذه الظروف أن تتقاطع مصالح المسلمين مع مصالح الاشتراكيين في القتال ضد الصليبيين، مع اعتقادنا وتصريحنا بكفر الاشتراكيين، فالاشتراكيون وهؤلاء الحكام قد سقطت ولايتهم منذ زمن بعيد، والاشتراكيون كفار حيثما كانوا، سواء كانوا في بغداد أو عدن. وهذا القتال الذي يدور أو الذي يكاد أن يدور في هذه الأيام، يشبه إلى حد بعيد قتال المسلمين من قبل.

وتقاطع المصالح لا يضر، فقتال المسلمين ضد الروم كان يتقاطع مع مصالح الفرس، ولم يضر الصحابة رضي اللّه عنهم ذلك في شيء»[٢].

---

(١) راجع: رسالة الى مجاهدي العراق والصومال، موقع: منبر التوحيد والجهاد: http://tawhed.ws/

(٢) رسالة (ابن لادن) الى اخواننا المسلمين في العراق(١)، مصدر سابق.

فان كانت المصالح المتقاطعة مع حكم صدام حسين، والذي صرح ابن لادن نفسه بكفره، ضد اميركا «الكافرة» ايضا، لا تضر، فلماذا يعيب على اهل الجنوب تقاطع مصالحهم مع اميركا في ازاحة حكم صدام «الكافر».

اقول بغض النظر عن هذه المفارقة، فان خطاب بن لادن لم يستهدف الجنوب لاسباب طائفية، في الظاهر على الاقل، بغض النظر عن كون ذلك عن قناعة اعتقادية، او انه كان يرى ان لا مصلحة في ذلك الآن مع وجود الاميركي، بل بسبب ما سماه: دعمهم للغزو الصليبي.

وقد ظهر هذا الامر جليا في نعيه لابي مصعب الزرقاوي حيث يقول:

«ثم إنني أقول لمن يتهم فارس أمتنا بأنه يقتل بعض فئات الشعب العراقي:... وإن أبا مصعب... كانت لديه تعليمات واضحة، بأن يركز قتاله على الغزاة المحتلين ـ وعلى رأسهم الأمريكيين ـ وأن يُحّيد كل من رغب في الحياد، وأما من أبى إلا أن يقف يقاتل في خندق الصليبيين ضد المسلمين؛ فليقتله كائناً من كان، بغض النظر عن مذهبه وعشيرته، فمناصرة الكفار على المسلمين؛ ناقض من نواقض الإسلام العشرة ـ كما هو مقرر عند أهل العلم»[1].

---

(١) رسالة ابن لادن في رثاء ابي مصعب الزرقاوي، منبر التوحيد والجهاد.

ومهما يكن من امر، فانني لم اجد خطابا لابن لادن يحتوي على خطاب طائفي يحلل فيه قتل الشيعة لاسباب طائفية او مذهبية. وهذه نقطة جديرة بالملاحظة واعتقد ان تسليط الضوء عليها، بعد المراجعة الدقيقة والتاكد منها، يمكن ان يفيد كثيرا.

ب - الزرقاوي..واشتعال العراق

عام ٢٠٠٣ احتل الاميركيون العراق، وبعد الاحتلال، بدأت بوادر مقاومة مسلحة ضده.

لقد ذكرنا ان ابن لادن تحدث عن هذا الغزو، واعتبره فرصة لمحاربة اميركا بعد ان جاءت بنفسها الى المنطقة.

مما لا شك فيه ان ثمة مقاومة عنيفة بدأت في بعض المناطق المحسوبة على الطائفة السنية، كالرمادي والانبار وديالى وغرب بغداد وغيرها.

ورغم ان المؤشرات تدل، على ان هذه المقاومة في تلك المناطق كانت من قبل خلايا تابعة لحزب البعث العراقي، الا ان هذه العمليات سرعان ما اخذت تنحرف نحو خطاب مذهبي، لا سيما بعد دخول المدعو ابو مصعب الزرقاوي. فبدأت العمليات ضد الشيعة تحت عنوان «نصرة اهل السنة» تارة، او «رفع الظلم عن اهل السنة» تارة اخرى.

ويبدو من بعض خطب الزرقاوي، ان البداية كانت هي

السعي لابعاد التهمة عن السنة في انهم كانوا الداعم الرئيسي لنظام صدام من جهة، ومحاولة تشويه صورة الشيعة، التي تجلت في اكثر من موقعة، في انهم من حطموا الاسطورة الاسرائيلية وطردوا الاميركيين من بيروت من جهة اخرى. ويلاحظ ذلك من خلال تركيز الزرقاوي، في بدايات خطابه في العراق، على ان «الطائفة السنية» هي العدو الحقيقي للاميركيين والصليبيين، وسنأتي على ذكر هذه الرسالة في حينه.

وعلى اي حال، لم يكن احمد فضيل الخلايلة (ابو مصعب الزرقاوي) معروفا قبل ان يشيع امره في العراق.

الا ان لقاءه مع المدعو عصام برقاوي (المعروف باسم ابو محمد المقدسي) كان بمثابة الانعطافة الكبرى في حياته. حصل اللقاء الاول بينهما في افغانستان عام ١٩٨٩. وبعد عودة مايسمى بالافغان العرب الى بلادهم، اتفق الزرقاوي مع المقدسي على تأسيس تنظيم جديد في الاردن عام ١٩٩٣، فتم ذلك، واطلقوا عليه اسم «جماعة التوحيد»، لكنهم سرعان ما وقعوا في قبضة المخابرات الأردنية عام ١٩٩٤، تحت قضية عرفت باسم «بيعة الامام».

قضى الزرقاوي والمقدسي، سويا، خمس سنوات في السجن في هذه القضية، حتى اطلاق سراحهما عام ١٩٩٩، فغادر الزرقاوي الى العراق.

لف الغموض اسباب اطلاق سراحهما، رغم ان التهمة كانت تشكيل تنظيم ارهابي، في دولة يحكمها نظام اردني استخباراتي، يعرف الجميع معنى ان تُتهم فيه بتشكيل تنظيم ارهابي.

وبحسب الكاتب فؤاد حسين، صاحب كتاب «الزرقاوي الجيل الثاني للقاعدة»، فان السجن ترك بصمات «واضحة المعالم في شخصية الزرقاوي، التي تبلورت لاحقاً وأصبحت شخصية حدية، لا وجود للون الرمادي فيها»[1].

ومن يتابع كتابات المقدسي، يلاحظ بعض الحدة في البدايات، وهذا ما يجعلنا نعتقد ان المقدسي ترك اثرا كبيرا في تفكير الزرقاوي، وتركيبته الاعتقادية. أثر حاول المقدسي نفسه ان يتملص منه، بدعوى سوء الفهم، ما جعله يدون رسالة يدافع فيها عن نفسه، ومنها رسالة بعنوان «رسالة مناصحة وتذكير الى بعض الاخوة» ذكر فيها: «**ثم اما بعد.. فموجب الخط بيان بعض سوء الفهم والاضطراب الذي بلغنا عن بعض الإخوة في بعض المسائل التي نتكلم فيها...**

أول ذلك وأخطره.. نسبة البعض لي أنني أقول بأن (الأصل في الناس الكفر في هذه المجتمعات)...

(١) راجع: حسين، فؤاد، الزرقاوي الجيل الثاني للقاعدة، ٢٠٠٥، ص٤.

أما المسألة الثانية التي بلغني حولها كلام فهي مقولة (أن الأصل في جيوش هذه الحكومات الكفر)...

وأما الموضوع الأخير الذي قصدنا التنبيه عليه فهو خاص بأخينا أبي..(لم يذكر اسمه كاملا) وقوله أني قلت عنه أنه مرجئ كما اخبرني بهذا بعض الإخوان...»[١].

اما رسالته الى ابي مصعب الزرقاوي، فبرز بها حمله عليه قتل الشيعة بشكل عشوائي، ومن الملاحظ ان رسالته هذه مدونة بتاريخ ٢٠٠٤.

يقول: «...فحذار أيضاً من تشتيت دائرة الصراع والخروج بها عن المحتل وأذنابه الموالين له...

أو باستهداف غير المقاتلين من أبناء الشعب ولو كانوا كفاراً أو من النصارى فضلاً عن التورط في استهداف كنائسهم وأماكن عبادتهم ونحوها..

أو الإنجرار وراء استهداف عموم الشيعة وحرف المعركة عن المحتل وأذنابه وصرفها إلى مساجد الشيعة ونحوهم مهما كان تاريخهم وعداوتهم لأهل السنة وأذاهم لهم، فلا يجوز أن يجعلوا جميعاً في كفة واحدة ؛ عوامهم مع خواصهم المحاربين...وعلى كل حال فإن إعلان الحرب على هذه الطوائف المحسوبة على الإسلام والمسلمين في ظل احتلال

---

(١) ابو محمد المقدسي، رسالة مناصحة وتذكير الى بعض الاخوة، منبر التوحيد والجهاد، http://www.tawhed.ws.

صليبي مجرم لا يفرق بين سني وشيعي ليس من السياسة الشرعية في شيء» [١].

على ان المقدسي هذا ممن يكفرون الشيعة، وكتاباته منذ انطلاقته تشير الى هذا الامر. وقد بدا واضحا، من نص الرسالة الآنفة الذكر، انه يعتبر قتال عموم الشيعة ليس من السياسة الشرعية في شيء، ما يعني ان القضية هي قضية اولويات.

ومهما يكن من امر، فان متابعة كتابات المقدسي لمعرفة ان كانت قد شهدت تعديلا او تصحيحا، تحتاج الى متابعة خارج نطاق هذا البحث.

ووفق الكاتب فؤاد حسين، فان اسباب الخلاف الرئيسية ترجع الى ان الزرقاوي كان يأخذ على القاعدة عدم قسوتها في ضرب اعدائها، وان العمليات ينبغي ان تكون أكثر دموية[٢].

وبحسب ابو قتيبة الاردني، فان الخلافات بينهما ايضا تتعلق بموقف ابن لادن من المملكة العربية السعودية، **«حيث كان الزرقاوي يرفض كل ما كان يصدره (ابن لادن) من أراء تتعلق بحكام الجزيرة العربية»**[٣].

---

(١) راجع: ابو محمد المقدسي، الزرقاوي مناصرة ومناصحة، منبر التوحيد والجهاد، http://www.tawhed.ws.

(٢) الزرقاوي الجيل الثاني للقاعدة، مصدر سابق، ص٩.

(٣) مقابلة موقع ايلاف مع ابي قتيبة الاردني عام ٢٠٠٥، على الرابط التالي: http://www.elaph.com/Web/AkhbarKhasa/2005/7/77457.htm?sectionarchive=AkhbarKhasa.

وليس من قبيل الصدفة ان يجمع الزرقاوي وابو قتيبة، اضافة الى آخرين، الحقد على الشيعة. فها هو ابو قتيبة يقول في المقابلة المذكورة آنفا: «**الشيعة اشد عداوة علينا من اليهود**».

وبعد سنتين قضاهما الزرقاوي في افغانستان، وتحت تأثير الغزو الاميركي، هرب الزرقاوي من افغنستان، حيث قادته رحلته الى العراق عام ٢٠٠١.

ورغم القطيعة بين الزرقاوي والقاعدة، فقد كان الاخير ممولا بشكل جيد، في الوقت الذي بدأت مصادر تمويل بن لادن تشح، وهذا ما اشار اليه ابو قتيبة الاردني.

وليس التمويل وحده ما يمكن ان يوضع عليه علامات الاستفهام، بل كذلك اطلاق سراحه من السجون الاردنية، مع وصول الملك عبد اللّه الى الحكم. إذ لا يفصل بين اطلاق سراحه عام ١٩٩٩ وعام ٢٠٠٠ الا اقل من سنة، حيث اتهمته الاستخبارات الاردنية بالتخطيط للهجوم على مواقع سياحية دينية في الاردن. ثم عادت نفس الجهة لتتهمه بانه وراء اغتيال الدبلوماسي الاميركي لورنس فولي، في العاصمة عمان في شهر تشرين الاول اكتوبر عام ٢٠٠٢[١].

وبعد سقوط العراق هرب الزرقاوي الى الاردن، وزعمت الاستخبارات الاردنية انها كانت قاب قوسين او ادنى من اعتقاله،

---

(١) الزرقاوي الجيل الثاني للقاعدة، مصدر سابق، ص١٠.

قبل ان ينجح بالفرار الى العراق من جديد.[1] ومع عودته الى العراق، تركز عمل الزرقاوي على استهداف الشيعة.

وفي العراق بدأت شهرة الزرقاوي بالازدياد، لا سيما بعد تبنيه اغتيال السيد محمد باقر الحكيم في شهر آب اغسطس ٢٠٠٣، وما تبعه من تفجيرات استهدفت كربلاء المقدسة والنجف الاشرف، اي بعد حوالي اربعة اشهر فقط من احتلال الاميركيين لبغداد، ما يدلل ان نوايا استهداف الشيعة، كانت موجودة بوقت مبكر عند الزرقاوي ومشغليه، وبالتالي تبطل دعواه ان عملياته كانت بسبب موقف الشيعة من الاميركيين.

وفي عام ٢٠٠٤ اصدر الزرقاوي بيانا، اعلن فيه تبنيه الهجوم البحري على ميناء البصرة، وقد ذيل البيان باسم: «ابو مصعب الزرقاوي، امير جماعة التوحيد والجهاد»، ما يؤذن بتشكيل تنظيمه الخاص. وهذا ما راى فيه فؤاد حسين انه يمثل الوصول **«الى طريق مسدود مع قادة القاعدة في ان يوافقوه على رايه الخاص بالموقف من الشيعة ذلك الموقف الذي ضمنه الرسالة التي ضبطتها السلطات الاميركية في العراق شرطا للعمل بأمرتهم»**[2].

اذن، وبحسب الرسالة، فان الزرقاوي كان يشترط في مراسلاته مع القاعدة ان يبيحوا دم الشيعة، كشرط لمبايعته لابن لادن. والمتابع للزرقاوي يجد، ان هذا الموقف كان يأخذ منه كل مأخذ، فترك

(١) موقع ايلاف، مقابلة مع ابي قتيبة الاردني، مصدر سابق.

(٢) الزرقاوي الجيل الثاني للقاعدة، مصدر سابق، ص ١٣.

الاحتلال الاميركي وشن هجماته على الشيعة، ولتفادي الانتقاد كان يتبنى عمليات ضد الاميركيين، لم يكن هو المنفذ او المخطط لها.

وفي رسالة صوتية الى «الامة الاسلامية»، وفق الكاتب فؤاد حسين ايضا، فان الزرقاوي كان يعتبر «**الفرق الباطنية هي نقاط ضعف في الامة، وعلى راسهم الرافضة، ويقصد الشيعة، ويقول انهم لا يمتون الى الاسلام باية صلة**»[1].

والمتتبع سيجد، انه مع الزرقاوي بدأت عبارات من مثل: «رفع الايدي عن مساجد اهل السنة» و «يقبضوا ايديهم عن دماء اهل السنة»، وغيرها من العبارات التي اصبحت شائعة اليوم في لبنان وسوريا واليمن وغيرها.

ومهما يكن من امر، فان تسيّد الزرقاوي للمشهد العراقي، اظهر بدايات لتداعي القيادة المركزية لتنظيم القاعدة، اي تحديدا ما كانت السعودية تسعى اليه كما ذكرنا سابقا. هذه البوادر دفعت بتنظيم القاعدة لاعادة العلاقة مع الزرقاوي خوفا، فيما يبدو، من تداعي التنظيم بشكل اكبر. فعادت الاتصالات بين الزرقاوي والقاعدة من جديد، ليبايع بعدها الزرقاوي ابن لادن.

ورغم اننا لا نملك الوثائق التي تحدد ما الذي جرى بين الزرقاوي وابن لادن، والتي دفعته للمبايعة، الا انني استطيع المجادلة، بحسب

(١) المصدر نفسه،ص٢٣.

سياق الاحداث وما جرى لاحقاً، ان ثمة اتفاقا حصل بينهما في تحييد عموم الشيعة من دائرة الاستهداف، ولو مرحلياً.

ورغم أن البعض يعتبر، أن هذه البيعة تمت بعد رضوخ قيادة التنظيم الأم لرؤية الزرقاوي في التعامل مع الأوضاع في بلاد الرافدين، إلا أن هذا الرأي يتعارض مع الرسائل التي بعث بها ابن لادن، والتي جاءت بعد تاريخ البيعة، الامر الذي يرجح أن الزرقاوي إمتثل لوجهة نظر ابن لادن في ضرورة تحييد عموم الشيعة «الآن»، والتركيز على الوجود الأميركي. وكذلك يمكن مراجعة الوثيقة رقم ٥ المدرجة في آخر هذا الفصل، والتي هي عبارة عن رسالة وجهها ابو محمد العدناني، الناطق باسم داعش، الى ايمن الظواهري، ينفي فيها ان يكون داعش مبايعا للظواهري؛ حيث يقول إن داعش لا تتبع القاعدة والدليل على ذلك: **«عدم استجابتنا لطلبك المتكرّر بالكفّ عن استهداف عوام الروافض في العراق، بحكم أنهم مُسلمون يُعذَرون بجهلهم، فلو كُنّا مبايعين لك لامتثلنا أمركَ حتّى ولو كُنّا نخالفك الحكمَ عليهم والمُعتقدَ فيهم...»**[1].

وما يقوي هذه الفرضية أن عام ٢٠٠٥، اي بعد البيعة، شهد العراق حملة كبيرة من عمليات التفجير التي بدأت تستهدف أماكن شيعية تارة وسنية تارة أخرى. وقد برزت في ذلك الوقت ما سمي «بفرق الموت» التي اسهها المسؤول الاميركي الجديد في العراق «جون نيغروبونتي» بدلا من «الحاكم المدني» «بول بريمر». وللتذكير فقط،

---

(١) رسالة ابو محمد العدناني الى الظواهري تحت اسم «عذراً أمير القاعدة»، راجع وثيقة رقم ٥.

فان جون نيغروبونتي (عمل بين عامي ٢٠٠٤-٢٠٠٥)، خبير بسحق المعارضة في أمريكا الوسطى، بمساعدة «فرق الموت»، فقد اعتُبر انه «الرجل المناسب لهذه المهمة» في العراق بعد مبايعة الزرقاوي لابن لادن. وكان نيغروبونتي قد لعب دورا رئيسيا في الدعم والإشراف على الكونترا في نيكاراغوا ومقرها في هندوراس، وكذلك الإشراف على أنشطة فرق الموت العسكرية في هندوراس بين اعوام ١٩٨١-١٩٨٥.

وفي إطار ما يسمى ب «خيار سلفادور العراق»، فان الاستخبارات الأمريكية ارسلت عملاءها لقتل قادة شيعة وسنة لاثارة الخلافات، وتأجيج الصراعات، لتظهر في سياق العمليات المتبادلة، وهو ما كشفت عنه دوائر عدة لاحقاً، انها كانت من تدبير الاستخبارات الاميركية تحت عمليات تقودها ما سمي «فرق الموت» هذه. وبمعنى آخر، كما يقول البروفسور شوسودوفسكي: تشكيل كتائب ارهابية ترعاها الولايات المتحدة، وتتولى عمليات قتل المدنيين بهدف إثارة العنف الطائفي.

اننا ومن خلال هذا التوافق بين تلازم مبايعة الزرقاوي لابن لادن ومجيء نيغروبونتي الى العراق (عامي ٢٠٠٤ و٢٠٠٥)، نستطيع ان نفهم سبب كون عام ٢٠٠٥ هو الاكثر دموية في العراق[1].

---

(١) شهد العراق ٣٤٦٧ عملية إرهابية عام ٢٠٠٥، حصدت ٢٠٧٢٢ إصابة بين المدنيين، منها ٨٢٤٢ قتيلاً (حوالي ٤٠٪ من المصابين ماتوا)، وعدد العمليات الإرهابية سجّل ارتفاعا عام ٢٠٠٦ ليصل إلى ٦٦٣١ عملية و٣٨٨٧٨ إصابة مدنية منها ١٣٣٤٥ قتيلا وعدد القتلى عام ٢٠٠٧ كان ١٣٦٠٦ شخصا من بين ٤٤٠١٢ إصابة مدنية ناتجة عن ٦٢١٠ عملية إرهابية.

يمكن القول إن سلوك هذه الجماعة بقيادة الزرقاوي قد أفاد سلطات المملكة السعودية كثيراً ؛ لأنه حول البندقية من التوجه الى داخل الصفوف الاسلامية الواحدة خارج اراضي المملكة، بدلا من التوجه الى أراضي المملكة او الى الاميركي «المحتل».

وعلى اي حال، فقد بايع الزرقاوي ابن لادن في تشرين الاول من العام ٢٠٠٤، اي قبل ٤ اشهر فقط من اغتيال رئيس الوزراء اللبناني رفيق الحريري، لتبدأ معها مرحلة جديدة من التحريض الطائفي في لبنان بعد ان حقق هذا التحريض اهدافه في العراق.

٦- لبنان يدخل دائرة التحريض

في الرابع عشر من شهر شباط فبراير عام ٢٠٠٥ اغتيل رئيس الوزراء اللبناني رفيق الحريري. لم تنقض ايام قليلة حتى صدرت اصوات، لا سيما من الشمال اللبناني، تتحدث عن استهداف للطائفة السنية برموزها. ورغم ان هذه الاصوات كانت محدودة في المكان والزمان،الا انها اظهرت بعض العلامات والمؤشرات عما ستؤول اليه الحال في لبنان.

لقد كان الخوف والحذر من اشعال الساحة اللبنانية طائفيا، عاملا ضاغطا على حزب اللّه، منعه من الدخول في تنافس انتخابي، في انتخابات المجلس النيابي في نفس العام. وبالمقابل، فان ما عرف لاحقا باسم قوى الرابع عشر من آذار، لم تعلن اهدافها صراحة لاسباب سياسية. وفي هذه الاجواء الضاغطة، ولد ما يسمى بالحلف

الرباعي، الذي اوصل قوى الرابع عشر من اذار الى السلطة، ليتغير بعدها الخطاب السياسي، والمقاومة التي كانت ورقة هامة تُمتدح في اعقاب الحلف، اصبحت مرمى للسهام والاتهام.

ان هي الا سنة ونصف من الاغتيال، حتى شن العدو الاسرائيلي حربه على لبنان (حرب تموز). ومنذ اليوم الاول للعدوان، برزت المواقف السعودية المعادية للمقاومة.

فشلت الحرب من تحقيق اهدافها، وما ان حطت هذه الحرب اوزارها، حتى بدأ مسلسل التحريض الطائفي يتصاعد، وبدأت عناصر التغيير السياسي تتبلور اكثر. وترتكز هذه العناصر على ركيزتين:

الاولى: ما كشف عنه السفير الاميركي السابق في لبنان جفري فيلتمان، في شهادة له امام الكونغرس الاميركي، ان الادارة الاميركية انفقت اكثر من ٥٠٠ مليون دولار من اجل تشويه صورة حزب اللّه في لبنان.

والثانية: وهي الاخطر، العمل على التحريض المذهبي لاستنهاض السنة، مقابل الشيعة في استنساخ للتجربة العراقية.

وقد وجدت المملكة السعودية في الشمال اللبناني، حيث تمتلك نفوذا كبيرا، وجدت فيه تربة خصبة لهذا المخطط، نظرا للظروف الاجتماعية والثقافية والاقتصادية والسياسية ايضا، لا سيما ان الشمال خال، الى حد ما، من التواجد الشيعي الفاعل، ما يجعل العمل على تلك الساحة امرا اوفر حظا بالنجاح. فكان مخطط فتح الاسلام..

العنصر الأساسي لتغير هذه السياسة، كان اتفاقا بين نائب الرئيس الأميركي ديك تشيني ومستشار الأمن القومي البيوت ابرامز ومستشار الأمن القومي السعودي الأمير بندر بن سلطان، بحيث يقوم السعوديون بدعم منظمة فتح الإسلام مادياً في لبنان لمواجهة حزب اللّه. ويشير سيمور هيرش بان الوضع يشبه كثيرا الصراع في أفغانستان في الثمانينات، حيث برزت القاعدة بنفس الطريقة وبدعم نفس الأشخاص، وبنفس النموذج من استعمال «الجهاديين»، التي تؤكد السعودية أنها تستطيع السيطرة عليهم. وعندما سُئل هيرش لماذا قد تتصرف الإدارة الأميركية بهذه الطريقة التي تبدو مناقضة لمصالح الأميركيين أجاب: «بما إن الإسرائيليين هُزموا في لبنان الصيف الماضي أصبح لدى واشنطن، وخصوصا لدى البيت الأبيض تخوفا كبيرا من حزب اللّه». ووصف هيرش مخطط تمويل فتح الإسلام بالمخطط السري الذي انضمت إليه امريكا مع السعوديين كجزء من مخطط اكبر وأوسع[1]. الا ان مشروع فتح الاسلام سرعان ما تهاوى، بعد حادثة الاعتداء على الجيش اللبناني، وكان ما كان من معارك ما سمي بنهر البارد شمالي لبنان.

٧- سوريا واغتيال بن لادن.. تزامن غريب

عام الفين وعشرة شهدت بعض الدول العربية حراكا شعبيا بدأ

(١) مقابلة محطة السي.ان.ان مع هيرش في شهر أذار عام ٢٠٠٧. راجع ترجمة نص المقابلة كما ذكرها موقع الجزيرة نت تحت عنوان: هيرش: واشنطن وبيروت والرياض صنعت فتح الاسلام. وكذلك يمكن الاستماع الى نص المقابلة عن طريق اليوتيوب على الرابط التالي: https://www.youtube.com/watch?v=-Ga22XxUjSU

بتونس ثم انتقل الى مصر فليبيا. في جميع هذا الحراك، تصدرت قطر المشهد العربي كراع قوي لهذه، ما عزز من حضورها الاقليمي والعربي والدولي. وهو دور كبير جدا نسبة لدولة لا تكاد تظهر على الخارطة.

لقد كان الدور القطري على حساب المملكة السعودية، التي كانت لطالما تعتبر ان قطر تقع تحت عباءتها، مثلها مثل باقي الدول العربية الخليجية. ولم تكن قطر لتتقدم الى الواجهة لولا تراجع الدور السعودي.

ومهما يكن من امر، حتى عندما بدأت الازمة السورية، كانت قطر هي في الواجهة، الا ان ذلك لا يعني ان المملكة كانت غائبة كليا. وقد برز الدور السعودي اكثر من مرة، لكنه كان يقتصر على العمل في الظل. ويمكن رؤية هذا العمل من خلال النشاط الذي كان يقوم به سعد الحريري من خلال النائب عقاب صقر، اضافة الى الدور الذي برز لاحقا، والذي كان يقوم به رئيس فرع المعلومات السابق وسام الحسن.

ما بين تصدر قطر لدور الراعي، وعمل المملكة في الظل، كُشف عن ان كلا الطرفين يدعمان مجموعات محددة يعتبرانها تابعة له. ففي الوقت الذي كانت فيه قطر تقدم الدعم للجيش الحر وجماعة الاخوان المسلمين الذين تدعمهم في مصر وتونس وليبيا، كانت المملكة تدعم مجموعات تكفيرية تحت مسميات مختلفة، تبلورت فيما بعد اولا بما يسمى جبهة النصرة وبعد ذلك برز تنظيم

الى الواجهة كامتداد لتنظيم عراقي كان يسمى الدولة الاسلامية في العراق ليتحول مع دخوله سوريا الى الدولة الاسلامية في العراق والشام (داعش). رغم ان قطر عادت وامسكت بأطراف فاعلة داخل «جبهة اللنصرة».

لقد شكل عام ٢٠١١ لحظة اشتعال حقيقية. فمن الصعب الاعتقاد أنها صدفة أن يتلازم حدثان في هذا العام دون وجود رابط بينهما. ففي عام ٢٠١١ أغتيل أسامة بن لادن، وفي نفس العام بدأت الازمة السورية. إن صعوبة الاعتقاد بعدم وجود رابط بين هذين الحدثين، يعود إلى ملاحظات عدة:

أولا: كنا قد اشرنا سابقا الى انه من الصعب العثور على تصريحات لابن لادن يؤيد فيها التفجيرات الانتحارية ضد المدنيين من أبناء الطوائف الأخرى، وهذه ملاحظة ينبغي التوقف عندها مليا، فرغم الاعمال الاجرامية التي كان يقوم بها فرع التنظيم العراقي (دولة العراق الاسلامية) فان هذه العمليات لم تلق ترحيبا من بن لادن.

ثانيا: ما اشرنا اليه من حول العلاقة بين أبي مصعب الزرقاوي أمير التنظيم العراقي وبين بن لادن نفسه.

ثالثا: استلام ابو بكر البغدادي لتنظيم «الدولة الاسلامية في العراق» وعودة استهداف المسلمين المخالفين وبقوة.

ثالثا: أن خليفة بن لادن، أي أيمن الظواهري، سارع وفور استلامه للقيادة، لمباركة الاعمال في العراق، وسرعان ما انخرط في الازمة

السورية عبر فتاواه المتلاحقة المتعلقة بسوريا.

رابعا: ما سيظهر لاحقا من علامات تقوي ما ذكرناه، من ان المملكة تسعى لتقطيع اوصال القاعدة كتنظيم مركزي، لا سيما في زعمها محاربة داعش السوري، مع دعمها له في العراق، وسياتي ذكر ذلك في حينه.

ومهما يكن من امر فان اغتيال بن لادن مثل انعطافة حقيقية في تاريخ التنظيم.

٨- اغتيال بن لادن وازمة الخلافة

لقد ابرز اغتيال بن لادن اشكالية القيادة من بعده، لا سيما وان الظواهري، الذي استلم بعده، يعتريه الضعف وهو لم يستطع تجميع التنظيم، فضلا عن اننا لم نستطع ان نجد مبايعة له من الشخصيات الفاعلة والهامة في التنظيم.

ويكفي ان نقرأ المقالة التي نشرها هاني نسيرة حول ازمة القيادة وخلافة بن لادن، لنعرف حجم المأزق الذي وصل اليه التنظيم بعد اغتيال بن لادن. يقول هاني نسيرة:

«لا تكلف إلا نفسك» هذا عنوان أول رسالة مرئية وفيلمية وجهتها القاعدة بعد وفاة بن لادن، لا تكلف إلا نفسك دعوة للجهاد الفردي حين يكون الرهان على الأفراد، قبل أن يكون الرهان على التنظيم الذي قد يصاب بعدم الثقة بعد مقتل زعيمه وإخفاء جثته وإلقائها في البحر بعد أن أقيمت عليها الشعائر الإسلامية.

ثم تلاها تسجيل للظواهري بتاريخ ٩ حزيران يونيو ٢٠١١ بعنوان» وترجل الفارس» ثم صدر بيان القاعدة بتولية الظواهري القيادة بعد بن لادن في ١٦ حزيران يونيو... ولكن يظل التساؤل كيف تأخرت بيعة الأمير الجديد للقاعدة أيمن الظواهري؟!

الخلاف و سياق الخلافة:

كانت ثمة خلافات جزئية وحادة أحيانا بين عناصر التنظيم في حياة بن لادن، فكانت رسالة عطية الله الليبي الحادة للزرقاوي في العراق عام ٢٠٠٥، التي ترفض تمثيله بالقتلى وقتله على الطائفة، والتي كرر فيها كلاما سابقا لبن لادن والظواهري.

كما سادت الخلافات بين قيادة كتائب عبد الله عزام التي برز اسمها بين عامي ٢٠٠٤ و٢٠٠٥ وأسسها محمد خليل الحكايمة المصري(قتل في وزيرستان سنة ٢٠٠٨) وخلفه صهره السعودي صالح بن عبد الله القرعاوي في قيادتها المعروفين بالزرقاويين الجدد أمثال صالح القرعاوي وبعض العناصر المصرية وغير النجدية التي تدير القيادة المركزية للتنظيم، فشلت في حلها وساطة أحد كبار علماء القاعدة الراحلين ابو الوليد الغزى الأنصاري قتل سنة ٢٠٠٩....

ولكن بعد مقتل ابن لادن بدا أن الخلاف قد أزيح ووحدت أزمة اليوم فرقاء الأمس، فأصدرت كتائب عبد الله عزام بيانا في نعيه والدعوة للوحدة وكذلك تنظيم القاعدة في جزيرة العرب الذي يتخذ من اليمن ملاذا آمنا أول الداعين لدرئه ومباركة الطاعة للرجل الثاني في التنظيم ايمن الظواهري، فيقول بيان كتائب عبد الله عزام:

«ونعزي إخواننا المجاهدين في تنظيم القاعدة جميعًا، ونخص منهم رفيق درب الشهيد وصاحبه في الجهاد، حكيم الأمة الشيخ أيمن الظواهري حفظه اللّه، فثباتًا يا أيها الحكيم، فإنما النصر صبر ساعة» بتاريخ ٩ مايو سنة ٢٠١٠.

في حياة بن لادن كانوا يكتبون ويهتفون «كلنا أسامة» لكن كان أول تسجيل يصدر عن مؤسسة السحاب الذراع الإعلامي للقاعدة يقول «لا تكلف إلا نفسك» ملحا على نظرية الجهاد الفردي التي دشنها المصري محمد خليل الحكايمة (قتل في أفغانستان سنة ٢٠٠٨) ثم أعقبه تسجيل للظواهري بعنوان» وترجل الفارس النبيل) اليوم..

فهل هي دلالة التحول من الالتفاف حول الزعيم المؤسس للتنظيم..إلى جهاد الأفراد ومسئوليتهم بغض النظر عن وضعية هذا التنظيم وأزمة قيادته المركزية في أفغانستان وباكستان..

يبدو أن زعماء القاعدة في باكستان وافغانستان لم ينجحوا في الاجتماع أو حتى صلاة الغائب على زعيمهم الراحل أبي عبد اللّه، فيبايعوا أحد كبارهم أميرا عليهم، كما كانت تصنع جماعة الإخوان المسلمين في بيعة المقابر حتى عام ٢٠٠٢ وتولية مهدي عاكف خلفا للمأمون الهضيبي، بل اكتفوا بإعلان سيف العدل قائدا مؤقتا حسب بعض المصادر غير المؤكدة حتى الآن، فزعماء القاعدة في أفغانستان وباكستان مأزومون يبحثون عن ملاذا ومخرج منها منذ عام ٢٠٠٣، وقبل هذا التاريخ كما أكدت وثائق سنجار(SINJAR RECORDS) التي اكتشفت في العراق من قبل القوات الأمريكية في نفس العام.

ثم كانت بيعة الظواهري التي خلت من أي ذكر ل سيف العدل ولا للراحلين وللأحياء باستثناء بن لادن والظواهري، ولكن الآن يمر ما يقرب من ثلاثة أسابيع على تولية الظواهري ولم نجد بيانا لأي تنظيم فرعي لزعيم التنظيم الجديد، ولم نجد أي مباركة سوى مباركة شيخ باكستاني على ما يبدو، ورغم نشاطية كل من تنظيم القاعدة في العراق وفي اليمن والمغرب في الإعلان عن عملياتهم إلا أن واحدا من هذا التنظيمات لم يبطل حقنا في التساؤل مؤكدا طي الخلاف وبيعة الظواهري زعيما جديدا للتنظيم.. فهل هو انتهاء القيادة العامة للتنظيم واستقلال التنظيمات الفرعية أم استمرار الخلاف رغم دعوى الخلافة!»[1].

وكانت تقارير صحافية كشفت في وقت سابق، من خلال رسائل بن لادن التي عثرت عليها الاستخبارات المركزية الأمريكية في منزله، بعد تنفيذ عملية أبوت أباد في باكستان في الثاني من ايار (مايو) ٢٠١١، عن الخلافات والانشقاقات داخل التنظيم، ومنها ما جاء في رسالة نعمان بن عثمان إلى بن لادن، لتؤكد انحراف القاعدة في فهم مبادئ الإسلام، حيث يرى ابن عثمان أن **«صورة الإسلام في الغرب عموماً باتت مشوهة بسبب تصرفات القاعدة، إذ إن المسلمين بات يُنظر إليهم كعناصر إرهابية كامنة»**. ويراهن ابن عثمان على أن انتقاداته لتصرفات القاعدة، يشاركه فيها كثيرون، حتى من قادة الجهاديين أنفسهم، في إشارة إلى المراجعات التي قام بها عدد كبير

---

(١) راجع: موقع السكينة: www.assakina.com/center/parties/8577.html#ixzz2tEjHvVwz

من القيادات التي أعلنت خلال السنوات الماضية وقوفها ضد الغلو في تفسير المفاهيم الجهادية، على يد القاعدة وبعض فروعها.

يقيّم الباحث في الحركات الأصولية سعود السرحان خطاب الظواهري حول دعوته الاطراف «الجهادية» في سوريا الى الكف عن القتال فيما بينهم في حديثه لـ «الاقتصادية السياسي» بقوله: **«جاءت دعوة الظواهري الأخيرة بعد عمليات القتل والاغتيال والإعدامات المتبادلة بين الجماعات الجهادية المحسوبة على القاعدة بتفرعاتها. والملاحظ على كلمة الظواهري ضعفها وأنه عاجز عن إيجاد حل على الأرض، واكتفاؤه بالنصح والتوجيه».**

ويضيف السرحان: **«هذه العمليات قوضت قيادات القاعدة، وذكرت تقارير استخبارية وشهود عيان أن قيادات القاعدة في وزيرستان خسرت شعبيتها وخسرت أنصارها بعد تجفيف تمويل التنظيم في أعقاب مقتل أسامة بن لادن. وذكرت المصادر نفسها أن القيادات الميدانية بدأت تختفي من الأماكن العامة، وبدأت تستخدم الدراجات النارية بدل استخدامها السابق العجلات ذات الدفع الرباعي المترفة. وبمقتل عبد الرحمن الليبي، المسؤول الإعلامي للتنظيم بواسطة طائرة بدون طيار داخل وزيرستان (باكستان)، تكون القاعدة قد تلقت ضربة موجعة، كونه كان بمثابة الرابط بين التنظيم المركزي والتنظيمات الإقليمية والمحلية، من خلال سيطرته على الماكينة الإعلامية لتنظيم القاعدة المعتمدة أبرزها «الفجر» و«سحاب»، وبغيابه تكون قد ضاعت حلقة الربط المهمة في شبكة**

القاعدة».بالاتجاه نحو القرن الإفريقي، تظهر قصص مشابهة عن انشقاقات لتنظيمات وتشكيلات عسكرية عن المركز «الأم» القيادي في أفغانستان تحت إمرة الظواهري. فواحدة من أكبر المجموعات هي مجموعة «الشباب» وهي حركة الشباب السابقة لاتحاد المحاكم الإسلامية التي كانت تسيطر على معظم مناطق الصومال. ففي ٢٠١٠ حاول الظواهري استبدال أحمد جوداني، زعيم حركة «الشباب»، لكن قراره قوبل بالتجاهل. ثم أقسم جوداني يمين البيعة مرة أخرى للظواهري في ٢٠١٢.

ويقول السرحان في نهاية مداخلته للموضوع الرئيس حول مدى تماسك الهيكل التنظيمي للقاعدة، مشيرا إلى أنه «منذ بداية ما سمي بالحرب على الإرهاب لم يعد هناك تنظيم متماسك للقاعدة، بحيث إن الفروع تتبع القيادة الرئيسة إدارياً وتنظيمياً، فقد كانت الفروع تقوم بعملها بشبه حرية، وكان دور القيادة يقوم بشكل كبير على التنسيق بين الفروع، إضافة إلى العلاقة الشخصية التي تربط بين قادة فروع التنظيم وبين القيادة التي يمثلها أسامة بن لادن. ومع ذلك فقد كانت شخصية أسامة بن لادن تمثل مرجعية لا يمكن تجاهلها لفروع التنظيم، وذلك بخلاف الظواهري الذي لا يحظى بإجماع قاعدي كالذي كان يحظى به أسامة. وعلى وجه التحديد كانت علاقة الظواهري بالقاعدة في العراق متوترة منذ أيام أبي مصعب الزرقاوي».في الفترة السابقة لما اصطلح عليه «الربيع العربي» كان تنظيم القاعدة أشبه ما يكون في حالة موت سريري، منحصر وجوده في أفغانستان، باكستان، اليمن، والصومال. ولكن «الربيع العربي» الذي ترك خلفه فوضى عارمة في

دول الحراك الشعبي، أتاح لتنظيم القاعدة إعادة تموضعه «السياسي» على خريطة الشرق الأوسط. فبقدر ما يبدو هذا التنظيم مفككاً إلا أنه يبدو برغم ذلك خطراً، أو كما وصفته صحيفة «فاينانشيال تايمز» في تقرير نشرته أخيراً «إن القاعدة أشبه ما تكون بأفعى يائسة ولكن برؤوس متعددة»[١].

ويقول نايجل انكستر، النائب السابق لرئيس جهاز (إم.آي.٦)، ويرأس حاليا وحدة التهديدات الدولية بالمعهد الدولي للدراسات الاستراتيجية **«الجميع يسألون أنفسهم نفس السؤال: هل لايزال الحديث عن القاعدة باعتباره تنظيما وحيدا له معنى؟ وإن لم يكن ما الذي نتعامل معه؟ »[٢].**

لقد كشفت هذه التقارير ما ذكرناه في البدايات، من ان ثمة رغبة سعودية في انهاء القيادة المركزية للتنظيم، ما يسهل عليها الامساك به، والتعامل مع القيادات الفرعية في كل بلد على حدة، ويبدو انها نجحت في ذلك.

٩- الحرب في سوريا تعري المملكة

لم يعد الدعم السعودي للمجموعات التكفيرية امرا سريا، ففي الوقت الذي كانت فيه قطر تدعم الاخوان المسلمين وما يسمى الجيش الحر، كانت المملكة تحضر الارضية لجماعات تكفيرية.

---

(١) راجع: http://www.aleqt.com/2014/01/26/article_819895.html

(٢) راجع وكالة رويترز: - http://ara.reuters.com/article/topNews/idAR CAEA0G05D20140117.

وليس غريبا ان تظهر في سوريا، بعد حوالي السنة من اندلاع الازمة، اصوات مذهبية كتلك التي ظهرت في العراق. كما انه ليس غريبا ان تظهر نفس الاسماء التي كانت تعمل في افغانستان وباكستان والعراق والشيشان وليبيا، ان تظهر كلها في سوريا.

بدأت اصوات كثيرة تتحدث عن دعم المملكة لما يسمى الدولة الاسلامية في العراق والشام، التي اطلقت على نفسها لاحقا اسم داعش.

فها هو روبرت فيسك يكتب في صحيفة الاندبندنت البريطانية مقالا تحت عنوان: «انظمة الشرق الاوسط تحارب الآن تنظيم القاعدة»، حيث صرح فيسك: **«وفي الوقت نفسه المال السعودي خاصة ما زال يتدفق إلى سوريا لمساعدة الدولة الإسلامية المرتبطة بالقاعدة من العراق و بلاد الشام»**[١].

كما ان البروفسور جيمس بيتراس كتب لموقع «غلوبال ريسيرتش» مقالاً تحت عنوان «الارهاب العالمي والمملكة العربية السعودية: شبكة بندر الارهابية» تحدث فيه عن ان **«النخبة الحاكمة (في المملكة) تمول، منذ زمن، النموذج المتعصب والمتخلف أكثر المتعصبين من الاسلام، اي المذهب الوهابي..كما تقوم بتمويل وتدريب وتسليح شبكة دولية للارهاب توجهم نحو الهجوم،**

---

(١) راجع: http://www.independent.co.uk/voices/comment/now-its-middle-eastern-regimes-fighting-alqaida-while-the-us-ties-itself-up-in-knots-9039977.html.

وغزو وتدمير الأنظمة المعارضة لنظام الملالي الديكتاتوري-السعودي».

ويتابع بيتراس يقول: «العقل المدبر للشبكات الإرهابية هو السعودي بندر بن سلطان، الذي لديه علاقات قديمة وعميقة مع المسؤولين السياسيين والعسكريين والاستخبارات على مستوى عال في الولايات المتحدة. وتم تدريب بندر وتلقينه في قاعدة ماكسويل الجوية وجامعة جونز هوبكنز».

ويتابع: «بندر هو مشغل الإرهابية البراغماتية» فقد قمع الخصوم من تنظيم القاعدة في المملكة العربية السعودية لكنه يقوم بتمويل الإرهابيين من تنظيم القاعدة في العراق وسوريا وأفغانستان وأماكن أخرى».

وختم بيتراس مقالته بالقول: «في الواقع، بندر بن سلطان هو ربيب وخليفة بن لادن، أنه اذا ما تعمقت فيه ستجده والمتقن للإرهاب العالمي. وقد قتل بندر بشبكاته الارهابية من الضحايا الأبرياء أكثر بكثير من بن لادن. هذا، بطبيعة الحال، أمر متوقع، نظرا لكل ما لديه من مليارات الدولارات من الخزينة السعودية، والتدريب من وكالة المخابرات المركزية ومصافحة نتنياهو»[١].

ومهما يكن من امر، فان بيتراس استعرض لائحة طويلة من العمليات الارهابية، وهو مقال جدير بالقراءة.

(١) راجع: http://www.globalresearch.ca/global-terrorism-and-saudi-arabia-a-retrograde-rentier-dictatorship/5364556.

وها هو صدام الجمل ايضا، احد قادة ألوية «احفاد الرسول» يعترف في احد مقرات داعش، عن اجتماعات قادة الاركان مع ضباط مخابرات اجانب وعرب من السعودية والاردن بحضور الامير سلمان بن سلطان.

كما ان الباحث الاميركي «فريد زكريا» يقول في مقالة له لمجلة «التايم» الاميركية انه «**إذا كانت هناك جائزة للسياسة الخارجية الأكثر لامسؤولة فبالتأكيد ستمنح إلى المملكة العربية السعودية. فهي من أكثر الدول المسؤولة عن صعود التطرف الإسلامي والتشدد في جميع أنحاء العالم. وعلى مدى العقود الأربعة الماضية، تم استخدام الثروة النفطية الهائلة في المملكة لضمان تصدير الصورة المتطرفة والمتعصبة والعنيفة والغير متسامحة من الاسلام، من خلال ما بشر به رجال الدين الوهابيين. اذهب إلى أي مكان في العالم – من ألمانيا إلى إندونيسيا – وستجد المراكز الإسلامية المنتعشة بالأموال السعودية، تنفث التعصب و الكراهية**».

وينقل زكريا عن ستيوارت ليفي، مسؤول الخزانة الاميركية قوله لشبكة ايه بي سي نيوز عام ٢٠٠٧ «**لو ان أصابعي ستضغط لقطع التمويل من بلد واحد، فسيكون من المملكة العربية السعودية**».

ويضيف زكريا: «**عندما تواجه(المملكة) بالأدلة، فغالبا ما يدعي المسؤولون السعوديون تدفق هذه الأموال من الأفراد و المؤسسات الخاصة وان الحكومة لا تملك السيطرة عليها**». لكن زكريا شكك بهذه الادعاءات معتبرا ان العديد من الاسس وضعت من قبل

الحكومة، فضلا عن انه لا يمكن تصور قيام احد بتحدي السياسة الوطنية للمملكة التي نظام الحكم فيها هو الملكية المطلقة.

كما تحدث زكريا عن برقية موقعة بتاريخ كانون الاول ٢٠٠٩، سربها موقع ويكيليكس عام ٢٠١٠، اكدت فيها وزيرة الخارجية الاميركية انذاك هيلاري كلينتون ان المملكة العربية السعودية ظلت القاعدة المالية الحرجة للارهاب وانه لم يتخذ سوى اجراءات محدودة من الرياض لوقف تدفق الاموال الى طالبان وجماعات اخرى من هذا القبيل.

واشار زكريا الى نقطة هامة ايضا، وهي ان المملكة كانت واحدة من دول ثلاث فقط اعترفت بحكومة طالبان في افغانستان، حتى هجمات الحادي عشر من ايلول سبتمبر.[١]

كل ذلك يؤكد ما كانت اعلنته صحيفة «يو اس نيوز اند وورلد ريبورت» في دراسة موسعة عام ٢٠٠٣ بعنوان «العلاقة السعودية»؛ حيث راجعت الصحيفة الاف الصفحات من سجلات المحاكم والتقارير الاستخبارية الاميركية والاجنبية، وتوصلت الى استنتاجات مفادها ان السعودية، حليفة الولايات المتحدة والدولة الاغنى بالنفط في العالم، اصبحت منذ زمن بعيد «مركزا لتمويل الارهاب في العالم»[٢].

---

(١) راجع: -http://content.time.com/time/magazine/article/0,9171 ,2156259 1,00.html.

(٢) راجع صوت روسيا: http://arabic.ruvr.ru/2014_01_13/127193858/

وكانت صحيفة ستاندارد النمساوية قد ذكرت ان بندر بن سلطان، رئيس الاستخبارات السعودية «**يتحمل مسؤولية وصول جميع المقاتلين العرب والاجانب والتنظيمات الارهابية المتطرفة ودعمها بالمال والسلاح الى سوريا وذلك بدعم من آل سعود**».

١٠- المملكة والظواهري يتبرءان من داعش

بحسب العمل المفترض لتنظيم القاعدة وفق الخطط الجديدة من اللامركزية، فان عمل ما يسمى الدولة الاسلامية في العراق(اميرها ابو بكر البغدادي) يجب ان ينحصر في العراق، اما سوريا فانها مجال عمل ما يسمى بجبهة النصرة (بامرة ابي محمد الجولاني). الا ان ذلك لم يحصل، وأعلن زعيم تنظيم الدولة الاسلامية في العراق أبو بكر البغدادي في نيسان/ أبريل ٢٠١٣ عن تمدد «الدولة الإسلامية» إلى سوريا لتصبح «الدولة الاسلامية في العراق والشام» (داعش).

ولم يمض اكثر من شهر (في أيار/ مايو ٢٠١٣) حتى حاول أيمن الظواهري إبطال محاولات البغدادي لزيادة سلطاته، حيث دعا «الدولة الإسلامية في العراق والشام» إلى البقاء في العراق والسماح لـ «جبهة النُصرة» بأن تكون الفاعل المفضل في سوريا. لكن البغدادي، وفي تحدٍ للظواهري أصدر رسالة صوتية يذكر فيها أن تنظيم «داعش» سوف يبقى في سوريا، ولن يلتزم بتقسيم يقوم على اتفاق سايكس بيكو، الذي يعود إلى الحرب العالمية الأولى. هذا الرفض من بغدادي اكد من جديد ضعف قيادة الظواهري للتنظيم.

وقد تلاقى هذا القرار من الظواهري، مع علامات بدأت من المملكة، للتبرأ من داعش ولو ظاهرا، بعد الصور البشعة التي ظهر فيها التنظيم من خلال عمليات القتل التي نفذها من ذبح وقطع للرؤوس وحرق للاحياء، فمالت المملكة، في بداية انعطافتها، لتمويل جبهة النصرة؛ لكنها بدأت باعداد العدة لتشكيل تنظيمات جديدة.

وعلى اي حال، فان هذا الخلاف بين التنظيمات التكفيرية لم يقتصر على اصدار البيانات، بل وصل الى حد الصدام المسلح. وقد ظهر الصدع بين تنظيم «القاعدة»/ «جبهة النُصرة» و «الدولة الإسلامية في العراق والشام» في بداية الأمر على شكل انتقاد بين زعيمين. بيد أن الحرب المفتوحة بينهما - وتحديداً «جبهة ثوار سوريا» و «جيش المجاهدين» و «الجبهة الإسلامية» - وبين «الدولة الإسلامية في العراق والشام» منذ أوائل كانون الثاني/ يناير ٢٠١٤ قد وسّعت الفجوة، وكانت على الأرجح السبب الرئيسي وراء تخلي «القاعدة» في النهاية عن تنظيم «داعش».

ففي مساء ٢ شباط/ فبراير(٢٠١٤)، أصدرت القيادة العامة لـ تنظيم «القاعدة» بياناً نأت فيه بنفسها عن جماعة «الدولة الإسلامية في العراق والشام» «داعش» بقولها: **«الدولة الإسلامية في العراق والشام» ليست فرعاً من جماعة «قاعدة الجهاد» [الإسم الرسمي لـ تنظيم «القاعدة»] وليست لنا أية علاقة مؤسسية معها، كما أن «التنظيم» ليس مسؤولاً عن تصرفاتها».**

إن تنكر تنظيم «القاعدة» لـ جماعة «الدولة الإسلامية في العراق والشام»، يذكرنا بقوة، بسحب الدعم من قبل «الجماعة الإسلامية الليبية المقاتلة» و «الجهاد الإسلامي المصري» وأبو قتادة الفلسطيني و أبو مصعب السوري، من «الجماعة الإسلامية المسلحة» خلال الحرب الأهلية الجزائرية عام ١٩٩٦. وقد كان أسامة بن لادن نفسه متشككاً جداً من «الجماعة الإسلامية المسلحة» عندما رفضت طلبه بإنشاء معسكرات تدريب في الجزائر، وشعر بالقلق من تبني الجماعة لأيديولوجية مزعجة. بل إن بن لادن لعب دوراً في إنشاء كيان جزائري منشق «أقل تطرفاً»، يعرف باسم «الجماعة السلفية للدعوة والقتال» في عام ١٩٩٨، والتي غيرت اسمها لاحقا لتصبح تنظيم «القاعدة في بلاد المغرب الإسلامي» عام ٢٠٠٧.

١١- تنظيمات جديدة الى الواجهة

دعمت المملكة داعش في البدايات، ظنا منها ان النظام السوري سيسقط قريبا، وهي لا تملك الوقت الكافي لبناء تنظيم جديد. ولما اخذ داعش بالتوسع والتمدد من جهة، وظهر ان الازمة في سوريا لن تحسم كما كانت تشتهي المملكة من جهة ثانية، ولما ظهرت جرائم داعش بشكل فاق كل تصور من جهة ثالثة، وبعد ان سلط الاعلام الغربي وبقوة الضوء على الدعم السعودي للتنظيم، كما ابرزنا ذلك فيما مضى، بعد كل ذلك، اتخذت المملكة قرارها بالتخلي عن داعش والنصرة معا، وبدأت العمل على تشكيل تنظيم جديد تسعى لتسويقه، على انه اقل عنفاً، رغم ان عناصره هم من «امراء» لطالما

كانوا يعملون مع القاعدة في اماكن شتى من العالم. وهكذا ولدت «الجبهة الاسلامية» وكذلك «جيش الاسلام».

ويظهر جلياً العمل السعودي المزدوج، من انها في نفس الوقت الذي تتبرأ فيه من داعش سوريا، تدعم داعش العراق، ويمكن مراجعة الاتهامات المتكررة لرئيس الوزراء العراقي السابق نوري المالكي للمملكة، كما يمكن مراجعة مواقف المملكة نفسها واعلامها ضد العمليات التي يقوم بها الجيش العراقي في محافظة الانبار. وتنسحب هذه الازدواجية على اليمن ايضا، ففي الوقت الذي تحارب فيه المملكة الاخوان المسلمين في مصر وسوريا والخليج، فانها تدعم حزب الاصلاح المعروف تاريخيا بانتمائه للاخوان وآل الاحمر من قبائل حاشد[١].

أ ـ جيش الاسلام

لن اتكلم كثيرا عن هذا التنظيم بل ساترك لوكالة رويترز ان تخبرنا عنه:

ففي الاول من شهر تشرين الاول اكتوبر ٢٠١٣ نشرت وكالة رويترز تقريرا تحت عنوان «السعودية تدعم منافسي القاعدة السلفيين في سوريا» جاء فيه:

«تحاول السعودية التي يقلقها صعود تنظيم القاعدة في سوريا تعزيز إسلاميين منافسين له تربطهم علاقات بها وساعدت هذا الأسبوع في

---

(١) كتب هذا البحث قبل انطلاق العدوان السعودي على اليمن، والذي أكد التنسيق الكبير بين المملكة وداعش والقاعدة على الاراضي اليمنية.

ترتيب اندماج بين جماعات معارضة مسلحة حول دمشق تحت قيادة زعيم تدعمه المملكة(المقصود به زهران علوش).

وقد يدعم هذا المعارضة عسكريا في وقت تتقدم فيه قوات الرئيس بشار الأسد لكنه يبرز كذلك توسع القاعدة في سوريا وتفشي الانقسامات في صفوف أعداء الأسد في حين تسعى القوى العالمية لدفعهم للدخول في محادثات مع حكومته.

وقالت مصادر بالمعارضة ومصادر دبلوماسية إن السعودية هي التي دفعت كتائب للمعارضة تنشط داخل دمشق وحولها لأن تعلن هذا الاسبوع انضوائها تحت قيادة موحدة تضم ٥٠ جماعة وبضعة آلاف من المقاتلين.

ومن شأن تشكيل جيش الإسلام بالضواحي الشرقية لدمشق بقيادة زهران علوش زعيم جماعة لواء الإسلام أن يقوي شوكة السلفيين الجهاديين الموالين للرياض في مواجهة جماعة الدولة الإسلامية في العراق والشام وهي فرع للقاعدة انتزع في الأسابيع الأخيرة السيطرة على أراض من جماعات إسلامية أخرى في مناطق بشمال وشرق سوريا.....

ويأتي تأسيس جيش الإسلام عقب الإعلان المشترك الذي أصدرته الاسبوع الماضي جماعات أغلبها في شمال شرق البلاد وتضم أيضا جماعة لواء الإسلام اتفقت على القتال من أجل تطبيق الشريعة ورفضت سلطة المعارضة في الخارج المتمثلة في الائتلاف الوطني السوري المدعوم من الغرب والسعودية.

والجدير بالملاحظة أن جماعة الدولة الإسلامية في العراق والشام لم تنضم إلى هذا الاتفاق.

وتجنب زهران علوش الذي أسس لواء الإسلام مع والده عبد الله رجل الدين السلفي السوري المقيم بالسعودية إعلان معارضته شخصيا للقاعدة أو للائتلاف الوطني السوري. لكنه انتقد الفشل في توحيد صفوف المعارضة المسلحة في معرض تفسيره لتشكيل الجيش الإسلامي.

وقال لتلفزيون الجزيرة في إشارة ضمنية إلى القتال فيما بين المعارضين في الفترة الأخيرة «نحن ننطلق في تشكيل هذا الجيش مما ينادي به كافة أبناء بلدنا من وجوب التوحد بين فصائل المجاهدين.. الوحدة بين فصائل المجاهدين.. حتى نتجنب آثار الفرقة والخلاف التي باتت تفرز ثمرات مرة قد تصل مرارتها إلى بعض ابناء المناطق المحررة.

«ولذا شددنا الهمة ورفعنا وتيرة العمل الدؤوب التي كانت قد بدأت منذ زمن طويل لتفعيل مشروع توحيد الفصائل المجاهدة على أرض سوريا الحبيبة. وأثمرت هذه الجهود عن تشكيل هذا الجيش المبارك.»

ولم يتسن الحصول على تعليق من علوش بشأن الدور السعودي في الكيان الجديد.

ولا يعلق المسؤولون السعوديون على الأنشطة السعودية في

سوريا حيث تدعم المملكة الانتفاضة ضد الأسد المتحالف مع إيران التي تنافس الرياض على النفوذ بالمنطقة.

لكن مصادر بالمعارضة ومصادر دبلوماسية أبلغت رويترز أن السعودية التي تمول معارضين للاسد وتزودهم بالسلاح وغيره من الإمذادات وراء تشكيل جيش الإسلام.

وابلغ قائد وحدة إسلامية للمعارضة في الجانب المقابل من دمشق لقاعدة عمليات الجيش في الشرق رويترز أن شخصيات سعودية كانت على اتصال مع جماعات سلفية مختلفة في الأسابيع الاخيرة عارضة دعمها مقابل تكوين جبهة موحدة لمنع حلفاء القاعدة من توسيع وجودهم حول العاصمة وهو وجود رصد بالفعل.

وقال القائد الذي يعمل تحت اسم ابو مصعب «شخصيات قبلية سعودية أجرت اتصالات نيابة عن المخابرات السعودية.

«استراتيجيتهم هي تقديم الدعم المالي مقابل الولاء والبقاء بعيدا عن القاعدة.»

ويقيس السعوديون مدى استعداد المقاتلين السلفيين المحليين للانضمام إلى تشكيلات تدعمها المملكة بما في ذلك كيان مقترح تحت اسم الجيش الوطني السوري. وقال أبو مصعب إن هذا يمكن أن يعارض القاعدة على غرار مجالس الصحوة التي مولتها الولايات المتحدة في العراق وتضم مقاتلين من العشائر السنية يقاتلون القاعدة في العراق منذ ٢٠٠٧.

وقال دبلوماسي غربي يتابع الصراع عن قرب «يزداد شعور السعودية بعدم الارتياح لانضمام مزيد من المقاتلين المعارضين إلى صفوف القاعدة. المكاسب الأخيرة للدولة الإسلامية في العراق والشام أحرجت السعوديين ويبدو أن الهدف من التحالف الجديد هو منع القاعدة من كسب نفوذ.»

واضاف أن الاستراتيجية السعودية ذات شقين: دعم الإسلاميين الأقل تطرفا في الائتلاف الوطني السوري في الخارج واستمالة الكتائب السلفية في الداخل بالمال والسلاح.

وقال «كثير من تلك الجماعات السلفية تمقت الائتلاف الوطني السوري. لكن السعودية لا ترى في ذلك تناقضا ما دامت تلك الجماعات بعيدة عن القاعدة.»

وقال عبد الرزاق زياد وهو نشط ليبرالي مقيم في تركيا إن تشكيل جيش الإسلام الذي أعلن في تسجيل مصور بث على الانترنت أزعج القاعدة بالفعل.

واضاف أن تعليقات أناس مقربين من الدولة الإسلامية في العراق والشام على فيسبوك تشير إلى أنهم ينظرون إلى الكيان الجديد على أنه منافس.

وقال دبلوماسي آخر مقيم في الشرق الأوسط «لاحظنا في الأسابيع القليلة الماضية أن كل جماعة كبيرة كثفت جهودها لتوسيع نطاق نفوذها. ما كان لمثل هذا التحالف أن يقام دون مباركة السعودية.

«لم يكن لواء الإسلام وحلفاؤه يشعرون بالارتياح لقيام القاعدة بإيجاد موطئ قدم لها في الغوطة لذا التقت مصلحتهم مع مصلحة السعودية.»

ويبدو أن جيش الإسلام يرغب في تجنب قتال القاعدة في الوقت الحالي. فبعدما قال رجل يدعى سعيد جمعة وصف بأنه نقيب في جيش الإسلام لتلفزيون معارض إن صراعا مفتوحا قد ينشأ مع الدولة الإسلامية في العراق والشام إذا واصلت ما وصفه بهذه الفوضى تبرأ زهران علوش من تصريحاته في تغريدة على تويتر اليوم الثلاثاء.

وقال علوش إن تصريحات جمعة «خطيرة» وتهدف لبث الفتنة في صفوف المسلمين.

وتجنب جيش الإسلام أيضا الانفصال تماما عن الائتلاف الوطني السوري. وقال إسلام علوش المتحدث باسم الجيش لرويترز إنهم لا يعادون من لا يعاديهم. غير إن جيش الإسلام شارك بالفعل الآخرين في انتقادهم للائتلاف الوطني السوري من حيث أنه يجب أن يدار من خلال المقاتلين داخل سوريا وليس قيادات في الخارج.

وقال المعلق السياسي حازم الأمين إنه إذا كان هدف الرياض هو إحباط أعدائها في القاعدة من خلال حشد الإسلاميين السوريين المحليين كما فعلت واشنطن مع مجالس الصحوة في العراق فقد تكون حساباتها خاطئة. مضيفا أن السلفيين السوريين خلافا للمقاتلين العراقيين يتبنون على نحو متزايد آراء متشددة قريبة من فكر القاعدة.

وكتب في صحيفة الحياة «في سوريا يبدو الأمر مختلفا». وأضاف «النسيج الاجتماعي أقل انسجاما من أن ينتج صحوات. السلفية السورية الجديدة... في جوهرها جهادية وسائرة نحو التكفير على نحو ما أصاب قريناتها في الدول والمجتمعات المجاورة»[1].

وفي نفس السياق، كتب فيل غريفز في الثالث من تشرين الاول اكتوبر(٢٠١٣) مقالة نشرها موقع «غلوبل ريسيرتش» تحت عنوان «سوريا وجيش الإسلام أعظم تصدير للمملكة العربية السعودية» يقول فيها: «ويهيمن على جماعة جيش الإسلام عن طريق لواء الاسلام، وهي جماعة متمردة كبيرة سابقا من «الجيش السوري الحر» بقيادة زهران علوش الذي تدعمه السعودية».

ويتابع غريفز قائلا: «يجري تصوير هذه التصريحات (تشكيل جيش الاسلام على انه محاولة لمحارب التطرف والتكفير) بأنها محاولة من المملكة العربية السعودية - نعم، وتسامحا اكثر من أي وقت مضى وتشمل الوعظ الوهابي السعودي - وغيرها من الفصائل السلفية الرائدة لدعم التمرد لتوجيه «السلفية المعتدلة» بعيدا عن تنظيم القاعدة.. وخاصة دولة العراق الإسلامية، الذي يتم تصويرها الآن بأنها مجرد «الجهاديين الأجانب «و أصبحت كبش الفداء الرائدة في وسائل الإعلام الغربية و الخليج للكل الفظائع التي يرتكبها المتمردون. وقد تم بناء هذا التصور بشكل

---

(١) راجع وكالة رويترز: http://ara.reuters.com/article/topNews/idARACAE 9B21OX20131001?sp=true.

كاذب نتيجة حملة علاقات عامة غربية خليجية بدأت لادارة «الصورة السلفية / الجهادية» المعتدلة للاصوليين (مقابل تلك الأكثر ميلا إلى الإجرام و القتل، والتدمير) الذي قد يكون أكثر استعدادا لتلبية متطلبات الجهات المانحة في الخليج و الولايات المتحدة....»[١].

وفي اطار حملة تلميع الصورة لبعض التكفيريين، ربما يأتي قيام اميركا بسحب اسم ابي محمد الجولاني، امير جبهة النصرة من لائحة «للارهابيين».

ومهما يكن من امر، فاننا نطالع في صحيفة «التايمز» تقريرا أعدته كاثرين فيليب، مراسلة الصحيفة لشؤون الشرق الأوسط، حول توحد ٤٠ تنظيما إسلاميا تحارب «نظام الرئيس بشار الأسد» بدعم سعودي لمواجهة تنظيم القاعدة.

«جيش الإسلام» هي المظلة التي ينضوي تحتها مقاتلون من أكثر من تتنظيم إسلامي، تقول فيليب. وتنقل فيليب عن قياديين إنهم تجمعوا بمبادرة سعودية، حيث بدأت المملكة تقلق من تنامي نفوذ تنظيم «الدولة الإسلامية في العراق والشام». وتقول كاتبة التقرير إن جيش الإسلام قائم على اساس السلفية[٢].

---

(١) راجع: - http://www.globalresearch.ca/syria-the-army-of-islam-saudi-ar bias- greatest-export/5352638

(٢) راجع: http://www.bbc.co.uk/arabic/inthepress/2013/10/131002_in_the_press_on_thursday.shtml.

ب - الجبهة الاسلامية

هي ايضا جبهة متطرفة شكلتها المملكة؛ لتكون بديلا عن داعش وجبهة النصرة، وجميع عناصرها وقياداتها عبارة عن عناصر سلفية وتكفيرية، خرجت من رحم التنظيمات الاخرى. ولن اتحدث عن هذه الجبهة بل سنقرأ ما كتبه الكاتب اليهودي هارون زبلين في مقالتين لمعهد واشنطن لدراسات الشرق الادنى، الاول في ٤ شباط فبراير ٢٠١٣ عن الجبهة الاسلامية السورية تحت عنوان «الجبهة الإسلامية السورية قوة متطرفة جديدة»، والثاني في ٣ كانون اول ديسمبر ٢٠١٣ تحت عوان «الثوار يعززون من قوتهم في سوريا: الجبهة الإسلامية».

في المقال الاول قال زبلين:

«لم يُسلّط سوى النذر اليسير من الضوء على «كتائب أحرار الشام» وهي مجموعة جهادية سلفية أخرى ذائعة الصيت تنمو قوتها ويستمر دعمها يوماً بعد يوم في حلب وإدلب وأماكن أخرى. وفي ٢١ كانون الأول/ ديسمبر، أعلنت «كتائب أحرار الشام» عن إنشاء قوة مقاتلة شاملة جديدة تدعى «الجبهة الإسلامية السورية». ونظراً للبسالة والشجاعة الكبيرة التي أظهرتها الجماعة في ميدان القتال والتشابه الأيديولوجي مع «جبهة النصرة»، يتعين على واشنطن وضع تصور كامل لقدراتها وانتشارها.

من هم هؤلاء؟

في بيان وفيديو إعلان تشكيل «الجبهة الإسلامية السورية»، أعلن المتحدث باسم الجبهة أبو عبد الرحمن الصوري أن الجماعة تتبع المذاهب السلفية المتشددة وأنها تخطط للإطاحة بنظام الأسد وحلفائه، وتعمل بعدها على تطبيق معاييرها في تفسير الشريعة في البلاد. ووفقاً لما قاله، إن ذلك سيعني إقامة مؤسسات تركز على القضايا السياسية والدعوة والتعليم الثقافي والإغاثة الإنسانية.

وتتكون «الجبهة الإسلامية السورية» من أحد عشر لواء، من بينها «كتائب أحرار الشام» (التي تعمل في جميع أنحاء سوريا)، و«حركة الفجر الاسلامية» (التي تعمل في مدينة حلب وحولها)، و«كتائب أنصار الشام» (في اللاذقية وحولها)، و«لواء الحق» (في حمص)، و«جيش التوحيد» (في دير الزور)، و«جماعة الطليعة الإسلامية» (في المناطق الريفية من ادلب)، و«كتيبة مصعب بن عمير» (في المناطق الريفية من حلب)، والجماعات «كتيبة صقور الإسلام»، و«كتائب الإيمان المقاتلة»، و«سرايا المهام الخاصة»، و«كتيبة حمزة بن عبد المطلب» التي تعمل في منطقة دمشق. وليس لدى الألوية الخمسة الأخيرة سجل يُذكر أو ليس لديها أي سجل على الإنترنت في خوض المعارك مما يشير إلى أنها ليست لاعبً حقيقياً على الأرض.

وتؤكد «الجبهة الإسلامية السورية» في نهاية بيانها من كانون الأول/ ديسمبر، أنها مفتوحة أمام التنظيمات الإسلامية الأخرى التي تتضامن معها في قضيتها، ويُظهر الفيديو المصاحب مقاتلي الجبهة وهم على أرض المعركة في دمشق وحمص وحماه وإدلب وحلب

ودير الزور، من بين أماكن أخرى. ومنذ ذلك الحين، كانت «الجبهة الإسلامية السورَية» و«جبهة النصرة» الواجهة الأمامية في عدة معارك هامة، منها تحرير مطار تفتناز مؤخراً وعملية هروب من سجن في إدلب وبذل جهود للسيطرة على جسر الشغو»[١].

اما في مقالته الثانية فقد قال زبلين:

«يشكل الاندماج الأخير للعديد من جماعات الثوار السوريين لتشكيل «الجبهة الإسلامية» أحد التطورات الأكثر أهمية في الحرب الدائرة في سوريا. ورغم أن المعارضة السياسية والعسكرية تعرضت للتشرذم منذ فترة طويلة، إلا أن المنظمة الجامعة الجديدة تضم تحت لوائها سبع جماعات بقوة إجمالية يتراوح قوامها ما بين ٤٥،٠٠٠ و ٦٠،٠٠٠ مقاتل تحت قيادة واحدة. كما أنها تربط القتال في الشمال والجنوب. بيد أن الأمر الأكثر لفتاً للانتباه أن هذه الجبهة تؤكد المشاكل التي ستواجهها واشنطن عند تحديد السياسة التي ستتبعها في سوريا في الفترة المقبلة.

من هم هؤلاء؟

تم الإعلان عن تشكيل «الجبهة الإسلامية» رسمياً في ٢٢ تشرين الثاني/ نوفمبر، وهي تضم جماعات من ثلاث منظمات مظلية سابقة وهي: «الجبهة الإسلامية السورية»، و«جبهة تحرير سوريا الإسلامية»، و«الجبهة الإسلامية الكردية». وقد انضمت «حركة أحرار

---

(١) راجع معهد واشنطن لدراسات الشرق الادنى: http://www.washingtoninstitute.org/ar/policy-analysis/view/the-syrian-islamic-front-a-new-extremist-force

الشام الإسلامية» و «كتائب أنصار الشام» و «لواء الحق» التابعة إلى «الجبهة الإسلامية السورية» إلى هذه الجبهة الجديدة، مثلما فعلت «الجبهة الإسلامية الكردية» بشكل إجمالي وألوية «صقور الشام» و «لواء التوحيد» و «جيش الإسلام»التي كانت تابعة إلى «جبهة تحرير سوريا الإسلامية» سابقاً. ولم تدرج الحكومة الأمريكية أياً من هذه الجماعات كمنظمة إرهابية أجنبية.

ورغم أن هذه الجماعات أبقت من قبل على أسمائها تحت راية «الجبهة الإسلامية السورية» و «جبهة تحرير سوريا الإسلامية»، إلا أنها لم تعد تفعل ذلك مع «الجبهة الإسلامية»، على الرغم من أن الأمر قد يستغرق بعض الوقت لإلغاء الأسماء الأصلية تدريجياً. وقد تأكد ذلك في نفس يوم الإعلان عن تشكيل «الجبهة الإسلامية»، عندما أصدر زعيم «الجبهة الإسلامية السورية» حسان عبود توجيهاً بحل منظمته.

وقد تم بالفعل توزيع المناصب القيادية في «الجبهة الإسلامية» بين خمس من الجماعات السبع.

- زعيم «مجلس الشورى»: أبو عيسى الشيخ من «صقور الشام»
- نائب المرشد العام لـ «مجلس الشورى»: أبو عمر زيدان حجي حريتان من «لواء التوحيد»
- رئيس «المكتب السياسي»: حسن عبود من «حركة أحرار الشام الإسلامية»

- رئيس «مكتب الشريعة»: أبو العباس الشامي من «حركة أحرار الشام الإسلامية»
- رئيس «العمليات العسكرية»: زهران علوش من «جيش الإسلام»
- «الأمين العام»: الشيخ أبو راتب من «لواء الحق»

وعلى الرغم من أن «حركة أحرار الشام الإسلامية» - التي يُرجح أن تكون الجماعة الأكبر - لم تستحوذ على المنصب القيادي الأعلى، إلا أن سيطرتها على المكاتب السياسية والشرعية سيجعل لها رأيا هاماً في قضايا أساسية.

وحظيت «الجبهة الإسلامية» بدعم من العديد من الفاعلين المحليين الرئيسيين.

- ٢٢ تشرين الثاني/ نوفمبر: رجل الدين الدمشقي البارز الشيخ أسامة الرفاعي
- ٢٣ تشرين الثاني/ نوفمبر: رئيس «الهيئة العامة للعلماء السوريين»، الشيخ أحمد نجيب
- ٢٣ تشرين الثاني/ نوفمبر: رئيس «رابطة العلماء السوريين»، الشيخ ممدوح جنيد
- ٢٣ تشرين الثاني/ نوفمبر: رئيس «جبهة علماء حلب»، عبد الله محمد سلقيني

- ٢٥ تشرين الثاني/ نوفمبر: رئيس مجموعة من رجال الدين من «الثورة السورية في إدلب»، عبد المنعم زين الدين
- ٢٩ تشرين الثاني/ نوفمبر: رئيس «المجلس العسكري الأعلى»(سابقا)، سليم إدريس»[1].

ولا يحتاج المرء لكبير عناء ليلاحظ، ان ثمة شخصيات وألوية وتنظيمات منضوية تحت كلا التشكيلين، ما يدلل على تداخل هذه التشكيلات بعضها ببعض، وانها تأخذ من مصدر واحد.

مقتل ابو خالد السوري يعري المملكة

ورغم المساعي والمحاولات الدؤوبة للمملكة بتظهير هذه الاسماء الجديدة، على انها غير متطرفة، وانها تختلف عن داعش وجبهة النصرة، وانها لا ترتبط بتنظيم القاعدة، فقد جاء مقتل ابو خالد السوري القيادي في الجبهة الاسلامية، ليكشف المستور ويعري المملكة؛ خاصة أن ابا خالد السوري ليس شخصية عادية، نظرا لارتباطه بالقاعدة وعلاقته الشخصية مع الظواهري.

ففي الثالث والعشرين من شهر شباط فبراير ٢٠١٤، اعلن المرصد السوري المعارض أن أبا خالد السوري وخمسة آخرين من أحرار الشام الإسلامية قتلوا في تفجير استهدف أحد مقرات الحركة في حي الهلك (الهندسة الميكانيكية) في حلب.

---

(١) موقع معهد واشنطن: http://www.washingtoninstitute.org/ar/policy-analysis/view/rebels-consolidating-strength-in-syria-the-islamic-front.

وافادت مواقع متشددة بأن أبا خالد كان ممثل زعيم تنظيم القاعدة أيمن الظواهري، إلى سورية. ونعت الجبهة الإسلامية في حسابها على تويتر مقتل أبو خالد، متهمة تنظيم الدولة الإسلامية في العراق والشام «داعش» بإغتياله.

وكان «أبوخالد السوري» رفيقا لمؤسس «الجهاد العربي في أفغانستان» عبد اللّه عزام، ثم أصبح الملازم لزعيم تنظيم «القاعدة» السابق أسامة بن لادن في «دار ضيافة الأنصار» في بيشاور، لينتقل بعهدها إلى صفوف القتال في الشيشان مرتبطاً بزعيم «المجاهدين العرب»، المدعو «خطاب» قبل أن يكون اليد اليمنى لـ «أبي مصعب الزرقاوي» في العراق، ومن بعده «أبوعمر البغدادي»، الذي تسلم قيادة «تنظيم القاعدة في بلاد الرافدين»، ثم انضم «أبوخالد السوري» إلى الفصائل الإسلامية المقاتلة في سوريا، وذلك بعد إفراج السلطات السورية عنه عام ٢٠١١م.

وكان زعيم «القاعدة» أيمن الظواهري أوكل «أبا خالد السوري» ليكون مندوباً له للفصل في النزاعات التي نشأت بين «داعش» و«جبهة النصرة».

من خلال كل ما تقدم، يظهر جليا مدى انغماس المملكة في دعم الاطراف التكفيرية في انحاء العالم الاسلامي، دعما يرتبط، اولا واخيرا، في كون المملكة تقوم على اساس الفكر الوهابي، الذي يُعتبر العقل الاساس لكل الاحزاب التكفيرية بالعالم؛ فجميعهم يعتمدون على فتاوى وآراء ابن تيمية.

وقبيل انهاء كتابة هذه الاوراق، كانت المملكة السعودية قد اصدرت قرارا يتعلق بمحاربة الارهاب، صنفت على اساسه بعض الحركات والتنظيمات على انها حركات ارهابية. وبنظرة سريعة الى هذا القرار سنخرج بالملاحظات التالية:

١- تصنيف داعش وجبهة النصرة على انها حركات ارهابية، وذلك بعد ان انتهت من استغلالهما، واصبحا عبئاً عليها؛ نظراً لاتهام العالم بدعهما لهما، لكنَ هذه الخطوة لم تأتِ الا بعد ان قامت المملكة بأنشاء البديل عنهما (الجبهة الاسلامية وجيش الاسلام)، وتسويق البديل على انه غير متطرف.

٢- تصنيف جماعة الاخوان المسلمين، العدو التاريخي لال سعود، ما يسمح لها بمحاربته في سوريا والخليج واليمن، لكن بعد ان امسكت بقرار حزب الاصلاح اليمني، الذي يعرف تاريخيا بانه اخواني، واخرجته عن دائرة الاخونة.

٣- ابعاد بندر بن سلطان عن المشهد، نظرا للارتباط التاريخي بين اسم بندر ودعم المملكة لتنظيم القاعدة.

٤- جاءت هذه التغيرات والقرارات والتشكيلات قبيل زيارة الرئيس الاميركي باراك اوباما الى المملكة. ويبدو ان هناك حرصا اميركيا على ضرورة تلميع صورة المملكة، وعلاقتها بدعم الارهاب.

٥- وليس غريبا ان يسبق هذا القرار بيوم واحد فقط، قيام

محكمة الرياض الجزائية يوم الخميس في السابع من الشهر الجاري بالحكم بالاعدام شنقا لثلاثة من المتهمين، لادانتهم بالمشاركة في تفجير مجمع المحيا السكني في الرياض عام ٢٠٠٣ و الذي اودى بحياة ٢٦ شخصا، من جنسيات مختلفة، بالاضافة الي ٩ انتحاريين قاموا بتنفيذ الهجوم. اي حكم جاء بقضية وقعت منذ احد عشر عاما.

يذكر ان التفجير الانتحاري الصادر الحكم بشأنه قد وقع في ١٢ مايو ٢٠٠٣ و استهدف مجمعات سكنية بحي المحيا، و هو حي سكني كان يقطنه اجانب واعلن تنظيم القاعدة مسؤوليته عن الهجوم.

أ- حركة أحرار الشام

تعتبر «احرار الشام» من أقدم الجماعات المسلحة التي عملت في سوريا منذ انطلاق الازمة فيها؛ حيث أُعلن عن تأسيسها في ١١ تشرين الثاني/ نوفمبر من العام ٢٠١١. وبغض النظر عن عدد مسلحيها الذين قيل انهم بلغوا منذ بدء انطلاقتها حوالي ٢٥ ألف مسلح، فان وجود هذا العدد، على فرض صحته، بعد أشهر قليلة من انطلاق الازمة (في ١٨ اذار/ مارس ٢٠١١)، يشير بشكل قاطع ان نوايا الاعتراضات كانت تتجه نحو العنف منذ البداية، بعيدا عن الحراك السلمي.

وعلى الرغم من أن الحركة وجهت انتقادات متفرقة نحو تنظيم «القاعدة»، إلا أنها تحالفت مع «جبهة النصرة» ذراع القاعدة المسلح

في سوريا، كما انها انتقدت تنظيم «داعش» ودخلت في قتال معه في اكثر من مناسبة، إلا أن ذلك لم يمنعها من التعامل معه في إدارة المعابر التي كانت تسيطر عليها للحصول على المال، في إدلب، خاصة المشتركة مع تركيا.

حركة «أحرار الشام الإسلامية»، هي إحدى الفصائل العسكرية التي تتبنى «الفكر السلفي» كمرجعية لها، والتي نشأت إبان الازمة السورية عن طريق الاتحاد بين أربعة فصائل إسلامية سورية وهي: كتائب أحرار الشام، وحركة الفجر الإسلامية، وجماعة الطليعة الإسلامية، وكتائب الإيمان المقاتلة. وعلى الرغم من أنها أكدت منذ تأسيسها استقلاليتها، وبأنها لا تتبع أي تنظيم آخر من التنظيمات داخل سوريا وخارجها، فان الحركة لم تستطع اخفاء ارتباطاتها الاقليمية المتشعبة بين تركيا وقطر.

أسس الحركة حسان عبود، المُلقب بأبي عبد اللّه الحموي. وتشكلت في بدايتها من عناصر سلفية كانت تنشط في المجال الدعوي، ونشر الفكر السلفي قبل الازمة. وعرفت الحركة، عند انطلاقها، بعلاقاتها المميزة مع لواء «صقور الشام» الذي يقوده عيسى الشيخ، صديق حسان عبود، كما عُرف عن الحركة احتواؤها لعدد كبير من المسلحين.

عملت «أحرار الشام» على التوسّع تدريجيًا، ما جعلها تسيطر على مساحات شاسعة من الأراضي، إلا أنها ما لبثت ان تراجعت على حساب زيادة نفوذ تنظيم «داعش» في بعض المناطق، لكنها

عادت الى الواجهة من جديد بعد التحالف مع قوى مسلحة أخرى، شكلت من خلاله ما عرف باسم «جيش الفتح الاسلامي».

وعلى الرغم من انكار «أحرار الشام»، لوجودِ مسلحين أجانب في صفوفها، الا أن العديد من التقارير الميدانية أكدت وجود أعداد لا بأس بها في صفوف الحركة. إذ تشير التقارير إلى أن طبيعة الحركة، وانبثاقها من بعض المجتمعات السورية، لا سيما تلك التي تمثل حاضنة للفكر السلفي، جعلتها تحظى بدعم وتمويل عدد كبير من أثريائهم، كما اشتملت الاستراتيجية العسكريّة للحركة على مهاجمة القطع العسكرية الغنية، واغتنام أسلحتها مستفيدة من خبرات بعض أعضائها.

كما مثل السطو على أماكن المخصصات المالية، وبعض المصارف السورية، استراتيجية للحركة استولت من خلالها على بعض مقرّات البنك المركزي، والذي يقال أنه كان يحتوي لحظة الاستيلاء عليه على ما يتراوح بين ٤ و٦ مليارات ليرة سورية.

واضافة الى السطو على المصارف، عمدت الحركة الى سياسة السيطرة على المعابر الحدودية، كمصدر أساسي من مصادر التمويل. ويضاف الى ذلك التبرعات التي تقدمها لها بعض الهيئات، حيث تشير المصادرُ إلى أن حركة أحرار الشام حظيت بتمويل الهيئة الشعبية الكويتية، التي يتزعمها الشيخ الكويتي حجاج العجمي. اضافة الى دعم قطري وتركي كبير في الجوانب العسكرية، فضلا عن الحصول على دعم «صندوق الإغاثة والمساعدات الإنسانية»،

وهي منظمة «مجتمعٍ مدنيّ» مرتبطة بالحكومة التركية، و«جمعية قطر الخيرية»، وهي منظمة «مجتمعٍ مدنيّ» أخرى مرتبطة بالحكومة القطرية.

خاضت الحركة العديد من المعارك العسكرية كالمعركة التي أطلقوا عليها اسم«معركة القادسية الثانية»، والتي استهدفت مطار تفتناز العسكري في ٢٩ آب/ أغسطس ٢٠١٢.

وفي كانون الثاني/ يناير ٢٠١٣، تمكنت الحركة بمشاركة عناصر من «جبهة النصرة»، ولواء «صقور الشام» من السيطرة على مطار تفتناز العسكري بشكل الكامل.

امتازت حركة احرار الشام بعلاقاتها المميزة مع «النصرة» على الصعيد العسكري، رغم محاولتها الابتعاد عن تنظيم القاعدة، والادعاء انها لا تحمل الفكر نفسه، على ان أغلب عملياتها العسكريّة الكبرى جرت بالتنسيق مع الجبهة. وكان أبوعبد اللّه الحموي (حسان عبود) يرى أن «النصرة» هي ككلِّ المكونات الموجودة في سوريا، يتم تعامل الحركة معها على أساس الهدف المرحلي، وهو الإطاحة بالرئيس بشار الأسد.

وعلى الرغم من اعلانها ان التعاون مع «النصرة» هو تعاون مرحلي، ورغم وصف منظري الحركة لداعش بانهم «خوارج»، الا ان الحركة تعلن صراحة تبنيها للفكر السلفي، وانها تسعى لاقامة دولة اسلامية، وان اسلوبها للتغيير في سوريا هو السلاح والقوة حصرا، ولا تعترف بجدوى التغيير بغير القوة، وهو عين ما يتبناه

«الفكر السلفي الجهادي»، وان حاولت فذلكة طرحها عبر التمييز انها حركةٌ إسلاميّةٌ مجاهدة لا حركة جهادية. لكن هذه الفذلكات تتعثر، عندما تعتبر الحركة ان مرجعيتها الفكرية تتمثل في شخصيات مثل أبو مصعب السوري، أحد أبرز منظّري وإعلاميّي تنظيم القاعدة، وأبو بصير الطرطوسي، الذي عاد من منفاه في بريطانيا إلى الأراضي السورية وأخذ ينشط في المجال الدعوي، اضافة الى عبد اللّه عزام. على ان من ابرز ما كشف عن خلفية احرار الشام «القاعدية» هو انضمام ابو خالد السوري اليها. (والذي قتل بتفجير انتحاري في حلب في شباط/ فبراير ٢٠١٤). ورغم التفجير الذي استهدف اجتماعا لمجلس شورى الحركة في بلدة رم حمدان بريف إدلب، في شهر ايلول من العام ٢٠١٤، والذي ادى الى مقتل معظم قيادات الحركة، من بينهم القائد العام للحركة حسان عبود، فان الحركة استطاعت تجاوز الازمة.

من الواضح ان استراتيجية «احرار الشام» تعتمد بشكل اساس، على تقديم نفسها على انها حركة سورية بحتة، في محاولة لتسويق نفسها اقليميا، الا ان العارفين بالفكر السلفي يعلمون تماما «حرمة» تقييد اي «حركة اسلامية» بالجغرافيا غير المعترف بها اصلا.

فما بين «القاعدة» و«داعش»، تظهر حركة «احرار الشام» كحاطب ليل يسعى لتحديد هوية ضائعة بين ضرورات الحرب، ومحددات «الفكر السلفي الجهادي».

وثيقة (١)

رسالة إلى إخواننا المسلمين في العراق «١»[1]

الكاتب: أسامة بن لادن

بسم الله الرحمن الرحيم

السلام عليكم ورحمة الله وبركاته

﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ ٱتَّقُواْ ٱللَّهَ حَقَّ تُقَاتِهِۦ وَلَا تَمُوتُنَّ إِلَّا وَأَنتُم مُّسۡلِمُونَ ﴾.

أما بعد:

فإننا نتابع باهتمام شديد وحرص بالغ استعداد الصليبيين للحرب لاحتلال عاصمة الإسلام سابقا ونهب ثروات المسلمين وتنصيب حكومة عميلة عليكم تتبع أسيادها في واشنطن وتل أبيب كسائر الحكومات العربية الأخرى الخائنة العميلة تمهيدا لإنشاء إسرائيل الكبرى، فحسبنا الله ونعم الوكيل.

ونرغب أن نؤكد بين يدي هذه الحرب الظالمة، حرب الفجار الكفار التي تخوضها أمريكا بحلفائها وعملائها على عدد من المعاني المهمة:

(١) موقع منبر التوحيد والجهاد: http://tawhed.ws/a?a=dofs0eii

أولا:

إخلاص النية بأن يكون القتال في سبيل اللّه وحده لا شريك له. لا لنصر القوميات ولا لنصر أنظمة الحكم الجاهلية التي تعم جميع الدول العربية بما فيها العراق، قال اللّه تعالى ﴿ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ يُقَٰتِلُونَ فِي سَبِيلِ ٱللَّهِۖ وَٱلَّذِينَ كَفَرُواْ يُقَٰتِلُونَ فِي سَبِيلِ ٱلطَّٰغُوتِ فَقَٰتِلُوٓاْ أَوۡلِيَآءَ ٱلشَّيۡطَٰنِۖ إِنَّ كَيۡدَ ٱلشَّيۡطَٰنِ كَانَ ضَعِيفًا﴾.

ثانيا:

نذكر بأن النصر من عند اللّه وحده تعالى، وما علينا إلا بذل الأسباب بالإعداد والتحريض والجهاد قال اللّه تعالى «يا أيها الذين آمنوا إن تنصروا اللّه ينصركم ويثبت أقدامكم».

وينبغي المسارعة والتوبة إلى اللّه تعالى من الذنوب، ولا سيما الكبائر كما قال رسول اللّه صلى اللّه عليه وسلم: «اجتنبوا السبع الموبقات: الشرك باللّه والسحر وقتل النفس التي حرم اللّه إلا بالحق وأكل الربا وأكل مال اليتيم والتولي يوم الزحف وقذف المؤمنات الغافلات» [متفق عليه]، وكذا سائر الكبائر، كالخمر والزنا وعقوق الوالدين وشهادة الزور.

وينبغي المسارعة في الطاعات عموما، وخاصة كثرة الذكر عند التقاء الزحوف، قال أبو الدرداء رضي اللّه عنه: «عمل صالح قبل الغزو، فإنكم إنما تقاتلون بأعمالكم».

ثالثا:

قد تبين لنا من مدافعتنا ومقاتلتنا للعدو الأمريكي أنه يعتمد في قتاله بشكل رئيسي على الحرب النفسية نظرا لما يمتلكه من آلة دعائية ضخمة.

وكذلك على القصف الجوي الكثيف، إخفاء لأبرز نقاط ضعفه وهي الخوف والجبن وغياب الروح القتالية عند الجنود الأمريكيين، فهؤلاء الجنود على قناعة تامة بظلم حكومتهم وكذبها كما أنهم يفتقدون قضية عادلة يدافعون عنها وهم إنما يقاتلون من أجل أصحاب رؤوس الأموال وأرباب الربا وتجار السلاح والنفط بما فيهم عصابة الإجرام في البيت الأبيض.

أضف إلى ذلك أحقادا صليبية وأحقادا شخصية لبوش الأب.

وتبين لنا أيضا أن من أفضل الوسائل الفعالة والمتاحة كتفريغ القوة الجوية للعدو الصليبي من محتواها، هو بإنشاء الخنادق المسقوفة والمموهة بأعداد كبيرة وكنت قد أشرت إلى ذلك في حديث سابق في أثناء معركة تورابورا العام الماضي.

تلك المعركة العظيمة التي انتصر فيها الإيمان على جميع القوى المادية لأهل الشر بالثبات على المبدأ بفضل اللّه سبحانه وتعالى، وسأذكر لكم طرفا من تلك المعركة العظيمة للتدليل على مدى جبنهم من جهة ومدى فعالية الخنادق في استنزافهم من جهة أخرى.

فقد كان عددنا يصل إلى ثلاثمائة مجاهد وكنا قد حفرنا مائة

خندق منتشرة في مساحة لا تزيد عن ميل مربع، بمعدل خندق لكل ثلاثة اخوة. حتى نتلافى الإصابات البشرية الكبيرة من القصف، وقد تعرضت مراكزنا منذ الساعة الأولى للحملة الأمريكية في العشرين من رجب لعام ألف وأربعمائة واثنين وعشرين للهجرة الموافق السابع من أكتوبر لسنة ألفين وواحد ميلادية لقصف مركز ثم استمر ذلك القصف بشكل متقطع إلى منتصف رمضان وبعدها في صبيحة السابع عشر من رمضان بدأ قصف شديد جدا وخاصة بعد ما تأكدت القيادة الأمريكية بوجود بعض قيادات القاعدة في تورابورا بما فيهم العبد الفقير والأخ المجاهد الدكتور أيمن الظواهري، وأصبح القصف على مدار الساعة فلم تكن تمر علينا ثانية بدون طائرات حربية فوقنا ليلا أو نهارا حيث تفرغت غرفة قيادة وزارة الدفاع الأمريكية مع جميع القوى المتحالفة معها لنسف وتدمير هذه البقعة الصغيرة وإزالتها من الوجود، فكانت الطائرات تصب حممها فوقنا وخصوصا بعد أن أنهت مهماتها الأساسية في أفغانستان، وكانت القوات الأمريكية تقصفنا بالقنابل الذكية والقنابل ذات آلاف الأرطال والقنابل العنقودية وكذلك كانت القنابل الخارقة للكهوف، وقد كانت قاذفات القنابل كطائرات بي اثنين وخمسين تحوم الواحدة منها لأكثر من ساعتين فوق رؤوسنا وترمي في كل دفعة من عشرين إلى ثلاثين قنبلة، وكانت طائرات السي ميه وثلاثين المعدلة ترمينا ليلا بالأبسطة المتفجرة وغيرها من القنابل الحديثة.

ورغم ذلك القصف الهائل مع الإعلام الدعائي الرهيب الذين لم يسبق لهما مثيل على مثل هذه البقعة الصغيرة المحاصرة من جميع

الجهات بالإضافة لقوات المنافقين التي دفعوها لقتالنا لمدة نصف شهر متصل والتي صددنا موجاتهم اليومية كلها بفضل اللّه سبحانه وتعالى وأرجعناهم في كل مرة مهزومين يحملون قتلاهم وجرحاهم، رغم ذلك كله ما تجرأت القوات الأمريكية على اقتحام مواقعنا، فأي دلالة أظهر من ذلك على جبنهم وخوفهم وكذبهم في أساطيرهم المدعاة لقواهم المزعومة.

خلاصة المعركة: الفشل الهائل الذريع لتحالف الشر العالمي بجميع قواه على مجموعة صغيرة من المجاهدين، على ثلاثمائة مجاهد في خنادقهم داخل ميل مربع في درجة حرارة بلغت عشر درجات تحت الصفر، وكانت نتيجة المعركة إصابتنا في الأفراد بست في المائة تقريبا نرجوا اللّه أن يتقبلهم في الشهداء وأما أصابتنا في الخنادق فكانت بنسبة اثنين في المائة والحمد للّه.

فإذا كانت جميع قوى الشر العالمي لم تستطع أن تحقق مرادها على ميل مربع بعدد بسيط من المجاهدين بإمكانيات متواضعة جدا فكيف يمكن لهذه القوى الشريرة أن تنتصر على العالم الإسلامي. فهذا محال بإذن اللّه إذا ثبت الناس على الدين وأصروا على الجهاد في سبيله.

فيا إخواننا المجاهدين في العراق:

لا يهولنكم ما تروج له أمريكا من أكاذيب حول قوتهم وحول قنابلهم الذكية والموجهة بالليزر، فالقنابل الذكية لا أثر لها يذكر في وسط الجبال وفي وسط الخنادق في السهول والغابات فهي لا

بد لها من أهداف ظاهرة، أما الأهداف والخنادق المموهة تمويها جيدا فليس للقنابل الذكية ولا الغبية إليها من سبيل إلا بالضرب العشوائي الذي يبدد ذخيرة العدو واموااله، يبدد ذخيرة العدو ويبدد أمواله سدى، فعليكم بكثرة الخنادق كما جاء في الأثر عن عمر رضي اللّه عنه قال: «إدرعوا بالأرض»، أي اتخذوا الأرض درعة فإن ذلك كفيل بإذن اللّه وفضله باستنزاف كامل المخزون من قذائف العدو خلال بضعة أشهر. وأما إنتاجهم اليومي فشيء يسير يسهل احتماله بإذن اللّه.

كما ننصح بأهمية استدراج قوات العدو إلى قتال طويل متلاحم منهك مستغلين المواقع الدفاعية المموهة في السهول والمزارع والجبال والمدن، وأخوف ما يخافه العدو هو حرب المدن والشوارع، تلك الحرب التي يتوقع العدو فيها خسائر فادحة باهظة في أرواحه.

كما نؤكد على أهمية العمليات الإستشهادية ضد العدو، تلك العمليات التي أنكت في أمريكا وإسرائيل نكاية لم يشهدوها في تاريخهم من قبل بفضل اللّه تعالى.

كما أننا نوضح أن كل من أعان أمريكا من منافقي العراق أو من حكام الدول العربية وكل من رضي بفعلهم، وتابعهم في هذه الحرب الصليبية بالقتال معهم أو بتوفير القواعد والدعم الإداري أو بأي نوع من أنواع الدعم والمناصرة لهم ولو بالكلام، لقتل المسلمين في العراق عليه أن يعلم أنه مرتد خارج عن الملة حلال المال والدم قال اللّه تعالى: «يا أيها الذين آمنوا لا تتخذوا اليهود والنصارى أولياء

بعضهم أولياء بعض ومن يتولهم منكم فإنه منهم إن اللّه لا يهدي القوم الظالمين».

كما نؤكد على الصادقين من المسلمين أنه يجب عليهم أن يتحركوا ويحرضوا ويجيشوا الأمة في مثل هذه الأحداث العظام والأجواء الساخنة لتتحرر من عبودية هذه الأنظمة الحاكمة الظالمة المرتدة المستعبدة من أمريكا وليقيموا حكم اللّه على الأرض.

ومن أكثر المناطق تؤهلا للتحرير، الأردن والمغرب ونيجيريا وباكستان وبلاد الحرمين واليمن.

كما أنه لا يخفى أن هذه الحرب الصليبية تعني في أول ما تعني أهل الإسلام بغض النظر عن بقاء أو زوال الحزب الاشتراكي وصدام فيجب على المسلمين عامة وفي العراق خاصة أن يشمروا عن ساق الجد والجهاد ضد هذه الحملة الظالمة وأن يحرصوا على اقتناء الذخائر والسلاح فهذا أمر واجب عليهم متعين قال اللّه تعالى: «وليأخذوا حذرهم وأسلحتهم. ود الذين كفروا لو تغفلون عن أسلحتكم وأمتعتكم فيميلون عليكم ميلة واحدة».

ومعلوم أنه لا يجوز القتال لنصرة الرايات الجاهلية وكذلك يجب على المسلم أن تكون عقيدته ورايته واضحة في القتال في سبيل اللّه كما قال رسول اللّه صلى اللّه عليه وسلم: «من قاتل لتكون كلمة اللّه هي العليا، فهو في سبيل اللّه» [متفق عليه].

ولا يضر في مثل هذه الظروف أن تتقاطع مصالح المسلمين مع

مصالح الاشتراكيين في القتال ضد الصليبيين مع اعتقادنا وتصريحنا بكفر الاشتراكيين، فالاشتراكيون وهؤلاء الحكام قد سقطت ولايتهم منذ زمن بعيد، والاشتراكيون كفار حيثما كانوا، سواء كانوا في بغداد أو عدن وهذا القتال الذي يدور أو الذي يكاد أن يدور في هذه الأيام يشبه إلى حد بعيد قتال المسلمين من قبل.

وتقاطع المصالح لا يضر فقتال المسلمين ضد الروم كان يتقاطع مع مصالح الفرس ولم يضر الصحابة رضي اللّه عنهم ذلك في شيء.

وقبل الختام:

نؤكد على أهمية البشائر ورفع المعنويات والحذر من الإرجاف والتخذيل والتثبيط والتنفير قال رسول اللّه صلى اللّه عليه وسلم: «بشروا ولا تنفروا»، وقال أيضا: «لصوت أبي طلحة في الجيش خير من ألف رجل».

وجاء في السير أن رجلا قال لخالد بن الوليد رضي اللّه عنه يوم اليرموك: «ما أكثر الروم وأقل المسلمين». فقال له خالد رضي اللّه عنه: «بئس ما قلت. إن الجيوش لا تنصر بكثرة العدد وإنما تنهزم بالخذلان»- أو كلمة نحوها - وليكن بين أعينكم قول اللّه تعالى: ﴿مَا كَانَ لِنَبِيٍّ أَن يَكُونَ لَهُۥٓ أَسْرَىٰ حَتَّىٰ يُثْخِنَ فِى ٱلْأَرْضِ﴾، وقوله تعالى: ﴿فَإِذَا لَقِيتُمُ ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ فَضَرْبَ ٱلرِّقَابِ﴾.

وليكن عتابكم للصليبيين كما قال الشاعر:

ليس بيني وبينكم مـن عتاب

سوى طعن الكلى وضرب الرقاب

وفي الختام أوصي نفسي وإياكم بتقوى اللّه في السر والعلن والصبر والمصابرة في الجهاد، فإنما النصر صبر ساعة، وأوصي نفسي وإياكم بكثرة الذكر والدعاء قال اللّه تعالى: ﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓاْ إِذَا لَقِيتُمْ فِئَةً فَٱثْبُتُواْ وَٱذْكُرُواْ ٱللَّهَ كَثِيرًا لَّعَلَّكُمْ تُفْلِحُونَ ﴾.

اللهم منزل الكتاب ومجري السحاب وهازم الأحزاب اهزمهم وانصرنا عليهم

اللهم منزل الكتاب ومجري السحاب وهازم الأحزاب اهزمهم وانصرنا عليهم

اللهم منزل الكتاب ومجري السحاب وهازم الأحزاب اهزمهم وانصرنا عليهم

ربنا آتنا في الدنيا حسنة وفي الآخرة حسنة وقنا عذاب النار

وصلي اللهم وبارك على محمد وعلى آله وصحبه أجمعين

وثيقة (٢)

رسالة إلى إخواننا المسلمين في العراق «٢»

الكاتب: أسامة بن لادن

الحمد للّه ثم الحمد للّه.

الحمد للّه القائل: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّبِيُّ جَٰهِدِ ٱلۡكُفَّارَ وَٱلۡمُنَٰفِقِينَ وَٱغۡلُظۡ عَلَيۡهِمۡۚ وَمَأۡوَىٰهُمۡ جَهَنَّمُۖ وَبِئۡسَ ٱلۡمَصِيرُ﴾.

والصلاة والسلام على نبينا محمد القائل: «من قتل دون ماله فهو شهيد، ومن قتل دون دمه فهو شهيد، ومن قتل دون دينه فهو شهيد، ومن قتل دون أهل فهو شهيد».

أما بعد:

فهذه الرسالة الثانية إلى اخواننا المسلمين في العراق:

يا أحفاد سعد والمثنى، وخالد والمعنى، ويا أحفاد صلاح الدين:

السلام عليكم ورحمة اللّه وبركاته.

أحييكم واحيي جهدكم وجهادكم المبارك، فقد واللّه اثختتم في

العدو، وادخلتم السرور على قلوب المسلمين عامة، وأهل فلسطين خاصة، فجزاكم اللّه خيرا الجزاء، وان جهادكم جهاد مشكور، ثبت اللّه أقدامكم وسدد رميكم.

وابشروا فقد تورطت امريكا في مستنقعات دجلة والفرات، وقد كان بوش يظن أن العراق ونفطه غنيمة باردة، فها هو في مأزق حرج بفضل اللّه تعالى، وهاهي أمريكا اليوم قد بدأت تصيح بأعلى صوتها وتتضعضع أمام العالم أجمع، فالحمد للّه الذي رد كيدها إلى أن تستنجد بأوباش الناس، وتتسول الجنود المرتزقة من الشرق والغرب.

ولا غرو فيما فعلتم بأمريكا هذه الفعال، وأنزلتم بها هذا النكال، فأنتم أبناء أولئك الفرسان العظام الذين حملوا الإسلام شرقا حتى وصلوا إلى الصين.

واعلموا ؛ أن هذه الحرب هي حملة صليبية جديدة على العالم الإسلامي، وهي حرب مصيرية للأمة بأسرها، ولها من التداعيات الخطيرة والاثار السيئة على الإسلام وأهله ما لا يعلم مداه إلا اللّه.

فيا شباب الإسلام في كل مكان، ولا سيما في دول الجوار واليمن:

عليكم بالجهاد والتشمير عن ساعد الجد، واتبعوا الحق، وأياكم ان تتبعوا الرجال الذين يتبعون أهوائهم ممن تثاقلوا إلى الأرض، أو ممن ركنوا إلى الذين ظلموا فيرجفوا بكم ويثبطوكم عن هذا الجهاد المبارك.

فقد تعالت اصوات في العراق - كما تعالت من قبل في فلسطين ومصر والاردن واليمن وغيرها - تنادي بالحل السلمي الديمقراطي في التعامل مع الحكومات المرتدة، أو مع الغزاة من اليهود والصليبين، بدلا عن القتال في سبيل اللّه، لذا وجب التنبيه باختصار على خطورة هذا المنهج الضال المضل، المخالف لشرع اللّه، المعوق عن القتال في سبيله.

فكيف تطيعون مع تعين الجهاد من لم يغزو في سبيل اللّه ابدا، افلا تتدبرون؟! فان أولئك هم الذين عطلوا طاقات الأمة من الرجال الصادقين، واحتكموا إلى أهواء البشر، إلى الديمقراطية ؛ دين الجاهلية، بدخول المجالس التشريعية، أولئك قد ضلوا ضلال بعيدا، واضلوا خلقا كثيرا.

فما بال هؤلاء يدخلون مجلس الشرك، مجلس النواب التشريعي، الذي هدمه الإسلام، وبذلك ينهدم رأس الدين، فماذا بقي لهم؟! ثم يزعمون انهم على الحق! انهم على خطأ عظيم، وعلم اللّه ان الإسلام من أفعالهم بريء.

فالإسلام ؛ دين اللّه، ومجالس النواب التشريعية ؛ دين الجاهلية، فمن أطاع الأمراء أو العلماء في تحليل ما حرم اللّه، كدخول المجالس التشريعية أو تحريم ما أحل اللّه - كالجهاد في سبيله - فقد اتخذهم أربابا من دون اللّه، ولا حول ولا قوة إلا باللّه.

ثم اني أوجه النداء للمسلمين عامة ولشعب العراق خاصة، فاقول لهم:

أياكم ومناصرة قوات امريكا الصليبية ومن شايعها، وان كل من يتعاون معها وما انبثق عنها - بغض النظر عن الاسماء والمسميات - فهو مرتد كافر.

وكذلك حكم من يناصر الأحزاب الكفرية - كحزب البعث العربي الاشتراكي والاحزاب الكردية الديمقراطية وما شابهها -

ولا يخفى؛ ان اي حكومة يتم تشكيلها من طرف أمريكا هي حكومة عميلة خائنة، كسائر حكومات المنطقة، بما فيها حكومتا كرزاي ومحمود عباس التان انشأتا (لازهاق) الجهاد.

وما خارطة الطريق إلا حلقة جديدة في سلسلة المؤامرات لانهاء الانتفاضة المباركة، فيجب ان يستمر الجهاد إلى ان تقوم حكومة إسلامية تحكم بشرع اللّه.

فيا أيها المسلمون:

ان الأمر جد ليس بالهزل، فمن كان له جهد أو رأي أو (مبدأ) أو بأس أو مال ؛ فهذا وقته، ففي مثل هذه الأحداث يتمحص الناس، ويعلم الصادق من الكاذب، والغيور على الدين من القاعد.

ويرتجى من الحرائر الكريمات المسلمات الابيات ؛ أن يقمن بدورهن.

واني لاقول لاخواني المجاهدين في العراق:

اني واللّه اشاطركم همومكم، واشعر بشعوركم، وأغبطكم على

ما أنتم فيه من جهاد، وعلم اللّه لو وجدت سبيلا إلى ساحاتكم ما قعدت.

وكيف اقعد، وقد مرنا معنا أن رسولنا صلى اللّه عليه وسلم - اسوتنا وقدوتنا - قال: «والذي نفس محمد بيده لولا أن اشق على المسلمين، ما قعدت خلاف سرية تغزو في سبيل اللّه ابدا»، وقال: «والذي نفس محمد بيده ؛ لوددت أن اغزو في سبيل اللّه فاقتل، ثم اغزو فاقتل، ثم اغزو فاقتل»، فهذا هو طريق نبينا محمد صلى اللّه عليه وسلم، وهو طريق نصرة الدين، واقامة دولة المسلمين فالزموه، ولا يلزمه إلا الصادقون.

فيا معاشر المسلمين، يا معاشر ربيعة ومضر، ويا معاشر بني الاكراد:

ارفعوا رايتكم - رفعكم اللّه - ولا يهولنكم هؤلاء العلوج باسلحتهم، فان اللّه قد أوهن كيدهم وأذهب ريحهم، فلا تروعنكم كثرتهم، فان قلوبهم خاوية وان أمرهم قد بدأ يضعف ويضطرب عسكريا وكذلك اقتصاديا، وخاصة بعد يوم نيويورك المبارك بفضل اللّه.

فقد بلغت خسائرهم بعد الضربة وتداعياتها أكثر من ترليون دولار - أي ألف ألف مليون دولار - وقد سجلو ايضا عجزا في ميزانياتهم للسنة الثالثة على التوالي، وقد بلغ في هذا العام رقما قياسيا حيث قدر باكثر من اربعمئة وخمسين ألف مليون دولار، فللّه الحمد والمنة.

وفي الختام:

فإلى اخواني المجاهدين في العراق، إلى الأبطال في بغداد - دار الخلافة - وما حولها:

وإلى أنصار الإسلام، احفاد صلاح الدين:

وإلى الأحرار من أهل بعقوبة والموصل والانبار:

وإلى الذين هاجروا في سبيل اللّه حتى يقتلوا نصرة (لدينهم) وتركوا الوالد والولد، والأهل والبلد:

فإلى هؤلاء وهؤلاء:

فاني أقرئكم جميعا السلام، واقول لكم:

انكم جند اللّه، وسهام الإسلام، وخط الدفاع الأول عن هذه الامة اليوم.

وان الروم قد اجتمعوا تحت راية الصليب لقتال أمة الحبيب محمد عليه الصلاة والسلام، فاحتسبوا جهادكم، واني لارجو ان لا يؤتى المسلمون من قبلكم، فاللّه اللّه فيما أئتمنتم عليه، وما يعلق عليكم بعد اللّه من آمال عظام، فلا تفضحوا المسلمين اليوم، وتمثلوا بما تمثل به سعد رضي اللّه عنه يوم الخندق، حيث قال:

لبث قليلا يلحق الهيجا حمل

لا باس بالموت إذا حان الأجل

أجل؛ لا باس بالموت إذا حان العجل.

اللهم هذا يوم من أيامك، فخذ بقلوب شباب الإسلام ونواصيهم إلى الجهاد في سبيلك.

اللهم اربط على عقيدتهم وثبت اقدامهم، وسدد رميهم والف بين قلوبهم.

اللهم انزل نصرك على عبادك المجاهدين في كل مكان، في فلسطين والعراق والشيشان وكشمير والفلبين وافغانستان.

اللهم فرج عن اخواننا الأسرى في سجون الطغاة، في أمريكا وغوانتانامو وفي فلسطين المحتلة والرياض، وفي كل مكان، انك على كل شيء قدير.

اللهم ربنا افرغ علينا صبرا وثبت اقدامنا وانصرنا على القوم الكافرين.

﴿وَٱللَّهُ غَالِبٌ عَلَىٰٓ أَمْرِهِۦ وَلَٰكِنَّ أَكْثَرَ ٱلنَّاسِ لَا يَعْلَمُونَ﴾

وصل اللهم وسلم على نبينا محمد وعلى آله وصحبه أجمعين

وآخر دعوانا ان الحمد للّه رب العالمين

وثيقة (٣)

رسالة إلى مجاهدي العراق والصومال

أسامة بن محمد بن لادن

إن الحمد للّه نحمده ونستعينه ونستغفره، ونعوذ باللّه من شرور أنفسنا ومن سيئات أعمالنا، من يهده اللّه فلا مضل له ومن يضلل فلا هادي له، وأشهد أن لا إله إلا اللّه وحده لا شريك له، وأشهد أن محمداً عبده ورسوله.

أما بعد:

حديثي هذا للأمة الإسلامية عامة، وإلى أهلنا وإخواننا المجاهدين في العراق والصومال خاصة:

السلام عليكم ورحمة اللّه وبركاته.

- فإلى إخواننا المجاهدين في بغداد - دار الخلافة - وما حولها:

إن تواصل عملياتكم الجريئة ضد الأمريكيين وأعوانهم؛ قد زادت المسلمين فرحاً وسرواً وابتهاجاً وحبوراً، ولقد رفعتم رؤوس المسلمين عالياً بحسن فعالكم، التي تفرح المحزون وتضحك الثكلى، فجزاكم اللّه خير الجزاء.

وإن أمتكم الإسلامية كلها أنظارها شاخصة إليكم، وألسنتها تلهج بالدعاء لكم، تفرح لفرحكم، وتترح لترحكم، وآمالها - بعد الله - معلقة عليكم، وهي تحسبكم جند الله المخلصين، وتعتقد أن انتصاركم؛ انتصار لدينها وعزها وكرامتها، وبانتصاركم بإذن الله تتحرر من العبودية والتبعية للصليبيين وعملائهم في بلادنا، فتقضوا على الذل والخوف والبغي والظلم، وتقيموا الحق والعدل، وتنشروا الرخاء والأمن، وتنفقوا كنوز الأرض على أهلها ومستحقيها في إعمار البلاد وقضاء حوائج العباد، بدل من أن يذهب جلها إلى الصليبيين وعملائهم.

ثم إني أقول لأهل العراق:

إن المتأمل لهذه المصائب العظام التي حلت بأرض الرافدين؛ يجد أن المتسبب الرئيسي فيها هو دخول الصليبيين البلاد واحتلالها، بتواطؤ مع قادة الأحزاب الذين شجعوها على غزو العراق، ودعوا أتباعهم للانخراط في أجهزة الحكومات المرتدة التي نصبتها أمريكا - كحكومة علاوي والجعفري والمالكي - ليقوموا بقتال أبناء عمهم في بغداد والموصل وديالى والأنبار، الذين رفضوا الخضوع للمحتل الصليبي، كما سموا المقاتلين الأحرار «إرهابيين»، فقاموا بقتلهم وقصف بيوتهم، ومن هنا كانت ردة الفعل على العشائر والأحزاب الذين ارتضوا الخيانة وصاروا أعواناً لأمريكا الصليبية.

فأقول لكم:

إن أول خطوة مطلوبة لاستقرار العراق؛ هي إخراج الجيوش

الصليبية بالقتال، ثم معاقبة قادة الأحزاب - كحزب الجعفري والحكيم وعلاوي وطارق الهاشمي - الذين كذبوا على الناس، وقالوا لهم: إن سبيل إخراج المحتلين إنما هو في المشاركة في العملية السياسية، وها قد مضت «حكومة علاوي» ولم يخرج المحتل، ثم «حكومة الجعفري» أيضاً ولم يخرج المحتل، وها هي «حكومة المالكي» الخائنة المرتدة؛ تسير علي نفس خطى «حكومة الجعفري»، لأنها وجه آخر من وجوهها.

وخلاصة القول: فإنه لا يمكن أن يشارك كثيرٌ من أبناء الجنوب مع أمريكا وحلفائها في استباحة الفلوجة والرمادي وبعقوبة والموصل وسامراء والقائم وغيرها من المدن والقرى؛ وتسلم - في المقابل - مناطقهم من ردة الفعل والأذى.

- ثم أني أقول لأمتنا الإسلامية:

برغم العمليات البطولية التي يقوم بها المجاهدون ضد الأمريكيين وعملائهم المرتدين، والتي قتلت رجاله، وبددت أمواله، وأثخنت جراحه، وشتتت حلفاءه، وكسرت هيبته، وأظهرت ذلته، حتى رضي من الغنيمة بالإياب.

ومع ذلك كله؛ فإن العُزَل من أهل الإسلام في أرض الرافدين يتعرضون لحملات إبادة على أيدي عصابات الحقد والغدر، التي كانت منتشرة في جميع الأماكن الحساسة في «حكومة الجعفري» السابقة، وهي موجودة اليوم كذلك في «حكومة المالكي» الحالية.

لذا فقد حذرت قيادات من «هيئة علماء المسلمين في العراق»، وناشدت إغاثة أهل الإسلام من هول وشدة حملة الإبادة التي يتعرضون لها، وكان من أبرزهم الشيخ بشار الفيضي والشيخ عبد السلام الكبيسي والشيخ حارث الضاري، حيث ذكر قبل فترة وجيزة بصريح العبارة؛ بأنهم يتعرضون للإبادة، وأنه قد خطف وعذب وقتل أكثر من أربعين ألفاً على يد القوات الصليبية و «قوات الجعفري» المرتدة، فإنا للّه وإنا إليه راجعون.

لذا يجب على المسلمين أن يدركوا ويغيثوا إخوانهم في أرض الرافدين بالمال والرجال، حتى يكفوا عنهم عادية المعتدين من الصليبيين والمرتدين.

وأؤكد على أهلنا المسلمين في العراق؛ بأنه ينبغي أن يعلموا علم اليقين أنه لا مداهنة مع الصليبيين والمرتدين، ولا أنصاف حلول، ولا سبيل لهم للنجاة إلا بالاعتصام بحبل اللّه، وأن يحرصوا على الاجتماع، وأن يحذروا الفرقة والنزاع، ويلتزموا الجهاد.

وأقول لهم؛ سيوفكم؛ حصونكم، واحذروا الاغترار بالأحزاب والجماعات التي دخلت وشاركت في هذه الحكومات، فإن الأمر خطير، وما هذه الحكومات والمشاركات السياسية إلا مخادعات لكم، فسيوف القوم تقطر من دمائكم يومياً، ولا يفل الحديد إلا الحديد، ومن يأمل أن يقنع هؤلاء المرتدين بغير سلاح بالكف عن قتال أهل الإسلام في بغداد وما حولها؛ فهو كأحمق، يحاول إقناع الذئاب بالكف عن افتراس الغنم، وهذا لا يكون، فلا يكف بأس هؤلاء

الكفار الصليبيين والمرتدين إلا بالقتال، فإن تركتم أمر ربكم لكم بقتالهم؛ فقد خُذلتم وهلكتم وعصيتم، قال اللّه تعالى ﴿فَقَٰتِلۡ فِي سَبِيلِ ٱللَّهِ لَا تُكَلَّفُ إِلَّا نَفۡسَكَۚ وَحَرِّضِ ٱلۡمُؤۡمِنِينَۖ عَسَى ٱللَّهُ أَن يَكُفَّ بَأۡسَ ٱلَّذِينَ كَفَرُواْۚ وَٱللَّهُ أَشَدُّ بَأۡسٗا وَأَشَدُّ تَنكِيلٗا ﴾، فالزموا الجهاد وانخرطوا في صفوف المجاهدين، وعليكم بالجماعة والسمع والطاعة.

- ثم إني أوجه خطابي إلى أهلنا في الصومال:

فأقول لهم؛ لقد اجتمع الصومال على دين الإسلام، فنعم بالهداية والنور والأمن والسلام، ثم تفرق يوم أن رفض «زياد بري» الإسلام والتزم الشيوعية وحرق العلماء الكرام في الميدان العام - عليهم رحمة اللّه - ولا سبيل لكم للنجاة إلا بالتزامكم بالإسلام، وأن تكونوا يداً واحدة مع «المحاكم الشرعية» التي تسعى لإقامة الدولة الإسلامية.

ويجب أن تعلموا؛ أن العصابة التي كونها الجنرال العميل «عبد اللّه يوسف» هي عصابة خائنة عميلة، ويكفي للتدليل على عمالتها؛ استدعاؤهم القوات الدولية لاحتلال البلاد، وإن النواب الذين عارضوا هذا القرار ليسوا بمعفيين من المسؤولية، إلا أن يتوبوا ويستقيلوا من هذه العصابة الظالمة ويتبرءوا منها.

ويجب على كل مسلم في الصومال أن يعلم؛ أن أي مساعدة للمرتد «عبد اللّه يوسف» والقوات الدولية الغازية، يعتبر بها كافراً، كفراً أكبر، مخرجاً من الملة، فلا يصلى عليه ولا يدفن في مقابر المسلمين، وتطلق منه زوجته، ولا يرث.

ثم أني أحيي المجاهدين في الصومال، وأسأل الله أن يثبت أقدامكم ويسدد رميكم وينصركم على عدوكم، واحذروا مكائد الكفار؛ فهي كثيرة وملتوية.

ومن ذلك دعوة «علي عبد الله صالح» لكم ولخصومكم للحوار في صنعاء، فهو عميل أمريكي مطيع، أفلا تذكرون أنه ضبط متلبساً بتزويد المدمرة الأمريكية «كول» المتوجهة لحصار الشعب العراقي بالوقود من عدن، كما تعاون مع الأمريكيين وسمح لهم أن يقصفوا بطائراتهم المجاهدين - أبا علي الحارثي وإخوانه على أرض اليمن - وهذه الأعمال - فضلاً عن غيرها - من نواقض الإسلام.

ثم يزعم من أضلهم الله على علم، من علماء السوء وبعض زعماء العمل الإسلامي هناك؛ أنه حاكم مسلم، وقد كذبوا في ذلك وضلوا وأضلوا خلقاً كثيراً، والله حسيبنا عليهم.

فلا حوار مع «عبد الله يوسف» وأعوانه إلا بالسيف، فلا يضيع الوقت، فعاجلوهم بالقتال، وأياكم أن يفر منكم كما فر من قبل، والمؤمن لا يلدغ من جحر مرتين.

وأما القوات الدولية؛ فأمرها يسير بأذن الله، فجنودهم يفتقدون للعقيدة القتالية، وليس عندهم قضية يقاتلون من أجلها، فاستعينوا بالله واعدوا من الأسباب ما يلزم، وخاصة ألغام الدبابات و «الآر بي جيه» ضد الدروع، واصبروا كصبر إخوانكم في العراق وأفغانستان في هذه الحرب الصليبية العالمية ضد أمتنا الإسلامية، ولقد رأيتم قبل

سنين هزيمة أمريكة وحلفائها على أرضكم، وفي هذه المرة يكون النصر أيسر بإذن اللّه تعالى.

ثم أني أقول لأمتنا الإسلامية:

إننا قد فقدنا دولة الخلافة، وتفرق شملها، ووقعت تحت الاحتلال الصليبي منذ قرن من الزمان تقريباً، ومنذ ذلك الوقت يحول الصليبيون بيننا وبين إرجاع دولة الخلافة، أو حتى إقامة أي دولة إسلامية، ومن هذا الباب كان غزوهم الأخير لأفغانستان وضغوطهم على السودان إلى أن تراجعت عن إقامة دولة إسلامية.

وفي هذا السياق؛ يأتي الاستعداد لإرسال قوات عسكرية إلى الصومال بإيعاز من أمريكا، زاعمين أن ذلك مساعدة لأهلها وبسط للأمن هناك، وهم يكذبون في ذلك، فالصومال يعاني من الاقتتال القبلي منذ هزيمة أمريكا فيه قبل بضعة عشرة عاماً، فهل يصدق عاقل أنهم اكتشفوا هذه المأساة اليوم؟! أم أن السبب الحقيقي هو أن «المحاكم الشرعية» قد استولت على العاصمة وبسطت نفوذها على معظم المناطق المهمة، وهي تسعى لإقامة دولة إسلامية؟

فلا يمكن أن نفهم بحال؛ سبب مجيء أي قوات عسكرية إلى الصومال من أي دولة كانت - ولو زعم أنها إسلامية - إلا أنه استمرار للحملة الصليبية ضد العالم الإسلامي.

ونحن نحذر دول العالم أجمع؛ من الاستجابة لأمريكا وإرسال قوات دولية إلى الصومال، ونعاهد اللّه سبحانه وتعالى؛ بإننا سوف

نقاتل جنودها على أرض الصومال بعونه وقدرته، كما أننا سنحتفظ بحقنا بمعاقبتها على أرضها وفي كل مكان متاح في الوقت المناسب، وبالطريقة المناسبة.

كما وإني أحرض شباب المسلمين وتجارهم؛ على بذل الغالي والنفيس، وتوفير جميع احتياجات المجاهدين عبر الوسطاء الثقات، ولاسيما في فلسطين والعراق والصومال وأفغانستان والسودان.

وتنبهوا إلى أن الوضع في العراق خطير، فاتقوا اللّه في أنفسكم، واتقوا اللّه في إخوانكم، فإن تركتم بغداد اليوم؛ فغداً دمشق وعَمان والخليج والرياض، فالأمر جد لا هزل فيه، والمنطقة كلها يهددها الخطر، ومن تدبر التاريخ اعتبر.

وقد قال رسول اللّه صلى اللّه عليه وسلم: (ما من أمريء يخذل أمرءً مسلماً في موطن ينتقص فيه من عرضه وينتهك فيه من حرمته، إلا خذله اللّه تعالى في موطن يحب فيه نصرته، وما من أحدٍ ينصر مسلماً في موطن ينتقص فيه من عرضه وينتهك فيه من حرمته، إلا نصره اللّه في موطن يحب فيه نصرته).

واحذروا الانتظار والتأخر كما حصل من بعض المسلمين عندما تأخروا عن نصرة الإمارة الإسلامية في أفغانستان، فهذه فرصة ثمينة، وواجب عيني على كل مستطيع، فيجب أن لا تضيعوها لإقامة النواة الأولى لدولة الخلافة بإذن اللّه.

وفي الختام:

فقد بلغنا أن الإخوة المجاهدين في «تنظيم القاعدة» قد اختاروا الأخ الكريم؛ أبا حمزة المهاجر أميراً عليهم، خلفاً للأمير أبي مصعب الزرقاوي رحمه اللّه، فأرجو اللّه تعالى أن يجعله خير خلف لخير سلف.

وأوصي نفسي وأياه؛ بالصبر والتقوى ومواصلة الجهاد لتكون كلمة اللّه هي العليا، وأن يعض بالنواجذ على بقائه في «مجلس شورى المجاهدين»، فالخلاف شر كله، والجماعة رحمة، والفرقة عذاب، كما أوصيه؛ بأن يركز قتاله على الأمريكيين ومن ناصرهم ومن ظاهرهم في حربهم على أهل الإسلام في العراق.

وأدعو اللّه أن يبارك في جهاده وجهاد المجاهدين عامة في العراق، وأن يفتح عليهم لتحرير أرض الرافدين من الصليبيين والمنافقين، ويقيموا دولة الإسلام بإذن اللّه تعالى.

اللهم ربنا آتنا في الدنيا حسنة وفي الآخرة حسنة وقنا عذاب النار، اللهم أرنا الحق حقاً وارزقنا اتباعه، وأرنا الباطل باطلاً وارزقنا اجتنابه.

اللهم ألف بين قلوب المسلمين، واجمع شملهم، ووحد صفوفهم، وارحم ضعفهم واجبر كسرهم، اللهم أبرم لأمتنا أمر رشد يعز فيه أهل طاعتك ويذل فيه أهل معصيتك ويأمر فيه بالمعرف وينهى فيه عن المنكر.

اللهم حبب إلينا الإيمان وزينه في قلوبنا، وكره إلينا الكفر والفسوق والعصيان، اللهم اشرح صدور شبابنا وفتياتنا للالتزام بدينك، وارزقنا الهدى والتقى والعفاف والغنى، اللهم ثبت أقدامنا يوم تزل الأقدام.

اللهم ثبتنا وثبت المجاهدين في كل مكان، ولا سيما في فلسطين والعراق وكشمير والشيشان وأفغانستان والصومال والجزائر وبلاد الحرمين، اللهم سدد رميهم واربط على قلوبهم، ومدهم بمدد من عندك، وانصرهم على عدوك وعدوهم، فإنه لا ناصر لنا ولهم إلا أنت، يا قوي يا عزيز.

﴿وَٱللَّهُ غَالِبٌ عَلَىٰٓ أَمْرِهِۦ وَلَٰكِنَّ أَكْثَرَ ٱلنَّاسِ لَا يَعْلَمُونَ﴾

وآخر دعوانا أن الحمد لله رب العالمين

والصلاة والسلام على نبينا محمد وعلى آله وصحبه أجمعين

٦/ ١٤٢٧ هـ

وثيقة (٤)

رثاء أبي مصعب الزرقاوي

الكاتب: أسامة بن لادن

الحمد للّه، ثم الحمد للّه، الحمد للّه القائل: ﴿وَلَا تَحۡسَبَنَّ ٱلَّذِينَ قُتِلُواْ فِي سَبِيلِ ٱللَّهِ أَمۡوَٰتَۢاۚ بَلۡ أَحۡيَآءٌ عِندَ رَبِّهِمۡ يُرۡزَقُونَ * فَرِحِينَ بِمَآ ءَاتَىٰهُمُ ٱللَّهُ مِن فَضۡلِهِۦ وَيَسۡتَبۡشِرُونَ بِٱلَّذِينَ لَمۡ يَلۡحَقُواْ بِهِم مِّنۡ خَلۡفِهِمۡ أَلَّا خَوۡفٌ عَلَيۡهِمۡ وَلَا هُمۡ يَحۡزَنُونَ﴾.

والصلاة والسلام على نبينا محمد القائل: (والذي نفس محمد بيده، لوددت أن أغزو في سبيل اللّه فأقتل، ثم أغزو فأقتل، ثم أغزو فأقتل).

أما بعد:

فلقد فُجعت أمتنا الإسلامية بفارسها المقدام، أسد الجهاد ورجل الحزم والسداد؛ أبي مصعب الزرقاوي - أحمد الخلايلة - إثر مقتله بغارة أمريكية آثمة، فإنا للّه وإنا إليه راجعون، فنرجوا اللّه أن يكرمه بما تمنى فيتقبله في الشهداء، ويجزل له المثوبة والعطاء، ويحسن لأهله وذويه العزاء.

أيها المسلمون:

إن المصاب جلل والخطب عظيم، ونحثكم على الجميل؛ وهو الصبر، ونرغبكم في الجزيل؛ وهو الأجر.

كذا فليجل الخطب وليفدح الأمر فليس لعين لم يفض ماؤها عذرُ

فتىً مات بين الضرب والطعن ميتة تقوم مقام النصر إذ فاته النصرُ

أمتنا الإسلامية الغالية:

لإن أحزننا فراق الأحبة أبي مصعب وصحبه، فقد سرنا أن أنفسهم سالت في هذه الملاحم العظام، وهم يذودون عن شريعة الإسلام، ولأن أصبنا بفارس من أعظم فرساننا وأمير من خيرة أمرائنا؛ فقد سرنا أننا وجدنا فيه رمزاً وقدوةً خالدةً لأجيال أمتنا الماجدة، وسيذكره المجاهدون ويدعون له ويثنون عليه، شعرًا ونثرًا، سرًا وجهرًا، سنثني عليه بما علمنا؛

فقد كان سمح المخالطة ما لم يظلم. وإن آنس الناس فزعا كر غير مذمم

مضى أبو مصعب؛ رافع الرأس، عزيز النفس، حراً أبياً، كريماً وفياً، لم يعطِ في دينه الدنية، ولم ينم على الضيم أبداً، ولم يداهن في الحق أحداً، عزيزاً على الكافرين، رحيماً بالمؤمنين، محرضاً على القتال ومجاهداً في سبيل الدين.

ومن أقواله رحمه اللّه: (فلا خير في عيش تنتهك فيه أعراضنا وتداس فيه كرامة أخواتنا ويحكمنا فيه عباد الصليب).

وقوله: (نقاتل في العراق وعيوننا على بيت المقدس، الذي لا يسترد إلا بقرآن يهدي وسيف ينصر).

وكان رحمه اللّه محل محبة أصدقائه وتقدير أعدائه، فالمنصفون منهم شهدوا له ومدحوه، ولا عجب؛

مضى طاهر الأثواب لم تبقى روضة غداة ثوى إلا اشتهت أنها قبرُ

عليك سلام اللّه دوماً فإنني رأيت الكريم الحر ليس له عمرُ

اقتدى أبو مصعب بنبينا محمد صلى اللّه عليه وسلم، واقتدى بمن مضى قبله، بساداتنا؛ بمصعب وعمر وعلي وجعفر رضي اللّه عنهم أجمعين، فخاض غمار الحرب مبتسماً، فرفع اللّه شأنه وأعلى ذكره، وصار أسوة لمن بعده.

حب الجبان النفس أورده البقا وحب الشجاع الحرب أورده الحرب

وما الفرق ما بين الأنام وبينه إذا حذر المحذور واستصعب الصعب

مضى أبو مصعب عليه رحمة اللّه؛ وقد فتح اللّه عليه، فأسس قاعدة للدفاع عن الدين ولاسترجاع فلسطين - بإذن اللّه - وأخذ

بثأرٍ للمستضعفين هناك؛ حيث أثخن في الأمريكيين حلفاء اليهود، ودوخهم، فقتل رجالهم، وصدّع بنيانهم، واستنزف أموالهم، وشتت شملهم، وأذل كبرياءهم، حتى تجرأ عليهم الداني والقاصي، والطائع والعاصي، فدخل التاريخ من أوسع أبوابه؛ فشرفه، وأخذ بيد العالم إلى طريق العزة؛ فعرّفه بإصرار وحزم وإباء، فخلدت سيرته مع سير أعلام النبلاء.

ولا تبكين إلا ليث غاب شجاعاً في الحروب الثائرات

دعوني في الحروب أمت عزيزاً فموت العز خير من حياتي

إن أبا مصعب علم البشرية دروساً عملية في كيفية انتزاع الحرية، فالحرية لا توهب للخانعين تحت قباب الديمقراطية، وعلم البشرية التمرد على الطغاة في زمن استبد فيه الطاغوت الأكبر؛ فرعون العصر - بوش - وصحبه، وداسوا على جميع القيم والمواثيق، ولكم في غزو العراق وسجن «غوانتنامو»؛ عبرة، فأرهبوا الناس واستذلوهم بالنار والحديد، وعاملوا الرؤساء معاملة العبيد.

لقد جاء «فرعون العصر» إلى العراق لا يبالي برفض ومظاهرات البشر الذين قالوا له: (لا لسفك الدم الأحمر من أجل النفط الأسود)، ولكنه احتقر العالم أجمع، وتقدم إلى العراق مستكبراً متغطرساً بجنده وعتاده، متصوراً أن أُسد الشرى قد مسخوا، وأن رجال الإسلام قد خنسوا، بعد أن قدم له حكام العرب من ملوك ورؤساء آيات الطاعة والولاء والمذلة والاستخذاء، وكل منهم يحسس على رأسه متى يكون دوره ليوضع في رمسه.

هجم العدو على العراق؛ فجعل يعسف بالناس عسفاً، وينسف القرى نسفاً، وأزيز الطائرات قد ملأ الآفاق وصم الآذان، وانفجار البارود قد نشر الحتوف وأزكم الأنوف، وكانت الجبال تهتز وتميد من شدة القصف، فبلغت القلوب الحناجر، ولاذ أولو البأس والنهى بأحلاس بيوتهم، ولم يحرضوا بقول ولم تحملهم أقدامهم من شدة الهول، واشرأب الباطل، ونقض المنافقون العهود، ووقفوا في خندق النصارى واليهود، وصار المسلمون كالغنم الشاتية في ليلة مطيرة بأرض مسبعة.

وفي ظل تلك الأجواء الرهيبة الكئيبة، التي ترى فيها أشباه زعماء ولا زعماء، وأشباه علماء ولا علماء، وأشباه رجال ولا رجال - إلا من رحم الله - في تلك الظروف العصيبة المزلزلة؛ ظهر فارس الإسلام أبو مصعب الزرقاوي...

كمثل الليث مفترشا يديه جريء الصدر رئبالاً سبطر

ظهر ومعه ثلة من المؤمنين، كانوا سبعة عشر رجلاً، وليسوا سبعة عشر جيشاً، فتواثقوا وتعاهدوا وعاهدوا الله تعالى أن ينصروا دينه أو يهلكوا دونه، رجال والرجال قليل...

والناس ألف منهم كواحد وواحد كالألف إن أمر عنا

ومن سيقاتلون مثلهم في العدد أو مثليهم؟ كلا، أو حتى عشرة أمثالهم! كلا، إنها أمواج كأمواج البحر من العتاد وجنود الشر، ولكن من عظم حق الله في قلبه ورزق التوحيد؛ تميد الجبال الرواسي ولا

يميد، فترجل فارسنا حاملاً الراية، وعزم على القتال إلى النهاية، فإما يذوق ما ذاق جعفر أو يذوق النصر...

فأثبت في مستنقع الموت رجله وقال لها من تحت أخمصك الحشر

فخاضوا غمار الحرب وبدءوا الضرب، وذلك بعدد يسير من الكلاشنات وعدد يسير من ألغام الدبابات وعدد يسير من مدافع «البازوكا».

وكان أبو مصعب قد جاء مع بعض إخوانه في الفترة الماضية إلى الجهاد ضد الروس، فسابق إخوانه حتى سبق المتقدمين، ونطق فبز الناطقين، وبمجيئه وإخوانه إلى أرض أفغانستان؛ أخذوا تطعيم معركة ضد القوى الكبرى، وزالت من أذهانهم أسطورة الدول العظمى، ونقلوا الجرأة الكبيرة المتوثبة والمعنويات الهائلة من أفغانستان إلى بغداد، وأشعلوا فتيل الجهاد، وتفجرت طاقات الشباب في كل مكان، من أعلى الفرات إلى أسفله، ولله الحمد والمنة.

هذا هو فارسنا الذي نتحدث عنه؛ قام بكل ذلك - بعد توفيق الله له - بإمكانيات ذاتية بسيطة، ولم يكن وراءه حلف دولي ولا تحالف إقليمي ولا تنظيم عالمي، و﴿فَضْلُ ٱللَّهِ يُؤْتِيهِ مَن يَشَآءُ ۚ وَٱللَّهُ ذُو ٱلْفَضْلِ ٱلْعَظِيمِ﴾.

نفس عصام سوّدت عصاماً وعلمته الكر والإقدام

نعم؛ هذا هو فارس الإسلام الذي نتحدث عنه، والذي قام في

وجه فرعون العصر، في وجه الإمبريالية الأمريكية، بعد أن فشلت المنظمات الدولية والتجمعات الإقليمية، بعد أن فشل العالم أجمع في إيقاف ذلك العدوان الغاشم الظلوم...

ضروب لهام الضارب الهام في الوغى خفيف إذا ما أثقل الفرس اللبد

بصير بأخذ الحمد من كل موضع ولو خبأته بين أنيابها الأُسد

وهنا؛ ندعو اللّه أن يجزي خير الجزاء فارسنا المقدام، وأن يجزي خير الجزاء كل من عزّانا وواسانا في فارسنا العظيم رحمه اللّه، ونخص بالذكر أمير المؤمنين الملا محمد عمر، فنرجوا اللّه تعالى أن ينصره وإخوانه المجاهدين على الكافرين.

ثم إنني أقول لمن يتهم فارس أمتنا بأنه يقتل بعض فئات الشعب العراقي:

أقول له: إذا جاءك من يدعي أن رجلاً فقأ عينه فتريث حتى ترى المُدعى عليه، فلعل المدعي قد فقأ عينيه، وهذا ما بدأ يزداد وضوحاً في الأسابيع الأخيرة.

حيث تحدث النائب «محمد الدائن» عن حجم الظلم والتعذيب الذي يمارس ضد المسلمين في السجون العراقية، كما تحدث كذلك من قبل قادة «هيئة علماء المسلمين» عن حرب إبادة يتعرض لها أبناء الإسلام في العراق.

وإن أبا مصعب عليه رحمة اللّه كانت لديه تعليمات واضحة،

بأن يركز قتاله على الغزاة المحتلين - وعلى رأسهم الأمريكيين - وأن يُحّيد كل من رغب في الحياد، وأما من أبى إلا أن يقف يقاتل في خندق الصليبيين ضد المسلمين؛ فليقتله كائناً من كان، بغض النظر عن مذهبه وعشيرته، فمناصرة الكفار على المسلمين؛ ناقض من نواقض الإسلام العشرة - كما هو مقرر عند أهل العلم -

ثم إني أقول لبوش:

يجب عليكم تسليم جثمان البطل لأهله ولا تكثروا الفرح، فالراية لم تسقط بحمد اللّه، وإنما انتقلت من أسد إلى أسد من أسد الإسلام، وسنواصل - بإذن اللّه - قتالكم وحلفاءكم في كل مكان، في العراق وأفغانستان والصومال والسودان، حتى نستنزف أموالكم ونقتل رجالكم وترجعوا مهزومين - بإذن اللّه - إلى بلادكم، كما هزمناكم من قبل - بفضل اللّه - في الصومال.

كما أقول لوكيلك في الأردن:

كفاك استبداداً، فقد منعت أبا مصعب الدخول إلى موطنه حياً فلا تحل بينه وبين ذلك الآن، وأولى الناس بالخروج من الأردن؛ هو أنت إلى الحجاز، فتلك بلادك وبلاد آبائك قبل أن تنصب بريطانيا جدك عبد اللّه الأول؛ عميلاً لها على الأردن.

وما يخيفك من الزرقاوي عليه رحمة اللّه بعد أن فارق الحياة إلا لأنك تعلم أن جنازته - إن ترك المسلمون وشأنهم فيها - فستكون

- بإذن الله - جنازة كبيرة تظهر مدى تعاطف المسلمين مع أبنائهم المجاهدين.

وفي الختام أقول:

إن أبا مصعب عليه رحمة الله لا يشرف قبيلته ووطنه وأمته فحسب، بل يشرف البشرية جمعاء، فقد جسد لها معاني العزة والإباء والتضحية والفداء، وإن سيرته مادة قيمة لنموذج معاص، فإن درست الدنيا سيرته العطرة؛ تعلم أبناؤها كيف يصنع الإيمان بالله الرجال ليقاوموا أهل الظلم والضلال.

وحري بكل مربي وكاتب وروائي؛ أن يقتبس من سيرته ما يحيي به الأجيال الناشئة والأجيال القادمة، كما أنه حري بكل شاعر حر أن يقرض الشعر في هذا الصقر، ولو كنت من فرسان الشعر لأكثرت القوافي في رثائه، ولنافست بذلك «تماضر» في رثاء «صخر».

ولكن لا حرج أن أستعير أبياتاً من شعر شاعر الدعوة الإسلامية المعاصرة؛ الشيخ يوسف أبو هلالة:

غُص الثرى بدم الأضاحي	وتلهبت سوح الكفاح
ومن القفار الجرد تبزغ	نبعة الماء القراح
تزهو بألوية العقيدة	والبطولات الصحاح
وتقول إن شح العطاء	فنحن للدين الأضاحي
والفوز فوز الخاضبين	جسومهم بدم الجراح

الرافضين بأن تباع ديارهم بيع السماح
والعائفين العيش عيش المستذل المستباح
بضع من اللحظات يهزم روعها هوج الرياح
يهوي بها حمدان مثل الصقر مقصوص الجناح
من بعد ما اقتحم الردى والقصف قد غمر النواحي
فحنوت ألثم جرحه الرعاف فانتكأت جراحي
وهمت على خدي الدموع فقلت؛ يا روحي وراحي
هلا رحمت قلوبنا وعدلت عن هذا الرواحي
فأجابني البطل المسجى هازئً بي باقتراحي
كفكف دموعك ليس في عبراتك الحرة ارتياحي
هذا سبيل إن صدقت محبته فاحمل سلاحي

رحم الله أبا مصعب، ورحم الله كل من حمل السلاح للجهاد في سبيل الله.

وآخر دعوانا أن الحمد لله رب العالمين

والصلاة والسلام على نبينا محمد وعلى آله وصحبه أجمعين

٦/ ١٤٢٧ هـ

وثيقة (٥)

بسم اللّه الرحمن الرحيم

مؤسسة الفرقان تقدّم:

كلمةً للشيخ المجاهد: أبي محمّدٍ العدنانيّ الشامي المتحدث الرسمي للدولة الإسلامية في العراق والشام -حفظه اللّه- بعنوان:

«عُذراً أميرَ القاعدة»

الحمد للّه القويّ المتين، والصلاة والسلام على مَن بُعث بالسيف رحمةً للعالمين.

أمّا بعد:

قالَ اللّه تبارك وتعالى: ﴿ وَقِفُوهُمْ إِنَّهُم مَّسْـُٔولُونَ ﴾ [الصافات: ٢٤] وقالَ تبارك وتعالى: ﴿سَتُكْتَبُ شَهَـٰدَتُهُمْ وَيُسْـَٔلُونَ﴾ [الزخرف: ١٩] وعن عبادة بن الصامت رضي اللّهُ تباركَ وتعالى عنهُ قال:

«بايعنا رَسُول اللّهِ ﷺ؛ على السمع والطاعة في العسر واليسر، والمنشط والمكره، والأثرة علينا، وأن لا ننازع الأمر أهله، وأن نقول بالحق أينما كنا لا نخاف في اللّه لومة لائم».

أيها المجاهدون، أيها الناس:

أعيروا سمعَكُم، فإنّ حديثي لهُ ما بعدَه..

أعيروا سمعَكُم، أنقلُ لكُم بعضاً من كلام مشايخنا وقادتنا وأمرائنا قادة القاعدة، قاعدة الجهاد..

قال الشيخ الإمام المجدد أسامة بن لادن رحمه اللّه، في الخطاب الثاني والعشرين، وهو رسالةٌ إلى أهل العراق خاصة والمسلمين عامّة، قال فيها:

(فلو التزمَ الناسُ بجميع أحكام الإسلام إلاّ الالتزام بتحريم الربا مثلاً، وأباحوا البنوكَ الربوية، فإن دستور هذه الدولة يُعتبر دستوراً كفرياً، لأن هذا التصرّف يتضمن اعتقادَهُم عدمَ كمال الشريعة وكمال مُنَزّلها سبحانه وتعالى، ولا يخفى أنّ هذا كُفرٌ أكبر مُخرج من الملّة، فضلاً عن أنّ هذه الانتخابات تجري بأمر أمريكا تحت ظلّ طائراتها وقذائف دبّاباتها.

وبناءً عليه: إن كل مَن يشارك في هذه الانتخابات -والتي سبقَ وصفُ حالِها- عن عِلمٍ ورِضا، يكونُ قد كفرَ باللّهِ تعالى، ولا حولَ ولا قوّة إلاّ باللّه.

وينبغي الحذرُ من الدجّالين الذين يتكلّمون باسم الأحزاب والجماعات الإسلامية، ويحثّون الناس على المشاركة في هذه الردّة الجموح، ولو كانوا صادِقين لَكانَ همّهُم في الليل والنهار إخلاصَ الدينِ للّهِ تعالى والتبرّؤ من الحكومة المرتدّة وتحريضَ الناس على

جهاد الأمريكيين وحلفائهم، فإن عجزوا فليُنكروا بقلوبهم وليتجنّبوا المشاركة في برامج المرتدّين أو القعود في مجالس الردّة، وكلُّ ما ذكرناهُ عن العراق ينطبق تماماً على الوضع في فلسطين، فالبلاد تحت الاحتلال، ودستور الدولة وضعيٌّ جاهلي الإسلامُ منهُ بريء، والمرشّح محمود عبّاس بهائيٌّ عميلٌ كافر) انتهى كلامه رحمه اللّه

وقال الشيخ أبي يحيى الليبيّ رحمه اللّه مُخاطِباً علماء السوء:

(فأي مصلحة هذه التي عقدت ألسنتكم عن النطق بكلمة الحق، ولا زلتم تزعمون مراعاتها، وطاغيةُ بلاد الحرمين يسوقُ الناس إلى الكفر والردة السافرة سوقا حثيثاً؟!).

وقال في خُطبةٍ لعيد الأضحى:

(لا بدّ من اعتزال الكفَرة، لا بدّ من مقاطعتهم، لا بدّ من البراءة منهم، لا بدّ أن يعرفوا أنّنا على سبيلٍ وهُم على سبيل، نحنُ في شقٍّ وهُم في شقّ، نحنُ في طريقٍ وهُم في طريق، أمّا الاختلاطُ والامتزاج والتلاعبُ بأحكام الشرع وألفاظه، فهذه ستؤدّي إلى ضلالٍ كبير وإلى فسادٍ عريض).

وقال:

(إمّا أن يتغلّب أهل الإيمان على أهل الكفر ويقهرونهم ويُدخلونهم في دين اللّه عزّ وجل، أو أن يُعطوا الجزيةَ عن يدٍ وهُم صاغرون، وإمّا أن يتغلّب أهل الكفر على أهل الإيمان، أو أن يهاجرَ ويخرجَ أهلُ الإيمان من بلاد الكفر، وتلكَ هي الهجرة) انتهى كلامُه.

رحمكَ اللّهُ يا شيخ، تلكَ هي الهجرة، وهذا هو الدين القويم.

وقالَ سليمان بو غيث في خطبةٍ عنوانها «المرتدون في الكويت»:

(أقولُ لهذا: يا مرتدّ، إذا كنتَ أنتَ ضد أسلمة الدولة، وضد أسلمة نظام الحُكم في هذا البلد، فأنا ضدّ نظام الحُكم كلّه في هذا البلد، وأنّ الدستورَ في هذا البلد الذي تتمسّك به تحتَ نِعالي وحذائي، لا بل واللّهِ أتنزّه أن يدوسَهُ حِذائي فيتنجّس، وإنّما أُلقيهِ في المزابل.

واعلَم أنَّ الدستورَ الكويتيَّ كافِر، كافِر، كافِر. والذي يحكمُ بهذا الدستور كافر. واللّهِ لَن أتنازلَ عن هذه الكلمة، واللّهِ لَن أتنازلَ؛ الذي يحكمُ بهذا الدستور كافر) انتهى كلامُه.

وقالَ الشيخ أبو مصعب الزرقاويّ رحمه اللّه عن منهج الديمقراطية وأهله:

(فلهذه الدواعي وغيرها؛ أعلَنّا الحربَ اللّدود على هذا المنهج الخبيث، وبيّنا حكم أصحاب هذه العقيدة الباطلة، والطريقة الخاسرة. فكلٌّ من يسعى في قيام هذا المنهج بالمعونة والمساعدة فهو مُتَوَلٍّ لهُ ولأهله، وحُكمُهُ كحُكم الداعين إليه والمظاهرين له. والمرشَّحون للانتخابات هم أدعياء للربوبية والألوهية، والمنتخبون لهم قد اتّخذوهم أرباباً وشركاء من دون اللّه، وحُكمُهُم في دينِ اللّه: الكفرُ والخروجُ عن الإسلام.

اللهم هل بلغت... اللهم فاشهد) انتهى كلامه رحمه اللّه.

هذه قاعدةُ الجهاد التي عرفناها، وهذا منهجُها، ومَن بدّلَهُ استبدلناه.

هذه القاعدة التي أحببناها، هذه القاعدة التي والَيناها، هذه القاعدة التي ناصَرناها.

هذه هي القاعدة، هذه هي القاعدة التي أرعبَت أُمَمَ الكُفرِ وأقضّتْ مضاجع الطواغيت.

هذه هي القاعدة التي جرَت في دمائنا وسكنَت شغاف قلوبنا، فعزّرنها ونصرناها ووقّرناها وبجّلناها وعظّمناها، وباتَت أنفسُنا لا تُطاوعُ غيرَ قيادَتِها.

قادتُها هُم الرموز، لا نسمحُ لهاجسٍ مجرّد هاجسٍ أن يُراوِدَ أعماقَ أحدِنا فيطعنُ في رمزٍ من رموزِها، أو يُشنّعُ بكلمةٍ على قائدٍ من قاداتِها أو ينتَقِص.

نعَم.. لماذا؟ لأنّهم أصحاب السبق، لأنهم أصحاب الفضل، لأنهم أصحاب التضحيات، لأنهم رموز الأمّة وأئمّتها في هذا العصر، المجدّدون.

هذه علاقتنا بالقاعدة، قاعدة الجهاد.

ولأجل هذا أرسلت الدولة عبر أبي حمزة المهاجر رسالةً لقيادة القاعدة تؤكّد فيها ولاء الدولة لرموز الأمّة المتمثّلين بالقاعدة، وتُخبرهم أنّ الكلمةَ لقيادة الجهاد في العالم لكُم، برغم حلّ تنظيمكم على أرض الدولة، تبقى الكلمة لكُم حفاظاً على وحدة كلمة المجاهدين، ورصّ صفوفهم.

ولأجلِ ما ذكرنا كلّه، ظلّ أمراء الدولة الإسلامية يُخاطبون قاعدة

الجهاد خِطابَ الجنود للأمراء، خطاب التلميذ لأستاذه، والطالب لشيخه، خطاب الصغير لكبيره.

وظلّت الدولة الإسلاميّة تلتزم نصائح وتوجيهات شيوخ الجهاد ورموزه، ولذلك لم تضرب الدولة الإسلامية الروافض في إيرانَ منذ نشأتِها، وتركت الروافض آمِنين في إيران، وكبحَت جِماح جنودها المستشيطين غضباً، رغمَ قدرتها آنذاكَ على تحويل إيرانَ لِبُرَكٍ من الدماء، وكظمَت غيظَها كلّ هذه السنين تتحمّل التُّهَمَ بالعمالة لألَدِّ أعدائِها إيران لعدم استهدافها، تاركةً الروافض ينعمون فيها بالأمن امتثالاً لأمر القاعدة للحفاظ على مصالحها وخطوط إمدادها في إيران.

نعم، كبحَت جِماحَ جنودها وكظمَت غيظَها على مدار سنين حفاظاً على وحدة كلمة المجاهدين ورصّ صفِّهم.

فليسجّل التاريخ أنّ للقاعدة دَينٌ ثمينٌ في عنُقِ إيران.

نعم.. وبسبب القاعدة أيضاً لم تعمَل الدولة في بلاد الحرَمين، تاركةً آل سلولٍ ينعمون بالأمن، مستفردين بعلماء الأمّة هناك وشباب التوحيد الذين ملأت بهم السجون.

وبسبب القاعدة لم تتدخل الدولة في مصر أو ليبيا أو تونس، وظلت تكظم غيظها وتكبح جماح جنودها على مر السنين، والحزن يملأ أركانها وربوعها لكثرة استغاثة المستضعفين بها، والعلمانيون يُنصّبون طواغيت جدد أشدّ كفراً من سلفهم في تونس وليبيا ومصر،

والدولة لا تستطيع تحريك ساكِن لتوحيد الكلمة حول كلمة التوحيد، لعدم مخالفة رموز وقادة الجهاد المتمثلين بالقاعدة التي تولّت الجهاد العالمي وحملَت على عاتقها العمل في تلك البلاد.

عذراً أميرَ القاعدة

عذراً أيها الدكتور..

لقد بايَعنا اللّهَ على أن نقول الحقّ حيثُما كنّا لا نخاف في اللّه لومة لائم.

إنّك في شهادتك الأخيرة لبّستَ على الناس، وأوهمتَهُم أمراً أجهدْتَ نفسكَ لإثباتهِ ولَم تُثبته، ولَن تُثبتَه، إذْ تعسَّفتَ في إخراج مقاطع من رسائل سرّية على الإعلام لتحمّلنا جُرماً أنتَ اقترفتَهُ وتولّيتَ كِبرَه، وأنتَ مَن يُسأل عنه ويتحمل وزره.

أجهدْتَ نفسكَ لتلبّس على الناس وتوهمهم أمراً تضعُنا به موضع الناكثين الغادرين الخائنين الشاقّين صفَ المجاهدين، ليسَ لجنديٍّ صغيرٍ مثلي أن يردّ على مثلك، على أمير القاعدة، ولكن لصاحب الحقِّ مقال، وإنّنا -واللّه يعلم- كَم يعصر الألم قلوبَنا وتلفحُها المرارةُ ونحنُ نردُّ عليك.

عذراً أمير القاعدة

أنْ نتواضع لكُم طواعيةً فنلتزم بالجماعة، ونحرص على توحيد كلمة المسلمين، ولمّ شمل المجاهدين ولو على حساب حقوقنا وتنازلاتنا شيء، وأن تُلزمنا جرّاء ذلك ببيعةٍ وتبعيّةٍ لكُم فتُحمّلنا جُرمَ

شقّ صف المجاهدين وسفك دمائهم الذي تسبّبتَ أنتَ بهِ بقبولك بيعة الخائن الغادر الناكث شيءٌ آخر.

عذراً أمير القاعدة

الدولةُ ليست فرعاً تابعاً للقاعدة، ولم تكن يوماً كذلك، بل لو قدّر اللّهُ لكم أن تطؤوا أرض الدولة الإسلامية، لَما وسعكم إلاّ أن تبايعوها وتكونوا جنوداً لأميرها القرشيّ حفيد الحسين، كما أنتم اليوم جنودٌ تحت سلطان المُلاّ عمر، فلا يصحّ لإمارةٍ أو دولةٍ أن تُبايع تنظيماً.

عذراً أمير القاعدة

عذراً أيها الدكتور..

إن كلّ ما ذكرتَهُ في شهادتنا ليسَ فيه ما يُثبت ما أجهدتَ نفسكَ لتثبته وعجزتَ عن إثباته، ولو كانَ موجوداً لأجبتَ مَن وصفتَهُ بالمهاجر الصابر بكلمةٍ واحدة، ولتجنّبتَ أن تأتي بالإعلام بِما تنهى عنه، فعجباً عجباً..

بينما عندنا الإثباتات خلاف ذلك من أفواه قادة الدولة والقاعدة، وأنتَ على رأسهم، فمن فِيكَ سمع العالم أنّ التنظيم حُلّ في العراق وبايعَ الدولة وانخرطَ فيها.

إنّ كل ما ذكرتَ من شهادتك صحيح، بل وأزيدُكَ عليه أننا كنّا ولحينٍ قريب نُجيبُ مَن يسألنا عن علاقة الدولة بالقاعدة بأنّ علاقتها علاقة الجنديّ بأميره، ولكنّ هذه الجنديّة يا دكتور لجعل كلمة الجهاد العالميّ واحدة، ولم تكُن نافذةً داخل الدولة، كما أنّها غير مُلزمةٍ

لها، فإنّما هي تنازلٌ وتواضعٌ وتشريفٌ وتكريمٌ لكُم مِنّا، وعندنا من الوقائع والأحداث والشهادات المشابهة لشهادتك الأضعاف تُثبت طبيعة هذه العلاقة، وأنّها ليسَت نافذةً داخل الدولة.

مثال ذلك: عدم استجابتنا لطلبك المتكرّر بالكفّ عن استهداف عوام الروافض في العراق بحكم أنهم مُسلمون يُعذَرون بجهلهم، فلو كُنّا مبايعين لك لامتثلنا أمركَ حتّى ولو كُنّا نخالفك الحكمَ عليهم والمُعتقدَ فيهم، هكذا تعلّمنا في السمع والطاعة، ولو كنتَ أمير الدولة لألزمتَها بطلبك ولعزلتَ مَن خالفَك، بينما امتثلنا لطلبكُم بعدم استهدافهم خارج الدولة في إيران وغيرها.

ومثال ذلك: أنك لم تسألنا يوماً -ومَن قبلَك-: كَم عدد جنودكم؟ ما هو سلاحُكم؟ من أينَ تمويلكُم؟ من أين تتسلّحون؟ هل عندكم ما تأكلون؟ مَن هُم أمراؤكم؟ مَن هُم وزراؤكم، وُلاتُكم، قُضاتُكم، عُلماؤكم؟ ما هي مشاكلكم؟ ما هي مُعاناتكُم؟

قُل لي بربّك: ماذا قدّمتَ للدولة إن كُنتَ أميرَها؟ بماذا أمدَدّتها؟ عَن ماذا حاسبتَها؟ بِمَ أمرتَها وعمَّ نهيتَها؟ مَن عزلْتَ ومَن وَلّيتَ فيها؟

لم يحدث شيءٌ من هذا أبداً.

فلَكِ اللّهُ أيّتها الدولة المظلومة!

ومثال ذلك أيضاً: أنكَ لم تُخاطبنا ولا مَن قبلكَ يوماً خطاب الأمير لجنديّه أو بصيغة الأمر أبداً، لم تُخاطبنا ولا مَن قبلكَ بصيغة

الأمر إلاّ بعدَ أن فجّرتَ الكارثةَ في الشام وفجعتَ الأمّة بقبولكَ بيعةَ الخائن الغادر.

لقد وضعتَ نفسكَ اليومَ وقاعدتَكَ أمامَ خيارين لا مناصَ عنهُما:

إمّا أن تستمرّ على خطئك وتُكابر عليه وتُعانِد، ويستمرّ الانشقاق والاقتتال بين المجاهدين في العالم.

وإمّا أن تعترف بزلّتك وخطئك فتُصحّح وتستدرك.

وها نحنُ نمدُّ لكَ أيدينا من جديد لتكونَ خيرَ خلَفٍ لخير سلَف، فقد جمعَ الشيخُ أسامة المجاهدين على كلمةٍ واحدة، وقد فَرَّقْتَها وشققتَها ومزّقتَها كُلَّ ممزّق.

نمدّ لكَ أيدينا من جديد وندعوكَ:

أوّلاً: للتراجع عن خطئك القاتل وردّ بيعة الخائن الغادر الناكث، فتُغيظ بذلك الكفّار وتُفرح المؤمنين وتحقن دماء المجاهدين، فأنتَ مَن أحزَنْتَ المسلمين وشَمَّتَّ الأعداء بالمجاهدين إذْ أيّدْتَ غدرةَ الغادر ونصرْتَها، فأحرقْتَ المُهَجَ وأدميتَ القلوب، أنتَ مَن أوقدَ الفتنة وأذكاها، وأنتَ مَن تُطفؤها إن أردتَ إن شاء اللّه.

فراجِع نفسك وقِف موقِفاً للّه تُصلح بهِ ما أفسدتَ.

وندعوكَ ثانياً لتصحيح منهجك بأن تصدعَ بتكفير الروافض المشركين الأنجاس، وتصدع بردّة الجيش المصري والباكستاني والأفغاني والتونسي والليبي واليمني وغيرهم من جنود الطواغيت

وأنصارهم، واستبدال نعتهم بالمتأمركين وغيرها من النعوت، وتُسمّيهم بما سمّاهم به ربّ العالمين: بالطواغيت والكفّار والمرتدّين، وعدم التلاعب بالأحكام والألفاظ الشرعية كقولك: الحكم الفاسد، والدستور الباطل، والعسكر المتأمركين.

كفاك حتّى لا تؤدي إلى ضلالٍ كبيرٍ وفسادٍ عريضٍ كما أوصانا وحذّرنا الزرقاويّ والليبيّ أمراء القاعدة رحمهما اللّه، وأن تدعوَ المسلمين لجهاد وقتال أولئك كلّهم دعوةً صريحة بنبذ الألفاظ والمصطلحات الدخيلة على المجاهدين كالمقاومة الشعبية والانتفاضة الجماهيرية والحركة الدعوية والشعب والجماهير والكفاح والنضال وغيرها.. بألفاظ الجهاد الشرعية الواضحة، والدعوة الصريحة لحمل السلاح ونبذ السلميّة وخصوصاً في مصر لقتال جيش الردّة، جيش السيسي فرعون مصر الجديد، وإلى التبرؤ من مرسي وحزبه والصدع بردّته وكفاكَ تلبيساً على المسلمين، نعَم.. مرسي المرتدّ الطاغوت الذي خرجَ بنفسه على رأس جيشه إلى سيناء، لا لحرب اليهود، بل لحرب المجاهدين الموحّدين هناك، فدكَّ بطائراته ودباباته بيوتهم وبيوتَ المسلمين، نعَم.. ذلك الطاغوت الذي من شدّة حقده على المجاهدين الموحّدين عيّن قاضياً نصرانياً صليبياً ليحكم على مَن أُسِرَ منهم، وطبعاً جاء الحُكم بالإعدام، فوقّع عليه ذلك المرتدّ الطاغوت ليشفي غليله منهم، فعلامَ لم تُنكِر عليه، ولم تدعُ للقصاص منه؟! بل صوّرتَهُ مظلوماً وترفّقْتَ بِه، ودعوتَ له! أم أنّك راضٍ عن فعلهِ ودستورهِ الذي حكمَ به؟ وما سفكَه من دماء المجاهدينَ المرابطين الموحّدين في سيناء، ولا نحسبُكَ كذلك.

فبَيِّنْ فقد خسرتَ رأسَ المال ولم تربَح!

فهيّا توكَّلْ على اللّه واتّخِذْ هذا القرار، ولا تُضيّع إرثَ أُسامة، فما دعوناكَ إلاّ لأمورٍ شرعية، بل واجبةٍ عليك.

هيّا كي تكونَ حكيماً، اتخذ قراراً يرفعُ اللّهُ بهِ قدرَكَ في الدنيا والآخرة بإذن اللّه وتوفيقه، وتتصدّى به لأعداء الإسلام، وتُطفئ به الفتنة التي كنتَ سببها، نعَم أنتَ سببها إذْ جعلتَ من نفسكَ وقاعدتكَ أُضحوكةً ولعبةً بيدِ صبيٍّ غِرٍّ خائنٍ ناكث للبيعة لم ترَهْ، وتركتَهُ يلعبُ بكُم لعبَ الطفل بالكرة، فأذهبْتَ هيبتَك، وأضعْتَ تاريخَكَ ومجدَك، فبادِر واحذَر من خاتمة السوء.

عذراً أميرَ القاعدة

فهذا ما يُقالُ عنك، هذا ما يتحدّث به المجاهدون من المهاجرين والأنصار، فبادِر فمازالت أمامك فرصة، إن انتهزتَها عندها فقط تكونُ حكيماً وشيخاً وقائداً ورمزاً.

وعذراً أميرَ القاعدة

مازالَ عندنا من الأسئلة ما يحتاجُ لإجابتكُم ولا يضرّكم أن تُجيبوا إن كانَ لنا عندكُم أيضاً حقُّ الأخوّة، ولِتُزيلوا اللَبْسَ الذي حصلَ للناس جرّاء شهادتكم الأخيرة، ولعلَّ إجابتكم تكون سبباً لوقف نزيف الدم بين المجاهدين.

فنسألُكَ باللّهِ عليك أن تذكرَ لنا أدنى مقوّمات الدولة التي قِيلَ لكَ أنّها لم تتوفّر عندنا، فلعلّنا نبيّنها لكَ إن جهِلتَها، أو نحقّقها إن فقدناها.

ونسألُك: مَن هُم أحفاد ابن ملجم الذينَ ذكرتَهُم في خطابٍ سابق، ودعوتَ الأمّة للحشد ضدّهم؟ مَن هُم الذينَ يجب على كلّ المسلمين أن يتصدّوا لهم ويشكّلوا رأياً عاماً ضدّهم؟ مَن هُم الخلَفُ لقتلة عثمان؟ نرجو أن توضّح توضيح الشجعان، فإنّ جنودك في الشام من جبهة الجولاني وحلفائهم من جبهة الضرار والمجلس العسكري الكفريّ وباقي الصحوات فهموا أنّ المقصودَ هُم جنود الدولة الإسلامية فامتثَلوا جميعهُم لأمرِك، واستحلّوا دماء المهاجرين والأنصار بكلامك، فإن لم تكُن عنيتَ جنودَ الدولة وأميرَها فنُطالبك بتبيين ذلك عاجلاً لحقن دماء المجاهدين التي تُسفك بسببك. نعم بسببكَ أنتَ وحكمتِك!

مَن هو حفيد ابن ملجم الذي ذكرتَه، ومَن هُم الحروريّة الذين ذكرهم آدم الأمريكي؟

وإن كانت الدولة المعنيّة، فلنا سُؤالٌ آخر ينتظر إجابةً حكيمة..

إئذا بقينا في الشام كُنّا من الخوارج والحشّاشين والحروريّة الذين «سيخيبُ في أرض الشآم حفيدهُم».

وإذا انسحبنا للعراق مستسلمين هاربين صرنا على السنّة أحفاد الحسين مُجاهدين:

من معشرٍ حبّهم دينٌ وبغضهُمُ - كُفرٌ وقُربهُمُ مَنجًى ومُعتصَمُ

ثمّ إنّا نُطالبكَ حينها بالدليل..

فإن قُلتَ قتلتُم فلاناً أو فلانا.. قُلنا قتَلوا مِنّا أضعافاً ولم تَصِفهُم بما وصفتَنا ولم تَبكِ على أحدٍ مِنّا. ثمّ إنّ هذا ليسَ بدليل.

وإن قلتَ: تُقاتِلونَ فئاتٍ مُسلمة.. قُلنا: هُم واللّهِ بدؤونا بالقتال، ثمّ ولوَلوا شاكين باكين حينَ رددْنا عاديتَهُم، ولازِلنا المدافعين. فلماذا لم تصِفهُم بما وصفتَنا؟ ثمّ ليسَ هذا أيضاً بدليل.

وأمّا المحكمة المستقلة التي تطالب بها فنقول لك: إنّ هذا أمرٌ غيرُ ممكن، بل مستحيل، بل هوَ طلبٌ تعجيزيّ من ضرب الخيال.

لماذا؟..

لأنكَ شققت المسلمين شقّين لا ثالثَ لهُما؛ شقّ مع الدولة وأنصارها، وشقّ مع الفرق المُطالبة بالمحكمة المستقلّة، فلا توجد على وجه الأرض هيئةٌ مؤهَّلَةٌ مستقلّة يرضى بها الطرفان.

ثمّ ألا أدلّكم على خيرٍ وأيسَرْ؟

أمرٌ لو يفعلهُ المسلمون أفلَحوا كلّ الفلاح، أليسَ في المسلمين رجلٌ صالح؟ أليسَ في المسلمين رجلٌ مُؤهَّل؟

أليسَ في المسلمين على وجه الأرض رجلٌ رشيد يختاره المسلمون فيُعلِنَ على الملأ كفرَهُ بالطاغوت والبراءة من الكفر والشرك وأهله ويُعلن بغضاءَهُ لهُم وحربَهُ عليهِم، فنُبايعه على ذلك وننصّبه خليفة، فنُقاتِلُ مَنْ عصاهُ بمن أطاعَه، في العراق والشام والجزيرة ومصر وخراسان والأرض جميعاً، فنُنهي هذا التشرذم وهذا الاختلاف، ونُفرِحَ المؤمنين ونُغيظ الكافرين، فلا تبقى إمارةٌ شرعيّةٌ غيرُه.

هذا هو الحلّ، ولا حلّ سواه، فيكون أوّل واجبٍ لذلك الخليفة

تشكيل تلك المحكمة التي تدعونا لها، هذا هو الحل الوحيد، وهذا حلٌّ يسير لا يُوجد أيُّ مانعٍ شرعيٍّ يحولُ دونَه، بل هو واجب العصر الذي يتخلّفُ عنه المسلمون، هذا هو داؤنا ودواؤُنا.

وأمّا عن مناشدتكَ لنا الانسحاب من الشام فلن نُعيد ونكرّر بأنّ هذا أمرٌ شبه مستحيل، غيرُ مُمكنٍ لا شرعاً ولا عقلاً ولا واقعاً، ولن نقول أن الشام باتَت اليوم أشدُّ حاجةً للدولة من الأمس غداة مهادنة النصيرية وبيعهِم المناطق، ولَن نقول أن المناطق التي تسيطر عليها الدولة الإسلامية في سوريا أكبر من المناطق التي تسيطر عليها جميع الفصائل والجماعات والأحزاب بمللها ونحلها، وأنّهُ لا حُكم في مناطق الدولة لغير اللّه تُقامُ فيها حدودُه، ولا سُلطانَ لغيرِ شرعِه؛ تُقامُ الصلاة وتُؤتى الزكاة، ويُؤمَر بالمعروف ويُنهى عن المنكر، بعزِّ عزيزٍ أو بذلِّ ذليل، وإن رغمَت أنوف. وقد حلَّ في ربوعها الأمنُ والأمان بفضل اللّه وحده.

لن نقولَ هذا..

ولكن نقول: لئن رضيَ تنظيم القاعدة أن ينسحب المجاهدون طواعيةً من أرضٍ يحكمونَ فيها بشرع اللّه ويُقيمونَ حدودَه ويُسلّمونها على طبقٍ من ذهبٍ لائتلافِ الجربا وصناديق اقتراعِه وهيئة سليم إبليس ومجلسه وعصابات حيّاني وعفش ومُجرمي جمال والزنكي والجبهة السلوليّة وسروريّها وجبهة الخائن الغادر ولصوصها وضباعِها.. لئن رضيَت القاعدة بهذا، فإنَّ ربَّنا ودينَنا يأبى ذلك!

ونقول: لئن دعوتَنا للاقتداء بالحسَن، فأينَ هو معاويةُ رضي اللّه تعالى عنهُما؟!

فلو كانَ عندَنا يزيدُ لَكُنّا قد سلّمناه، فما بقيَ في جبهة الخائن الغادر الناكث من القادة إلاّ الضباع.

ثمَّ فلتَعْلَم أنّ ألفَ قِتلةٍ حسينيّة أحبُّ لجنود الدولة الإسلامية من تَرْكِ شِبرٍ واحدٍ يُحكّمون فيهِ شرعَ اللّه.

ثمّ إنّ الحسَنَ والحُسين كلاهُما سيّدا شبابِ أهلِ الجنّة رضي اللّه تعالى عنهُما.

ثمّ لقد تركنا لكُم الساحاتِ في تونس ومصر وليبيا فأسلمتُموها عجزاً لصناديق الاقتراع.

أقلّوا عليهم لا أبا لأبيكُمُ - مِنَ اللومِ أو سُدّوا المكانَ الذي سَدّوا

هذا.. وننتظر ردَّكُم الحكيم الذي تُزيلونَ به اللَبْسَ الذي تسبّبَه خطابُكم الأخير، يعلمُ به الجميعُ موقفَكُم بوضوح.

وعُذراً عُذرا.. عُذراً أميرَ القاعدة..

فإنّ جنودَ جبهة الجولانيّ وجنودَ جبهة أبي خالدِ السوريّ باتوا يقولونَ بعدَ تصريحاتكُم الأخيرة: خَرَّفَ الشيخ! وعُذراً على هذا النقلِ الصريح، فإنّهُ من أوساطِهِم.

ويا أيّها المجاهدون:

إنّ خلاصةَ الأمر أنّ الخلافَ بين الدولة الإسلامية وبين قيادة

تنظيم القاعدة خلافٌ منهجيّ كما قالَ أميرُ التنظيم في لقائه الأخير مع مؤسسة السحاب، هذه هي القضيّة وليسَ بيعَةُ مَنْ لِمَنْ ومرجعيّة مَن لمَنْ، والتي أجهدَ أميرُ تنظيم القاعدة نفسَهُ لإثباتِها ولَم يُثبِتْها، ولَن يُثبِتَها.

وأنّهُ لمّا كانت الدولة الإسلامية جُزءاً من الجهاد العالميّ، وكان لا بدَّ للجهاد العالمي -تديُّناً- من رأسٍ يُديرُه، وكانَ قادةُ القاعدة رحمهم اللّه هُم رموز الجهاد في هذا العصر وأصحاب السّبقِ والفضل، تركَت لهُم الدولةُ قيادةَ الجهاد في العالم توقيراً واحتراماً وتقديراً وتبجيلاً وتكريماً وتشريفاً وتعزيراً، فلَم تتجاوز عليهم أوْ تخالفهم في سياسةٍ خارج مناطقها، وخاطبَتْهُم خطابَ القادةِ والأمراء.

وهُم أيضاً لَم يُلزِموها أمراً في شأنها الداخليّ، وإنّما كانَ قولُهُم رحمهُم اللّه: الشّاهدُ يرى ما لا يراهُ الغائِب.

حتّى جعلَ الدكتور الظواهريُّ اليومَ ومَن معهُ من المتنفّذين الدولةَ فرعاً لقاعدتهم، وأرادوها على منهجهم الذي ظلّ مدفوناً مكبوتاً داخل القاعدة، ولَم يظهر إلاّ بعدَ تولّي الظواهري وخلوّ الساحة للأمريكيّ.

فلمّا أبَت الدولةُ ذلكَ المنهج الذي طالبَنا الظواهريَّ بتغييره، شَنّوا عليها حرباً، ولم يجدوا ذريعةً وغطاءً لتلك الحرب إلاّ تُهمةَ الخوارج التي يُقاتِلُنا بها علماء الطواغيت والسلاطين.

وعليه:

نُطالِبُ جميعَ أفرع القاعدة في كلّ الأقاليم ببيانٍ رسميٍّ وموقفٍ واضحٍ وصريحٍ:

ما هوَ اعتقادكُم في منهج الدولة الإسلامية؟ وما هو حكمكُم عليها؟

هل هيَ من الخوارج الحروريّة، بل أشَرّ! تُنافقُ الناسَ وتستخدم التقيّة وتُقاتل لأجل الحُكم والمناصِب، وحالُها مع قادة الجهاد كحالِ ابنِ مُلجِمْ؟ وأنَّ منهجَها ظلاميٌّ واجبٌ على المسلمين حربُهُ واستئصالُهُ منَ الشّام؟

بياناً تُكتَبُ فيهِ شهادتكُم وتُسألونَ عنهُ في موقفكُم بينَ يدَي اللّه.

واعلَموا أنَّ صَمتَكُم كلام..

﴿ وَقِفُوهُمْ إِنَّهُم مَّسْـُٔولُونَ ﴾

﴿سَتُكْتَبُ شَهَٰدَتُهُمْ وَيُسْـَٔلُونَ﴾

لو وَسِعَنا السكوت لسكَتنا.. لو وَسِعَنا التلطُّفُ لَتَلَطّفْنا.. لو وَسِعَنا اللِّيْنُ لألَنّا.

فلا يلومَنّنا أحد، فإنّما نحنُ مُدافِعون وأصحابَ حقّ.

ولا يقولَنّ أحدٌ إنّنا نُظهِرُ في الإعلام ما يجبُ ألاّ يظهر.. فلم نُظهِر شيئاً إلاّ رَدّاً ودفاعاً لا بُدّ منه على ما يُظهِرُ غيرُنا.

نَعُمُّ أُنَاسَنَا وَنَعِفُّ عَنْهُمْ　　وَنَحْمِلُ عَنْهُمُ مَا حَمَّلُوْنَا
نُطَاعِنُ مَا تَرَاخَى النَّاسُ عَنَّا　　وَنَضْرِبُ بِالسّيُوْفِ إِذَا غُشِيْنَا
بِسُمْرٍ مِنْ قَنَا الخَطِّيِّ لُدْنٍ　　ذَوَابِلَ أَوْ بِبِيْضٍ يَخْتَلِيْنَا
كَأَنَّ جَمَاجِمَ الأَبْطَالِ فِيْهَا　　وُسُوْقٌ بِالأَمَاعِزِ يَرْتَمِيْنَا
نَشُقُّ بِهَا رُؤُوْسَ القَوْمِ شَقًّا　　وَنَخْتَلِبُ الرِّقَابَ فَتَخْتَلِيْنَا
وَرِثْنَا المَجْدَ قَدْ عَلِمَتْ مَعَدٌّ　　نُطَاعِنُ دُوْنَهُ حَتَّى يَبِيْنَا
بِشُبَّانٍ يَرَوْنَ القَتْلَ مَجْداً　　وَشِيْبٍ فِي الحُرُوْبِ مُجَرَّبِيْنَا
حُدَيَّا النَّاسِ كُلِّهِمُ جَمِيْعاً　　مُقَارَعَةً بَنِيْهِمْ عَنْ بَنِيْنَا
أَلاَ لاَ يَعْلَمُ الأَقْوَامُ أَنَّا　　تَضَعْضَعْنَا وَأَنَّا قَدْ وَنِيْنَا

اللهمّ يا مَن تعلمُ المُفسِدَ من المُصلح، و الطالح منَ الصالحَ، عليكَ بالمنافقين والخائنين والغادرين، افضحهم على رؤوس الأشهاد وأرِنا فيهم العجائب.

اللهم احفظ عبادَك المجاهدين في كلّ مكان، اللهم مَكِّن لهم، اللهم انصرهُم نصراً مؤزّراً وافتح لهُم فتحاً مُبينا، اللهمّ فكّ أسراهم، وداوِ جرحاهم، وعافِ مُبتَلاهم، وتقبَّل قتلاهُم.

والحمد للّه ربّ العالمين.

(نشرت الكلمة في شهر ايار مايو ٢٠١٤)

الفصل الرابع

الدولة الإسلامية في العراق والشام (داعش) من تنظيم القاعدة الى إعلان الخلافة

أولا: التأسيس

في اوخر التسعينات قام أحمد فاضل نزال الخلايلة، أو أبو مصعب الزرقاوي، بتشكيل جماعة التوحيد والجهاد في العراق؛ لكنه، وبعد خلافات مع قيادة تنظيم القاعدة المتمثلة باسامة بن لادن، عاد الزرقاوي وبايع ابن لادن. ففي بيان مؤرخ في الـ١٧ من أكتوبر/تشرين الأول ٢٠٠٤، وبتوقيع أبو ميسرة العراقي، اعلن البيان مبايعة الزرقاوي لابن لادن على السمع والطاعة، ليتغير بعدها اسم التنظيم من «جماعة التوحيد والجهاد» الى «قاعدة الجهاد في بلاد الرافدين».

وفي ١٥ كانون الثاني يناير ٢٠٠٦، خرج الزرقاوي على الملأ في شريط مصور، معلنا عن تشكيل مجلس شورى المجاهدين بزعامة عبد اللّه رشيد البغدادي، والذي تألف من:

- تنظيم قاعدة الجهاد في بلاد الرافدين.
- جيش الطائفة المنصورة.
- سرايا أنْصار التّوحيد.
- سرايا الجهاد الإسلامي.

- سرايا الغرباء.
- كتائب الأهوال.
- جيش أهل السنة والجماعة (اسسه ابو بكر البغدادي) والتحق هذا التنظيم بالمجلس بعد نشوئه.

وبعد اشهر من تشكيل مجلس شورى المجاهدين، وتحديدا في ٧ حزيران يونيو ٢٠٠٦ قُتل الزرقاوي في غارة اميركية. وبعد مقتله، وفي نفس الشهر جرى انتخاب ابي حمزة المهاجر زعيما للتنظيم (قاعدة الجهاد في بلاد الرافدين).

وفي منتصف تشرين أول أكتوبر عام ٢٠٠٦ صدر بيان من قبل أبي حمزة المهاجر، يفيد بحل مجلس شورى المجاهدين، لصالح الدولة الإسلامية في العراق، والتي أُعلن أنها بذرة لإعادة تأسيس الخلافة الإسلامية. جاء الاعلان إثر اجتماع مجموعة من الفصائل المسلحة، حيث بدأت تكوين الدولة الإسلامية في العراق وتم اختيار «أبو عمر البغدادي» زعيما له.

وفي يوم الاثنين الموافق ١٩/ ٤/ ٢٠١٠ شنت القوات الامريكية والعراقية عملية عسكرية في منطقة الثرثار، استهدفت منزلا كان فيه ابو عمر البغدادي وابو حمزة المهاجر، وأودت العملية الى مقتلهما. وبعد حوالي عشرة ايام، انعقد مجلس شورى «الدولة الاسلامية في العراق» واختار «إبراهيم عواد إبراهيم» (ابو بكر البغداداي) خليفة له.

وبعد بدء الأحداث في سوريا، شكل البغدادي لجنة ارسلها الى

سوريا لدراسة الاوضاع هناك، وامكانية تشكيل فصيل يعمل على الساحة السورية، وكان من ضمن هذه اللجنة كلا من «ابو محمد الجولاني» و«حجي بكر». وبعد دراسة الوضع، تم تشكيل جبهة النصرة لأهل الشام أواخر سنة ٢٠١١، وعُين ابو محمد الجولاني اميرا عليها.

وفي ٩-٤-٢٠١٣، مع كلمة صوتية بثتها قناة الجزيرة، وبُثت عن طريق شبكة شموخ الإسلام، أعلن خلالها أبو بكر البغدادي، حل جبهة النصرة ودمجها مع الدولة الإسلامية في العراق تحت مسمى جديد، اطلق عليه اسم «الدولة الإسلامية في العراق والشام» (داعش). الا ان الجولاني رفض هذا الدمج، واعلن مبايعته لزعيم تنظيم القاعدة ايمن الظواهري من خلال تسجيل صوتي، وطلب التحكيم منه؛ حيث حكم الظواهري ببقاء الجبهة وضرورة انكفاء «داعش» الى العراق، وحصر نشاطها فيه. ومن هنا ظهرت الخلافات بين «داعش» والقاعدة على خلفية النفوذ، خلافات ما لبثت ان تحولت الى اقتتال عسكري، وحملات تكفير، وحكم بالانحراف والضلال بين الطرفين.

وفي ٢٩-٦-٢٠١٤ اعلن الناطق باسم «داعش» ابو محمد العدناني الغاء كلمتي العراق والشام من اسم التنظيم، وتحويله فقط الى «الدولة الاسلامية»؛ ليعلن بهذا قيام ما سموه «الخلافة الاسلامية»، وتنصيب زعيم التنظيم ابي بكر البغدادي «خليفة» عليها؛ ليصبح البغدادي مع هذا الاعلان «اميرا للمؤمنين» في كتابات وادبيات التنظيم.

ثانياً: أهداف التنظيم

كان الهدف المعلن للتنظيم في بداية الامر هو محاربة القوات الأمريكية، في محاولة لكسب التعاطف والدعم الشعبي، لكنهم سرعان ما انقلبوا واصبحوا يستهدفون بشكل اساسي جميع أجهزة الامن العراقية، والمدنيين من الشيعة واليزيديين والمسيحيين، وجميع الاطراف التي لا توافقهم طروحاتهم. ثم صرح التنظيم ان هدفه هو أقامة الخلافة الاسلامية انطلاقا من العراق. وكان السفير الامريكي في العراق كريستوفر هيل، قد اتهم المملكة العربية السعودية بتمويل تنظيم القاعدة في العراق بهدف زعزعة البلاد لاسباب طائفية.

ثالثا: داعش: نقاط القوة والضعف والاستفادة من التناقضات

لقد كان واضحا ومنذ البداية، ان داعش تسعى لتكون بديلا عن تنظيم القاعدة، مستفيدة من عوامل عدة استطاعت اللعب عليها لتحقيق بعض الانجازات، والوصول الى ما وصلت اليه. واهم هذه العوامل هي:

١- الانشقاقات الشعبية التي تجتاح المنطقة، انشقاقات لا تغيب الانظمة العربية عنها كمسبب رئيس، جراء المنظومة المهترئة الحاكمة منذ اكثر من نصف قرن من الزمن، دون اهمال ما اقترفته يد الغرب في التحريض المذهبي والطائفي، المدعوم بميزانيات مالية ضخمة، وجحافل اعلامية.

٢- الدوافع الكامنة داخل المجتمعات لاجراء تغييرات جوهرية وبنيوية في الانظمة الحاكمة، بعد فشل «الربيع العربي» في احداث تغيير، ولجوء الانظمة، المدعومة غربيا، الى احداث تغييرات ما لبثت ان ظهرت انها تغييرات شكلية.

٣- حالة التشتت التي تعيشها الجماعات «الجهادية» بعد اغتيال اسامة بن لادن في ايار عام ٢٠١١، وحالة الوهن واللامركزية التي بانت بعد استلام ايمن الظاهري لقيادة تنظيم القاعدة، ما افقد التنظيم «الوهج» الذي كان عليه تحت قيادة ابن لادن، واشعر عناصر التنظيم بفراغ «استراتيج» على مستوى الاهداف الموضوعة، والخطط العملاتية، وتطوير اساليب العمل، وغياب الرؤية الواضحة لافاق العمل «الجهادي».

٤- التراجع الذي تشهده القوى العالمية في المنطقة، لا سيما الانسحابات الاميركية من المنطقة.

٥- الخطاب المذهبي المشتعل، والذي ساهمت فيه داعش نفسها، والعمل على تصعيد الخطاب، لا سيما ما يطلقون عليه اسم «مظلومية اهل السنة»، لشد عصب السنة واستقطابهم، كمشروع مقابل المشروع الايراني (الشيعي الصفوي)، حسب ادبياتهم، الذي يريد ابتلاع المنطقة، وتشييع القدر الممكن من اهلها.

استطاعت داعش الاستفادة من هذه العناصر، لا سيما في

المناطق التي تشهد اضطرابات، وخروج بعض المناطق عن السيطرة المركزية، لبسط نفوذها تارة، وتشكيل خلايا تارة اخرى، او توتير الاجواء وشحنها ثالثة.

رابعاً: داعش في سوريا: قراءة في التجربة واساليب العمل

لم يدخل داعش الساحة السورية الا بعد اكثر من سنة على بدء الازمة، وهو لم يدخل مناطق ويحتلها من خلال معركة خاضها، بل دخل مناطق اما كانت تسيطر عليها المعارضة المسلحة، من خلال الاتصال بها واقناعها او دفعها لمبايعته، كما حصل مع جبهة النصرة في الحسكة والبوكمال، حيث يركز على عامل الانشقاقات من داخل الاطراف الاخرى، اما بواسطة التهديد او بواسطة الاغراءات المالية، او من خلال شراء الضباط وزعماء العشائر لتسليمه هذه المناطق دون قتال، وهذا ما حصل بالضبط في مدينة الرقة السورية. ونظرا لاهمية الموضوع ستورد تفاصيل وقوع الرقة تحت سيطرة داعش، لاننا سنرى ان ما حصل في الموصل العراقي هو نسخة مكررة عن الرقة السورية. فكيق سقطت الرقة؟

بدات القصة مع محمد فيصل الهويدي، الذي هو من وجهاء الرقة وزعيم عشيرة «العفادلة» هناك، اما اخوه فيدعى بشير فيصل الهويدي.

لمحمد فيصل هذا صلات قوية المملكة بالسعودية، من خلال اخواله البدو الذين يعملون هناك، وهم على صلة قوية بالحكومة

السعودية من خلال احدى اخواته التي تدعى «خطر» وهي متزوجة من احد مستشار الملك السعودي عبد اللّه.

من جهة اخرى، شبك آل الهويدي علاقة قوية مع رئيس فرع امن الدولة في الرقة العميد «خالد الحلبي»، والذي تم الاتفاق معه بان يقوم العميد الحلبي بسحب حاجز «المشلب»، على مدخل الرقة الشرقي، وحاجز «السباهية» على مدخل الرقة الغربي، وهما نقطتان يتبعان لفرع امن الدولة.

وفجر يوم سقوط الرقة، وبأمر من خالد الحلبي، تم سحب الحاجزين واخلائهما من عناصرهما، بعد ان وجهت الاوامر لهم بتغيير ملابسهم العسكرية، وترك السلاح والمغادرة.

وهذا ما حصل، ففتحت الطريق لداخل مدينة الرقة، ما ادى لوقوع باقي الفروع والحواجز بين مطرقتي المواجهة من الداخل ومن الخارج، لا سيما وان محمد الفيصل الهويدي واخوه بشير، كانا قد قاما في وقت سابق، بتسليح عدد كبير من شباب «العفادلة».

ان جميع المعطيات المتوافرة من العراق ومن الموصل تحديدا، تفيد ان ما حصل هناك عبارة عن نسخة طبق الاصل عما حصل في الرقة.

وبالمحصلة، يبدو ان داعش يستفيد ويجيد اللعب على الاوتار العشارية، ومحاولة اختراقها وشرائها، لتنفيذ توسعاته بأقل كلفة قتالية ممكنة.

على ان احد عناصر قوة التنظيم، وهو يخالف بذلك اساليب عمل تنظيم القاعدة، ان القاعدة لا تبني تحالفات مصلحية، وهي بذلك تبدو اكثر صرامة في اختيار حلفائها، على عكس «داعش» التي تعمل وفق ديناميكيات وتحالفات مصلحية، وفق رؤى مشتركة لبعض الاهداف. وقد ظهرت هذا التحالفات في الساحة العراقي بشكل بارز، مع بقايا نظام صدام حسين، وبعض العشائر التي لها مصالح اقتصادية وانفصالية داخل العراق.

الا ان ما يعيب التنظيم انه ينقلب بسرعة على حلفائه؛ لانه يسعى وفور امساكه بالارض، لفرض رؤيته وقوانينه الخاصة، معتمدا بشكل كبير على العنف والقوة لتثبيت هيبته، وفرض سلطته ونفوذه.

من هنا، فان الدخول على خط الخلافات يبدو سهل المنال الى حد ما، اذا عرفنا كيف ندير ونُشعل هذه الخلافات.

وعلى اي حال، فان الملاحظ ان التنظيم ركز عمله في سوريا على المناطق الحدودية مع العراق اولا، وخاصة المناطق الغنية بالنفط، وتجنب، في البداية الاحتكاك مع المناطق التي يسيطر عليها الجيش السوري، وذلك لاسباب عدة اهمها:

١- انها مناطق بعيدة عن المدن الاساسية الكبرى التي لا يمكن للجيش السوري الا القتال فيها وبقوة، لانها معيار بقاء النظام وعدمه؛ ولذلك فضل الابتعاد الى حد ما عن المدن الرئيسية كدمشق وحمص وحماه، وحتى حلب لم يدخلها الا في وقت لاحق، وركز عمله على ريف حلب مفضلا العمل في

الرقة وارياف دير الزور والحسكة، اما المدن الاخرى فدخلها متأخرا، وعبر مجمعومات معارضة، اخرى كانت هي البادئة في السيطرة على هذه المناطق، وهذا يجنب التنظيم معارك قاسية مع الجيش السوري يمكن ان تكون مكلفة له.

٢- ان المناطق المفضلى لدية هي المناطق الحدودية المتاخمة للحدود مع العراق حيث مركزه الرئيس.

٣- اختيار المناطق الغنية بالموارد سواء النفطية منها او المائية، او وجود رؤوس اموال، حيث يمكن فرض الخوات عليهم، لتأمين مصادر مالية للتنظيم.

وعلى اي حال، فالملاحظ في العمل العسكري الداعشي، انه يعتمد على العمليات الانتحارية في الميدان اكثر من المواجهات العسكرية، وهو غالبا يلجأ لهذه العمليات، كتمهيد لاي هجوم عسكري على نقاط تفتيش، او ثكنات او مراكز عسكرية.

خامساً: داعش والاعلام

يولي داعش أهمية للترويج والعمل الاعلامي، والذي اصبح لا يقل شأناً عن العمل العسكري. وقيل ان الذي يدير هذه الشبكة هو أحمد أبو سمرة الأمريكي، من أصل سوري[1].

---

(١) هذا ما ذكرته صحيفة الديلي ميل البريطانية. علما ان اسم احمد ابو سمرة كان موجودا على لائحة الاف.بي.آي للمطلوبين كارهابيين، الا ان اللافت قيام بعض الاجهزة الاميركية بحذف صورته عن لوائحها كالرابط التالي: =

والواقع ان من يتابع هذا التنظيم، سيجد أنه يدير عمليات، استطاع من خلالها حسم معاركه وتمدد نفوذه، من خلال استخدام واستغلال الوسائل والوسائط الإعلامية، وفي مختلف مجالاتها. صحيح ان التنظيمات الارهابية حول العالم، بشكل عام، تستخدم وتستعين بما يسمى «السوشيل ميديا»، وهي لا ترى اصلا وسيلة أخرى تستطيع استخدمها لهذا الهدف، بسبب عدم قدرتها على امتلاك وسائل اعلامية تحتاج الى بنى تحتية من أبنية ومقار ومراكز علنية، بعكس استخدام وسائل التواصل الاجتماعي، التي لا تحتاج الا الى افراد يمكن ان يعملوا من منازلهم وغرفهم الخاصة.

إلا أنّ نشاط داعش كان مفاجئاً، نسبة لتلك القدرة التي أظهرها باستغلال المواقع الاجتماعية. ليس فقط في نشر آيديولوجيته،

= http://www.rewardsforjustice.net/english/most-wanted/all-regions.html

علما ان اسم ابو سمرة كان موجودا في الرباط الثاني المذكور انفا ضمن لائحة جائزة الخمسة ملايين دولار.

على اي حال فقد قالت الصحيفة البريطانية أن «أبو سمرة يبلغ من العمر ٣٢ عاما وولد بفرنسا ونشأ بضاحية بوسطن وتلقى تعليمه في كلية أمريكية حيث برع باستخدام التكنولوجيا الحديثة وعمل بشركة مختصة في هذا الشأن»، مشيرة الى أن «احترافيته في مجال الكمبيوتر والتواصل الاجتماعي دفعت تنظيم داعش إلى تجنيده من أجل التواصل مع مواطنين أمريكيين وبريطانيين وكنديين عبر مواقع التواصل الاجتماعي من أجل ضمهم إلى التنظيم الإرهابي». راجع: http://www.dailymail.co.uk/news/article-2743737/The-American-computer-wiz-running-ISIS-brutally-effective-social-media-campaign-College-educated-son-Boston-doctor-FBI-Most-Wanted-list.html.

ويمكن مراجعة الرابط التالي حول وجوده على لائحة الاف.بي.اي: http://www.fbi.gov/wanted/wanted_terrorists/ahmad-abousamra/view

بل في التجنيد والتمويل والتواصل وجمع المعلومات وضخها، وبث الشائعات وتوجيه الرسائل الدموية وما الى ذلك.

في الماضي كانت المنظمات الارهابية تنقل الرسائل الى شبكات التلفزة، وتستعملها كوسيلة حصرية تقريبا لاشاعة الرعب، وقد لوحظ ذلك في الرسالة التي كتبها الاميركي «آدم غدان» المتحدث الرسمي لتنظيم القاعدة. ففي رسالة كشف عنها مركز محاربة الارهاب التابع لاكاديمية «ويست بوينت الاميركية»، ضمن ما سمي وثائق ابوت اباد (الوثائق التي وجت في منزل بن لادن في ابوت اباد بعد اغتياله)، تحدث «غدان» عن محطات التلفزة التي ينبغي ايصال الرسائل اليها، وفق تقييم غدان لمهنية هذه المحطات[1].

اما اليوم فتصل داعش، بمساعدة وسائل الاعلام الجديدة، الى جمهورها مباشرة دون تعليق ورقابة، ودون شروط تضعها تلك المحطات، لنشر هذه الافلام او الرسائل[2].

وعلى أي حال فقد أظهر داعش تطوراً هائلا، في هذا المجال، فهو إعتنى بنقل تفاصيل أخباره، صوتاً وصورة أولاً بأول، عن طريق مواقع «يوتيوب» و«فيسبوك» و«تويتر» وأيضاً «آنستغرام» و«تمبلر»،

---

(١) وثائق ابوت أباد، الويقة رقم .SOCOM-2012-0000004

(٢) ففي نفس رسالة آدم غدان الاتفة الذكر والتي كان يتحدث فيها عن الاسلوب الامثل لمادة اعلامية، منها كلمة لاسامة بن لادن في الذكرى العاشرة لهجمات الحادي عشر من ايلول قال: «فقناة الجزيرة اليوم على ما يبدو تشترط ما تشترط غيرها من القنوات والوكالات والصحف لتغطية بيان للقاعدة، على تهديد او توعد او تبني لعملية ما، واما الرسائل ذات اللهجة الدبلوماسية مثل كلمتي الشيخ(ابن لادن) عن الفياضانات فلا تصلح للنشر عندهم، لان ذلك وجه للقاعدة لا ينبغي اظهاره للناس». راجع: المصدر السابق.

التي تسهم بشكل كبير في صناعة بروباغندا له، وتضخيم حجم سيطرته ونفوذه، وبث الرعب والخوف في نفوس خصومه.

يدرك داعش تماماً، الدور الذي تلعبه وسائل التواصل الاجتماعية في جعل تنظيمه عابراً للحدود، وفي الاستفادة من هذه الوسائل في صناعة شعبية افتراضية تفوق الواقع.

فعلى سبيل المثال، نجد ان داعش ما إن يطأ أرضاً، حتى يبادر بشكل منظم وسريع في تغذية المواقع بأخباره صوتاً وصورة، فمن بين سبعة حسابات فتحها التنظيم في محافظات صلاح الدين وديالي والأنبار ونينوى في العراق، أغلق خمس منها، كما تم غلق الحساب الرسمي للتنظيم على «فيسبوك»، غير أنّ حسابات جديدة سرعان ما ظهرت لتحلّ مكان الحسابات التي اقفلت. بل نجد مؤخراً ان التنظيم أصبح ينشر عناوين حسابات جديدة مسبقا على موقعه التي يحتمل انها قد تقفل.

ان ما يثير «الاعجاب» هي تلك المجموعات البشرية الكبيرة التي تعمل للتنظيم، كحسابات خاصة، من الواضح انها غير مدفوعة الاجر، ويعملون من منطلق شخصي، وبدافع من ما يعتبرون انه دفاع عن عقيدتهم.

ومن هذا المنظار، يُعتبر داعش من أكثر التنظيمات «الجهادية» اهتماماً بشبكة الإنترنت والمسألة الإعلامية؛ فقد أدرك مبكرا الأهمية الاستثنائية للوسائط الاتصالية في إيصال رسالته السياسية، ونشر أيديولوجيته، فأصبح مفهوم «الجهاد الإلكترون» أحد الأركان

الرئيسية، في فترة مبكرة منذ تأسيس جماعة «التوحيد والجهاد»، ثم «القاعدة في بلاد الرافدين».

شهدت الهيئة الإعلامية لداعش تطورًا كبيرًا في الشكل والمحتوى، وتتمتع بدعم وإسناد كبيرين، وتعتبر مؤسسة «الفرقان» الإعلامية الأقدم والأهم، وقد ظهرت مؤخرًا مؤسسات إعلامية عديدة تتبع التنظيم، مثل: مؤسسة «الاعتصام» ومركز «الحياة»، ومجموعة من الوكالات التي تتبع الولايات والمناطق التي تسيطر عليها، كوكالة أنباء «أعماق» التابعة لولاية الخير (دير الزور) ووكالة حق وغيرها. كما صدر عدد من المجلات بالعربية والإنجليزية أمثال: «دابق» و«الشامخة»، وأنشأت الهيئة إذاعات محلية، مثل: وإذاعة «البيان» في مدينة الموصل في العراق، وإذاعة «هنا الرقة» في مدينة الرقة السورية.

إلى جانب وسائلها الإعلامية، تستفيد داعش من التغطية المنحازة لبعض الفضائيات العربية المدعومة بمال النفط، والتي دأبت على بث الكراهية، فتساهم في توفير الأرضية اللازمة لانتعاش ظواهر التعصب والتطرف.

استخدمت داعش الحرب النفسية إلى جانب حضورها في ميدان المعركة في سوريا والعراق. تُولي داعش هذا النوع من الحرب أهمية قصوى، لا تقل عن العمل الميداني، وقد نجحت باستخدام وسائل الميديا الحديثة، والاستفادة من قدراتها في مجالات شتى. وتسعى من خلال بث الأفلام القصيرة المروجة لأفكارها إلى استقطاب حديثي السن.

تركز داعش من خلال البروباغاندا الصادمة، على إبراز عناصر قوتها بطريقة وحشية وهمجية تستفز المشاعر، عبر مشاهد الإعدامات الجماعية لجنود أسرى راكعين على حافة خندق طويل سرعان ما يتحول إلى مدفنهم. كما جرى في قاعدة سبايكر الجوية العراقية، وفي مقر الفرقة ١٧ السورية وغيرها، ثم تطورت من صور اجرامها، الى حرق الرجل حيا، ثم ربط مجموعة من الاشخاص بسلسلة، وهو يطوق اعناقهم بمتفجرات ما تلبث ان تنفجر مطيحة برؤوسهم.

يعشق داعش، من خلال هذا النوع من الاعلام الدموي، البقاء في صدارة الوسائل الاعلامية، فان ذلك، بنظره، يساعده على مزاحمة خصومة، في تحشيد القوة واستقطاب العناصر.

ويسعى التنظيم من خلال بث الفيديوهات ذات الجودة العالية، من خلال استخدام الإمكانيات المتقدمة، أن يتباهى بقساوته ووحشيته أمام مخاطبيه.

وفيما يتعلق بمواقع التواصل الاجتماعي، فيعتمد التنظيم على مئات المتطوعين المتحمسين لنشر افكاره «وبطولاته»، عبر الاف التغريدات ونشر روابط تسجيلات صوتية، واناشيد وافلام قصيرة. إن عنصر اغراق وسائل التواصل الاجتماعي بمئات الاخبار هو وسيلة فضلى لدى التنظيم، ما يجعله يتصدر المشهد دون امكانيات مالية كبرى. وما يساعده على النجاح في هذا الامر، هو التعطش الواضح للاطراف الاخرى بمتابعة اخباره.

فقد أدّى حضور رعايا البلدان المختلفة في هذا التنظيم، والأخبار المنتشرة عنه، إلى متابعة أخباره والعناية بالحوادث والإجراءات المتخذة من قبله، وتصدره في عناوين الأخبار المنتشرة في وسائل الإعلام المختلفة. تحظى الحرب الإعلامية والدعائية بأهمية بالغة لا تقل عن العمل الميداني لهذا التنظيم، وقد أدّت هذه الاستراتيجية للقول بان الإعلام هو «الملعب الرئيسي لداعش».

بغض النظر عن مدى ارتباط داعش ببعض المؤسسات الاعلامية، الا ان ما يبدو ظاهرا ان التنظيم يدرك تماما سعي الاعلام لتحقيق السبق الصحفي، لذلك قام بالاستفادة من بعض الوسائل الاعلامية، عبر تزويدها بتسجيلات صوتية او «فيديو» لبعض عملياته او تصريحاته ومواقفه، لا سيما بعض الوسائل التي تملك عددا كبيرا من المشاهدين، وكان اختياره للوسيلة الاعلامية، مرتبطا بطبيعة النشاط الذي يريد تسويقه، او ما يتعلق بالمنطقة المستهدفة. من هنا نراه يزود العربية والجزيرة بالمادة الاعلامية، اذا كان الهدف يتعلق بالمنطقة ككل، لكنه يفضل مؤسسات اخرى محلية، تبعا للساحة التي تتعلق بها المادة. وهو استطاع من خلال هذا الاسلوب، ان يصعد اعلاميا بشكل كبير، على اكتاف هذه المؤسسات، دون ان ننسى ان التنظيم يعرف طبيعة تقاطع المصالح بينه وبين هذه الوسائل الاعلامية، لا سيما ما يتعلق منها بالساحة السورية تحديدا.

ورغم ذلك، فانه لا ينبغي اغفال ان داعش تنظيم ناشط اعلاميا، ولا يتقتصر عمله على الاستفادة من المؤسسات الاعلامية القائمة،

بل يملك مجموعة كبيرة من المواقع الالكترونية والمنتديات والحسابات على مواقع التواصل الاجتماعي.

وبشكل عام يبدو، عناصره ومؤيدوه يملكون المئات من الحسابات النشطة، التي لا تعمل الا للتسويق للتنظيم وبياناته ودروسة العقيدية، وفتاواه وبياناته وخطب قياديه الصوتية. اضافة الى انهم نشطون على مواقع الغير، عبر الدخول اليها ونشر افكارهم وبياناتهم ورسائلهم.

وعلى اي حال، فاننا نادرا ما نجد تنظيما يعمل بشكل حثيث على نشر صور اساليبه الفظيعة، في القتل والتمثيل بالجثث كما يفعل داعش. وبالعادة ان التنظيمات تحرص على اخفاء هذا النوع من الصور، حرصا منها على تقديم نفسها بصورة مقبولة عند الآخر.

الا ان داعش تعمل على تسويق هذه الصور، ورغم انها تعرف ان هذه الصور قد تشوه السمعة، وهي بالفعل اثارت انتقادات واسعة عند «الجهاديين» من تنظيم القاعدة، الا انها ترى ان نفعها اكبر من ضررها وذلك لاسباب عدة اهمها:

١- انها لا تهتم بالراي العام، وهي اصلا ترى ان ما عداها: اما مشرك، واما كافر (اصيل) او كافر (مرتد) او ضال، او صاحب بدعة، او منحرف، وجميعهم يستحقون القتل عنده، وتاليا من غير المهم طبيعة الصورة التي ستتكون عن التنظيم.

٢- ان «الجهاد» يستلزم الشدة والغلظة، وان من اسباب النصر هو

النصر بالرعب، وهذا امر يتحقق عبر هذا النوع من التصوير والاعلام.

٣- ان ما تفعله من وجهة نظرها هو اقامة «حكم اللّه»، ولا حياء باظهار هذه الاحكام.

٤- انها قليلة العدد مقارنة «باعدائها»، وان هذه الاساليب لزرع الرعب يمكن ان تعوض هذا النقص، وبالتالي يعتبر ذلك جزءاً من الحرب النفسية ضد اعدائها.

٥- ان هذه الانواع من القتل والتصوير، يساهم نفسيا في زيادة قسوة قلوب عناصره، ما يساهم في جعل شخصيتهم اشد في ساحات القتال.

على ان داعش لم يكتفِ باستخدام مواقع التواصل الاجتماعي، بل قام باقتحام عالم تطبيقات الهواتف الذكية، وهنا برز تطبيق «فجر البشائر» باللغة العربية على موقع «تويتر»، حيث تمّ تسويقه على أنّه منتج داعش الرسمي.

أتاح هذا التطبيق لمستخدميه بالاطلاع على آخر أخبار التنظيم من خلال الاشتراك بالإنترنت أو على هواتف أندرويد من خلال تحميله من متجر غوغل.

وقد لوحظ ان التطبيق ومنذ اللحظة الاولى لتنزيله يبدأ بنشر تغريدات على صفحة المستخدم الشخصية بشكل آلي، تشتمل على روابط و«هاشتاغ» وصوراً وفيديوهات.

مجلة «ذا أتلانتيك» الأميركية أشارت إلى أن نشاط التطبيق في نشر التغريدات بلغ حجماً قياسياً خلال هجمات داعش في العراق حيث بلغت حدود ٤٠ ألف تغريدة في اليوم الواحد.

وفي أثناء الحرب الاعلامية والنفسية التي شنها داعش على بغداد، والتهديد بالتوجه اليها، كان الحجم الكبير لهذا الضخ قد انتج ان أي عملية بحث عن كلمة بغداد على موقع «تويتر» سيُنتج ظهور صورة مقاتل لداعش مع شعار «قادمون يا بغداد». وقد تم لاحقاً إزالة التطبيق من متجر غوغل للتطبيقات لمخالفته الأنظمة، لكن داعش وعد في حساباته على «تويتر» بالعودة من جديد.

الاهتمام بالصورة

تولي داعش أهمية قصوى للصورة، لذلك نرى انها تهتم بادق التفاصيل المتعلقة بها، او او المرفقة معها، كاالموسيقى والمؤثرات الصوتية التي ترافقها.

لم تعد الحال الآن كما كانت عليه عند انطلاق تنظيم القاعدة، عندما كانوا يصورون الافلام بآلات تصوير بسيطة في كهوف منسية في تورا بورا، بل إنهم نشروا عرضا «هوليووديا» حقيقيا سُمي «لهيب الحرب» وهو شريط يعرض بصورة سينمائية تهديدهم للغرب. وتضمن العمل إخراج مركب مع تأثيرات صوتية وغيرها من وسائل الاخراج، ومع لمسة فيها الكثير من الفهم لما يبحث المشاهد الغربي عن رؤيته.

وايضا يمكن ملاحظة تصويرهم لاعدام الصحفيين الاميركيين

والبريطاني، فالفيلم بنسخته الاصلية التي نشرته وسائل اعلام داعش حول قتل «جيمس فولي»، قد بدأ بكلمة للرئيس الاميركي باراك اوباما، تلاه موسيقى وعنوان الفيلم الذي اطلقوا عليه اسم «رسالة الى اميركا».

لن نقوم بتحليل هذه الافلام، لكننا سنكتفي بالصورة الخلفية لها، والتي كانت عبارة عن صحراء. فبغض النظر عن ان كانت الصورة الخلفية حقيقية، بمعنى ان عملية الاعدام تمت بالهواء الطلق، او كان مجرد لوحة خلفية، فان اختيار خلفية خارجية كان يهدف الى ايصال رسالة، ان هؤلاء غير مختبيئين، بل يتحركون ويصورون ويعدمون بالهواء الطلق.

كما ان معظم الصور التي ينشرها داعش، غالبا ما تكون مرفقة بتعليقات تمثل رسائل لاكثر من جهة، سواء للمؤيدين والانصار او للمخالفين والمعادين.

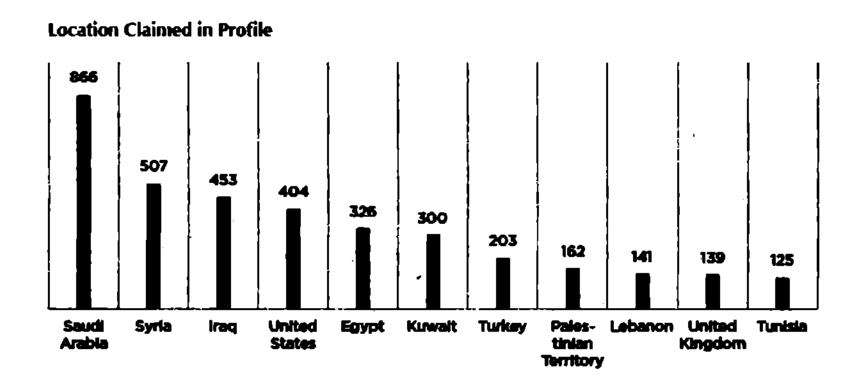
لكن اللافت في كل هذا النشاط الداعشي، على كثرته في الانترنت، لم نجد ان الغرب قام باعتقال عناصر تقف خلف هذه الشبكات وتديرها، رغم الامكانيات المتطورة التي يملكها الغرب في مراقبة وملاحقة واكتشاف الاماكن التي يتحركون منها. صحيح ان ثمة وسائل يعتمدها التقنيون للتهرب من اكتشاف اماكن تحركهم عبر التموية على (ip address)، الا انه من غير المتصور ان تكون هذه الشبكات الكبيرة التي تدير نشاط داعش، كلها تتمتع بمثل هذه الخبرات للتهرب من الانكشاف.

والخلاصة التي نريد قولها، ان داعش استطاع ان يستغل وسائل

التواصل الاجتماعي والشبكة العنكبوتية افضل استغلال، في توصيل صورته ونشر اهدافه، وتوجيه حملاته الاعلامية وحروبه النفسية.

داعش وتويتر:

في دراسة نشرها معهد بروكينغز[١] اظهرت ان المملكة العربية السعودية تقع على رأس القائمة من حيث عدد المغردين التي تنشر من اراضيها. وفيما يلي الجدول الذي نشره المعهد:



سادساً: داعش والخلافة

تعتبر الخلافة من النقاط المحورية في تفكير داعش، وجميع التنظيمات التي تحمل فكرا سلفيا. ومن هنا فان اقامة الخلافة يقع في صلب اهدافها واهتماماتها التي تعمل عليها.

وبغض النظر عن الجدال الحاصل بين منظري هذه الجماعات، فانه

(١) http://www.brookings.edu/~/media/research/files/papers/2015/03/isis-twitter-census-berger-morgan/isis_twitter_census_berger_morgan.pdf.

برزت منذ مدة ابحاث تحث «الجهاديين» على تأسيس منطقة تكون بمثابة نواة «للخلافة الاسلامية» يمكن العمل عليها مع الوقت لتوسيعها.

وقد كان ابرز ما كتب في هذا المجال هو ما اطلق عليه اسم «المذكرة الاستراتيجية» للمدعو عبد اللّه بن محمد عام ٢٠١١ واصدرتها «مؤسسة المأسدة الاعلامية» التابعة لتنظيم القاعدة.

تنطلق هذه الدراسة من نقطة محورية، وهي ان المنطقة مقبلة نحو الفوضى بعد انهيار العديد من الانظمة بسبب «الربيع العربي» وان النظام العالمي آيل للسقوط والتراجع. وهذا ما سوف يفتح ثغرة امام «الحركات الجهادية» للدخول منها لطرح فكرة «الخلافة الاسلامية» كحل وخيار بعد فشل الاطروحات الاخرى.

إن هذه الفوضى المنتظرة ستسمح بمساحة من «الحرية الاعلامية» التي ينبغي الاستفادة منها في التحشيد والتجييش والتعبئة. في هذه الاجواء يطرح الكاتب ضرورة بناء «دولة» في منطقة منتقاة تكون «نواة» لاعادة بناء «الخلافة الاسلامية».

ويحدد الكاتب المواصفات التي ينبغي توافرها في هذه «النواة»، كأن تكون حيوية، وتحظى بعامل جذب للشارع الاسلامي، وطبيعة جغرافية تساعد على العمل العسكري الدفاعي، وحيازتها على ثروات وموارد طبيعية مائية وغذائية. ويستحضر الكاتب التجربة الصهيونية في اختيار فلسطين ليشير الى ضرورة ان تكون «نواة» الخلافة قريبة من مناطق التأثر الديني.

قد لا تبدو «داعش» ملتزمة حرفيا بما ورد في هذه «المذكرة الاستراتيجية»، خاصة ان كاتبها شدد كثيرا على ان نواة الخلافة هذه ينبغي ان تقدم نموذج دولة يجذب عامة الناس اليها بسبب ممارستها الحضارية بعيدا عن النماذج التي قدمتها الانظمة العربية والتي ستكون احد عناصر اندفاع الناس نحو طرح الخلافة، بعد يأس الناس من النماذج الاخرى. الا ان داعش لا شك استفادت من افكار اخرى في هذه المذكرة. ويكفي النظر الى طبيعة المنطقة المختارة بين سوريا والعراق لنعرف انها تعتبر ان المواصفات المدونة في المذكرة متوافرة في هذه البقعة الجغرافية. ومن هنا تركز داعش على المناطق الجبيلية من جهة، والمكتظة سكانيا من جهة ثانية، والغنية بالموارد من جهة ثالثة، وذات طابع ديني من جهة رابعة (ربطا بالخلافة العباسية) وقربها من الاماكن الدينية في المملكة من جهة خامسة.

سابعاً: داعش والقدرات العسكرية

اثارت التسريبات الاميركية حول خطة الهجوم على الموصل استياءات كبيرة وواسعة داخل كل من الولايات المتحدة والعراق على حد سواء، الا أن اللافت هو الخلاف العراقي الاميركي على الخطة واحتياجاتها اللوجستية.

وفي الاصل يعود الاختلاف على الاحتياجات اللوجستية الى الاختلاف على تقدير عدد المقاتلين الذي تملكه داعش. ففي الوقت الذي تقدر وكالة الاستخبارات الاميركية ومحللوها، وفق

تقييم اواخر العام الماضي (٢٠١٤) ان العدد يتراوح بين ٢٠,٠٠٠ و ٣١,٠٠٠ يرى مدير المرصد السوري المعارض رامي عبد الرحمن ان لدى التنظيم اكثر من ٥٠,٠٠٠ مقاتل في سوريا وحدها، فيما تقدر رئاسة هيئة الاركان العامة الروسية ان العدد هو ٧٠,٠٠٠ من جنسيات مختلفة. ولعل اكبر التقديرات هي لهيئة الاركان في اقليم كردستان العراق والتي وصلت الى ٢٠٠,٠٠٠ الف مقاتل بحسب ما نقله باتريك كوكبيرن من صحيفة الاندبندنت.

والواقع ان التقدير كي يبدو منطقيا ومعقولا ينبغي في البداية ذكر محددين اساسيين هما: اولا ما المساحة الجغرافية التي يغطيها التنظيم في عمله وتاليا العدد السكاني الذي يقع في نطاقها، وثانيا ما المقصود من كلمة مقاتل؟.

في المحدد الاول فان مساحة العراق الاجمالية حوالي ٤٤٠,٠٠٠ كلم مربع يحتل داعش تقريبا ثلث المساحة اي حوالي ١٤٥,٠٠٠ كلم مربع. اما سوريا فمساحتها حوالي ١٨٥,٠٠٠ كلم مربع يعمل داعش ايضا على ثلث المساحة تقريبا اي حوالي ٦٠,٠٠٠ كلم مربع. وهذا يعني ان اجمالي المساحة التي يعمل عليها التنظيم هي حوالي ٢٠٥,٠٠٠ كلم مربع في العراق وسوريا. وبلحاظ عدد سكان هذه المناطق مع الاخذ بعين الاعتبار الذي نزحوا منها فان التقديرات تشير ان العدد المتواجد فيها هو تقريبا ٦,١٤٧,٠٠٠ نسمة (العراق حوالي ٣,٩٠٠,٠٠٠، وسوريا حوالي ٢,١٤٧,٠٠٠ نسمة).

من هنا ندخل الى المحدد الثاني لنسأل ما المقصود بالمقاتل؟ فان

كان المقصود به جميع الموظفين التابعين للتنظيم كالشرطة وهيئات الحسبة وحرس الحدود والاجهزة الامنية المختلفة، والاجهزة القضائية والرقابية وغيرها اضافة الى المقاتلين على الجبهات فان التقدير الاميركي بان العدد هو بين ٢٠,٠٠٠ و ٣١,٠٠٠ بعيدا جدا عن المنطق اذ لا يمكن ادارة مناطق بهذه المساحة تحتوي على هذا العدد من السكان بمجرد ٣٠,٠٠٠ عنصر لا سيما ان الجبهات مشتعلة على كامل هذه الحدود وتتعرض لهجمات مستمرة في محاولة لاسترجاعها.

التقديرات بين التجربة الافغانية واساليب عمل داعش

فعلى سبيل المثال فان منطقتي هلمند ونيمروز في افغانستان احتاجتا حوالي ٣٠,٠٠٠ جندي من الولايات المتحدة وبريطانيا والدانمارك لاخضاعهما مع ان عدد سكانهما يقدر بحوالي ١,٦٠٠,٠٠٠ (مليون وستماية الف)، علما ان هذه القوات كانت مدعومة من الجيش والشرطة الافغانية. دون ان نغفل عن ان القوات الغربية تملك من التكنولوجيا الحديثة ما يخلوها بمراقبة مناطف جبلية دون الحاجة الى عديد من الافراد وهذا امر غير متوافر لدى داعش.

ان مراقبة وتقييم اسلوب داعش وتركيزاته الهجومية تفضي الى ملاحظة التالي: ان التنظيم يعمد غالبا لمحاولة الوصول الى المدن الكبرى لاحتلاها، وهذا ما لاحظناه في العراق عند احتلاله لمحافظة نينوى حيث احتل سريعا مدينة الموصل وكذلك في مدينة تكريت

وغيرهما، وهو نفسه حاوله في منطقة عين العرب فبعد السقوط السريع للقرى هناك حاول الوصول الى المدينة واحتلالها. ويمكن فهم هذه الاستراتيجية بان التنظيم يعتبر ان الحفاظ على القرى القليلة العدد في الابنية والسكان نظرا لمساحاتها تحتاج الى عدد كبير من الافراد، فيما الحفاظ على المدينة المكتظة بالعمران والسكان يحتاج الى عدد اقل نظرا لطبيعة المعارك التي سيخوضها التنظيم داخل المدن الكبرى وهي ستكون حرب شوارع لا تحتاج الى عدد كبير كالذي تحتاجه المعارك في المناطق المفتوحة. بهذا المعنى تمثل المدن الكبيرة حصونا وخطوطا دفاعية للمناطق المفتوحة التي تقع خلفها. وبهذا نستطيع أن نفهم سبب الانهيار الواسع في صفوف داعش وقيام قوات الحماية الكردية باسترجاع عدد كبير من القرى التابعة لمدينة عين العرب ما ان تم استرجاع المدينة نفسها.

من هنا فان التقديرات الاميركية تبدو منخفضة جدا وموضع شك كبير مقارنة بالمساحات التي يحتلها التنظيم لا سيما العمرانية منها سواء لناحية مساحتها او عدد سكانها.

التقديرات الاقرب الى الصحة

واذا ما لحظنا التجنيد الذي فرضته داعش في الرقة ونينوى والانبار مقارنة مع عدد المقيمين في هذه المناطق فان رقم ٢٠٠,٠٠٠ يبدو رقما مقبولا ومنطقيا اذا كان يشمل جميع العاملين في التنظيم من قوى امنية ورقابية وقضائية وغير ذلك. وعليه فان رقم ٥٠,٠٠٠ هو ايضا رقما واقعيا اذا كان المقصود به القوات المقاتلة والمدربة

بشكل مقبول. ومع ملاحظة ان التنظيم يقوم بنقل قوات مقاتلة من منطقة الى اخرى حسب درجة اشتعالها واهميتها وفقا للحسابات الهجومية فيبدو ان التنظيم يملك قوة ضاربة تمثل الركيزة الاساسية في عمله الهجومي، واحيانا الدفاعي، يقوم بنقل هذه القوات من جبهة لاخرى، والظاهر ان هذه القوة يبلغ عديدها التقريبي حوالي ١٥,٠٠٠ مقاتل.

من هنا نستظهر ان العدد الذي زعمت القيادة المركزية الاميركية قد قتلته من داعش وهو ٦,٠٠٠ على فرض صحته فهو قطعا ليس من القوة الضاربة للتنظيم لانه يعادل تقريبا النصف، ولو صح هذه الرقم لاصبح التنظيم عاجزا عن اي مبادرة هجومية فاعلة، على أن ما يبدو انه عجز عند التنظيم بالقيام باختراقات هامة ميدانية يعود للتطويرات القتالية واللوجستية التي شهدتها القوات العراقية سواء الجيش منها او الحشد الشعبي او العشائر وليس للضعف الهجومي عند داعش.

والواقع ان اهمية التقديرات لعدد مقاتلي داعش تعود للاستعدادات التي تجري تمهيدا للمعارك الكبرى وتاليا للقوة المفترضة التي ينبغي تحضيرها، فاذا اخذنا التقديرات الاميركية على انها الاقرب، ومع ملاحظة مزاعمهم بان الغارات قتلت حوالي ٦,٠٠٠ مقاتل فهذا يعني ان داعش خسر اكثر من ٤٠ بالمئة من قواته، اما اذا إخذنا بالتقديرات التي ذكرناها وهي حوالي ١٠٠,٠٠٠ شخصا قادرين على حمل السلاح، منهم ٥٠,٠٠٠ مدربون تدريبا مقبولا، وفيهم

١٥,٠٠٠ قوة ضاربة، فان مقتل ٦,٠٠٠ ليس سوى نسبة صغيرة من الاجمالي العام.

وعلى أي حال، وبمعزل عن العدد الدقيق لعدد المقاتلين فان الذي ينبغي أخذه يعين الاعتبار وبشكل هام واولوي ان قوة داعش الرئيسية تقع في المدن الكبرى، وان اي انهيار في مدينة منها سيؤدي حتما الى انهيار كامل الريف التابع له بشكل سريع، ومن هنا تحديدا تأتي أهمية معركة الموصل.

ثامناً: داعش التعليم

من ناحية التعليم والمناهج الدراسية أصدر تنظيم «داعش» مناهج تعليمية جديدة، في المناطق التي تخضع لسيطرته لا سيما في مدينة دير الزور السورية، وذلك بعد تخريج دفعات من المعلمين الذين خضعوا للدورات «الشرعية».

ومن هذه النماذج، وفق ما يقول احد الاساتذة من دير الزور «وزع التنظيم الكتب في عدد من مدارس ريف دير الزور، حيث أمر التنظيم بتخصيص عدد من المدارس لإعادة افتتاحها وتدريس المناهج الجديدة فيها من قبل الكوادر التي يـ حددها بعد إجراء الدورات الشرعية للمدرسين والمدرسات».

فيما يقول ناشط آخر شارك في حملة «دير الزور تحت النار»، إن: «محتوى المناهج الجديدة يتماشى مع قوانين التنظيم وتشريعاته، مثلاً يركز التنظيم على تعليم الأطفال الجهاد ومعنى القتال، في

محاولة لزرع الفكر المتطرف في عقول أطفال المنطقة، وذلك عبر التأثير عليهم من خلال روايات وفتاوى وقصص تاريخية، بعيدة كل البعد عن الواقع الحالي وذلك ضمن مادة التربية الدينية».

وتجاوز عدد المدارس بكافة فروعها الابتدائية والإعدادية والثانوية، التي تخضع لسيطرة التنظيم المئات.

وكان التنظيم قد أغلق مدارس العديد من المناطق مع انطلاق العام الدارسي ٢٠١٤ـ٢٠١٥، ريثما يتم تجهيز المناهج الجديدة الخاصة به، بالإضافة إلى ذلك كان التنظيم قد وزع تعميماً بين الأهالي يؤكد فيه ضرورة توبة المعلمين والمعلمات وخضوعهم للدورات الشرعية في معاهد التنظيم، وإلا سيعاملون معاملة المرتدين وسيتخذ بحقهم الإجراءات القضائية المناسبة.[١]

وعلى الرغم من تدخله وتعديله لكافة المناهج التي يتم تدريسها؛ بحيث تخدم أجندته الخاصة، صدر تعميمٌ عن ديوان التعليم لتنظيم «الدولة الاسلامية»، أعلن من خلاله حذفه، وبشكل نهائي، تسعة موضوعات تدريسية، باعتبارها -بنظرهم- غير ذات جدوى ولا ينفع إصلاحها أو التعديل عليها، وهي: التربية الفنية الموسيقية، التربية القومية الوطنية، دراسات اجتماعية، التاريخ، التربية الفنية التشكيلية، الرياضة، قضايا فلسفية واجتماعية ونفسية، التربية الدينية الإسلامية، التربية الدينية المسيحية. واشار التعميم إلى ضرورة استبدال هذه المواد بمعادل «شرعي» لها.

---

(١) http://goo.gl/kvahCe

أما فيما يخص مقررات ومجالات التعليم الجامعي، فلم يكتفِ التنظيم بإغلاق كليات الحقوق والفلسفة، كما لم يكتفِ بالطلب من عناصره ومناصريه تمزيق شهادات الحقوق أو الفلسفة التي بحوزتهم، بل تجاوز كل ذلك إلى منع الطلاب المقيمين في مناطق سيطرته -والذين يدرسون الحقوق والفلسفة- من السفر لاستكمال دراستهم في المناطق خارج سيطرتهم. فتدريس الفلسفة والقانون بالنسبة للتنظيم هو خط أحمر عريض، وربما مصدر تهديد يستدعي فرض أشد الإجراءات تطرفاً لمحاربته.

كما نصَّ التنظيم أيضاً، خلال تعميم على تعديل مناهج الرياضيات لحذف أي أمثلة قد تدل على الربا أو المعاملات الربوية، علماً أن بعض مناهج الرياضيات السورية تعتمد في شرحها للنسب المئوية التراكمية على حسابات التوفير في البنوك. إضافةً إلى ذلك أشار التعميم إلى ضرورة حذف كل شيء يتعلق بنظرية التطور داروين.

وعن تدريس هذه المواد فقد جاء في التعميم أنه من الضروري أن ينبه المعلم ويذكر طلابه بشكلٍ دائم بأن قوانين الفيزياء والكيمياء هي قوانين اللّه في الخلق، كما يترتب على المعلم أن يسد نواحي النقص المترتبة على الحذف بأمثلة لا تتعارض مع الشريعة أو سياسة «الدولة الإسلامية».

ومن الامثلة المتفرقة على القضايا التي غيرها التنظيم يمكن سرد التالي:

* شطب جملة «الجمهورية العربية السورية» و«الجمهورية

العراقية» أينما وجدت واستبدالها بـ«الدولة الاسلامية».

* طمس جميع الصور التي لا تتوافق مع الشريعة الإسلامية.
* حذف النشيد الوطني أينما وجد.
* عدم تدريس مفهوم القومية أو الوطنية، واستبداله بمفاهيم الانتماء للإسلام وأهله، والبراءة من الشرك وأهله، حيث أن بلاد المسلمين هي البلاد التي تحكم فيها الشريعة الإسلامية.
* استبدال كلمة الوطن أو الوطنية أو سوريا أو العراق او وطني أينما وجدت بـ«الدولة الإسلامية» أو «بلاد المسلمين» أو تحديد الولاية كولاية الشام او الخير او الانبار وهكذا...

منع التنظيم كل المعلمين من التدريس قبل خضوعهم لدورة شرعية(تستمر خمسة عشر يوما)، اطلقوها خصيصا للمدرسين في العقيدة والفقه، يُمنح بعدها المدرسون وثيقة تخولهم ممارسة التعليم في مناطق سيطرته، فيما سيمنع من التدريس أو القيام بأي نشاط بمجال التعليم كل من يتخلف عن هذه الدورات[1].

تاسعاً: الهيكلية التنظيمية

١ - امير التنظيم

عند الحديث عن الهيكل التنظيمي (لداعش)، لا بد من التطرق لأمير التنظيم، وسلطته «الدينية» التي تتيح له التحكم المباشر وغير

---

(١) http://www.sada.pro/7

المباشر بالتنظيم، وهو ليس رئيس تنظيم حزب سياسي أو اجتماعي، إنما هو الخليفة «وامير المؤمنين» بعد اعلان الخلافة.

ويعد «الخليفة» المتحكم في مفاصل الهيكل التنظيمي وصاحب «الأمر والنهي» في القرارات.

وقد سعى أبو بكر البغدادي، الذي أصبح رئيساً للتّنظيم بعد مقتل سلفه «أبو عمر البغدادي» في (١٩ نيسان/ أبريل ٢٠١٠)، إلى تجميد دور المهاجرين العرب في المناصب القيادية، وأحال معظمهم إلى وظائف ساندة كالشورى والإعلام والتّجنيد وجمع التّبرعات، واستحوذ على صلاحيات إعلان الغزوات، وتأسيس المجلس العسكري وألغى منصب وزير الحرب، وعزل عدد من المسؤولين في ولاية بغداد وديالى، واستعان بضباط الجيش العراقي السّابق لاسيما من اصناف الأمن والاستخبارات العراقية المنحلة.

وقد تولى «أمير التنظيم» تعيين قيادات وأمراء تلك المفاصل مباشرةً في العراق وسوريا، كما يمكن له إصدار أوامره للمجلس العسكري أو نقض أي قرار لا يتوافق مع توجهه.على ان تلك المجالس والمفاصل، غير مرتبطة بعضها ببعض، لكنها تتنافس في تنفيذ العمليات القتالية ونوعيتها.

٢ ـ نائب الخليفة

لامير التنظيم نائب يمارس مهام قياديّة يوكله بها «الامير». وغالباً لا يتم الاعلان عن اسمه. والواقع، انّ معظم المراكز القيادية في

التّنظيم لا يتم الاعلان عن اسماء من يتولاها، من هنا تبدو معظم التّسميات إما توقعات وإما معلومات مستقاة من جهات استخبارية او اعترافات معتقلين.

٣ ـ مجلس القيادة

يحيط امير التّنظيم نفسه بمجلس قيادة، يسميه البعض مجلس شورى. والمجلس عبارة عن رؤوساء المجالس السّتة (عسكري، امني، شرعي، مالي، اداري، اعلامي).

أ ـ المجلس العسكري

يعد المجلس العسكري من المفاصل المهمّة في التّنظيم؛ لانّه يعيش بحالة حرب دائمة. ويتم اختيار رئيس المجلس العسكري من قبل البغدادي بصورةٍ مباشرة، ورئيس هذا المجلس عضو في مجلس القيادة. ورغم وجود شخصٍ على رأس المجلس الا انّ اعضاءه يتم اختيارهم من قبل البغدادي مع تزكية مجلس القيادة لهم. ويتكون المجلس العسكري من رئيس وثلاثة أعضاء، مهمّتهم التّخطيط وإدارة الأمراء العسكريّين في ولايات التّنظيم، ومتابعة نتائج الغزوات.

ب ـ مجلس الأمن والاستخبارات

يتولى هذا المجلس مسؤولية متابعة الشؤون الاستخبارية ومنع الاختراقات وكذلك كل ما يتعلق بالتجنيد. كما أن من مهامه تأمين حماية وأمن «الخليفة» وباقي قيادات التنظيم. رئيس مجلس الامن

والاستخبارات هو عضو في مجلس القيادة. وتنسحب عليه ما قلناه في المجلس العسكري.

ج - المجلس الشرعي

تعد الهيئات الشرعية من المفاصل المّهمة في تنظيم (داعش). اذ يتبع لها كل ما يتعلّق بشؤون نشر الدّعوة والاوقاف وخطباء المساجد، كذلك الفصل في الخصومات فيما يعرف بالمحاكم الشّرعية فضلاً عن شؤون الحسبة المتعلقة بفرق الامر بالمعروف والنّهي عن المنكر ومراقبة الاسواق وحضور النّاس للصلاة ومدى التزامهم بالامور «الشّرعية» كالصّوم وطريقة ارتداء اللّباس وما الى ذلك.

وعلى غرار باقي المجالس، فان رئيس المجلس الشرعي عضو في مجلس القيادة. ويتبع للمجلس الشّرعي جميع الهيئات الشّرعية في الولايات.

د - المجلس المالي(بيت المال)

ويطلق عليه بيت المال أيضا ومهمّته متابعة كل الشؤون المالية للتّنظيم، سواء لناحية مصادر التّمويل او إدارات الصّرف. يقوم المجلس بمتابعة شؤون الادارات الماليّة لكل ولاية من الولايات والّتي ترتكز على: الزّكاة، التّبرعات، عوائد الخدمات، الضّرائب (ويدخل في نطاقها كل ما يتم تحصيله من بيع للنّفط والاثار، والاتاوات التي يطلق عليها اسم جزية...الخ). وقد بات واضحاً ان رئيس المجلس المالي هو عضو في مجلس القيادة.

هـ ـ المجلس الاداري

مهمة هذا المجلس متابعة الشّؤون الادارية «للدولة» في مجالات مختلفة مما يقع تحت مسمى «الدواوين» بحسب هيكليّة الولايات (انظر الرسم البياني الهيكلي للولايات). ولا ننسى ان رئيس هذا المجلس هو عضو في مجلس القيادة.

و ـ المجلس الاعلامي

لا يقل المجلس الاعلامي أهميةً عن باقي المجالس نظراً لما يوليه التّنظيم من أهميّة للاعلام. ورئيسه، كباقي المجالس، عضو في مجلس القيادة.

يدير المجلس الاعلامي شبكة كبيرة من وسائل الاعلام بما فيها الاعلام الالكتروني. سواء حسابات على وسائل التّواصل الاجتماعي او مواقع تابعة للتّنظيم(كالمنبر الاعلامي الجهادي، او شبكة الجهاد العاملي التي كانت تابعة للقاعدة لكنّها سرعان ما اعلنت بيعتها للبغدادي). اضافةً الى المجلات والإذاعة ووكالات الانباء. الا انّ اهم الوسائل الاعلاميّة في هيكليّة داعش هي مؤسسات الانتاج الاعلامي. وتنبع اهميتها من حيث انّها المصدر الرّئيس لمعظم انتاجات داعش من افلام تعبوية، وتوثيق معارك، ورسائل، واناشيد حماسية. كما يتبع للمجلس الاعلامي جميع اعلام الولايات.

وتعتبر مؤسسات الاعتصام والفرقان واجناد والملاحم ومركز الحياة من اهم وانشط هذه المؤسسات. ورغم وجود اكثر من عشرة

مؤسسات اعلاميّة رسميّة للتّنظيم، الا انّ هناك مؤسسات ايضا تصنّف في خانة المؤسسات المؤيّدة ولا تتبع بشكل رسمي له. ولعلّ ابرزها: مؤسّسة الخلافة، والبتار، ومركز العزم والفاروق..الخ. وقد اصدرت جميع هذه المؤسسات انتاجات اعلاميّة كثيرة لعلّ من ابرزها لهيب الحرب الذي اخذ صيتاً كبيراً بسبب التّقنيات المستعملة به. وكذلك سلسلة اصدارات اهمّها: صليل الصوارم (٤ اصدارات)، رسائل من ارض الملاحم(٥٠ اصدارا) فشرد بهم من خلفهم، كسر الحدود، على منهاج النبوة، رسالة الى اميركا.(راجع الرسوم البيانية للهيكلية الاعلامية).

عاشراً: تمويل داعش

تعتمد مختلف التنظيمات الإسلامية عادة على الممولين المتعاطفين، بالإضافة إلى مؤسسات تنشط تحت ذريعة المساعدات الإغاثية، وهو ما كانت تعتمد عليه «الدولة الإسلامية في العراق»، التنظيم الاول الذي سمي فيما بعد بداعش.

معهد واشنطن لدراسات الشرق الادنى أشار الى إن «المتعاطفين من الكويت -التي أثار فيها نواب مجلس الأمة جدلاً، بعد تأكيد بعضهم وجود خلايا نائمة تدعم داعش، شكلوا مصدراً مهماً لتمويل التنظيم، لا سيما في بداياته؛ إذ تُعتبر الكويت أكثر البيئات تسهيلاً للتمويل الإرهابي في الخليج العربي».

كما اعتبر معهد واشنطن ان الولايات المتحدة ترى «في حليفتها

المقرّبة قطر بؤرةً لتمويل الإرهاب، إلى حد أن واشنطن وصفت هذه الدولة الخليجية الصغيرة بأنها بيئة متساهلة مع تمويل الجماعات الإرهابية»[١].

كما أن السعوديين يشكلون مصدر تمويلٍ هام للجماعات المسلحة الناشطة. وقد ذكر معهد واشنطن لسياسات الشرق الادنى، ان المواطنين السعوديين «يشكلون مصدر تمويل ملحوظ للحركات السنية العاملة في سوريا. وفي الواقع، إن الأطراف المانحة في الخليج العربي ككل - ويُعتقد أن السعوديين أكثرها إحساناً - أرسلت مئات الملايين من الدولارات إلى سوريا في السنوات الأخيرة، بما في ذلك إلى تنظيم «الدولة الإسلامية في العراق والشام» وجماعات أخرى»[٢].

وبالجملة، فانه «في ٣٠ نيسان/ أبريل لاحظت وزارة الخارجية الأمريكية، أن التبرعات الخاصة التي تصدر عن دول الخليج العربي، تشكل «مصدر تمويل كبير للجماعات الإرهابية السنية، ولا سيما ... في سوريا»، واعتُبرت هذه المشكلة واحدةً من أهم القضايا المتعلقة بمكافحة الإرهاب التي شهدها العام المنصرم. إذ يُعتقد أن مجموعاتٍ على غرار «جبهة النصرة» - الحركة السورية التابعة لـ

---

(١) بلوتكين بوغارت، لوري، قطر وتمويل «داعش»: المقاربة الأمريكية، راجع: http://www.washingtoninstitute.org/ar/policy-analysis/view/qatar-and-isis-funding-the-u.s.-approach.

(٢) بلوتكين بوغارت، لوري، التمويل السعودي لـ تنظيم «الدولة الإسلامية في العراق والشام»، راجع: http://www.washingtoninstitute.org/ar/policy-analysis/view/saudi-funding-of-isis.

تنظيم «القاعدة» – وجماعة «الدولة الإسلامية في العراق والشام»، المعروفة سابقاً باسم تنظيم «القاعدة في العراق»، تتلقى باستمرار بعضاً من مئات ملايين الدولارات التي يتبرع بها المواطنون الأثرياء وغيرهم، من أبناء شبه الجزيرة العربية خلال النزاع السوري»[١].

والواقع، فان التحرك السعودي والكويتي ليس جديداً، ويعود الى منتصف الثمانينات ودعم الافغان، ودفع بعضهم للانشقاق تحت عناوين مذهبية، منها مثلا الاتصال باحد العلماء في منطقة كونار الافغانية المدعو جميل الرحمن (اسم مستعار والاسم الحقيقي هو مولوي حسين) الذي ولد عام ١٩٣٤ ودرس في باكستان، وعُرف منذ عام ١٩٦٠ في افغانستان بميوله السلفية؛ حيث اسس عام ١٩٦٥ جمعية الدعوة الى الكتاب والسنة بهدف تطهير الاسلام المحلي«من البدع المنكرة »، المرتبطة بالتصوف والمذهب الحنفي، وانضم الى الحزب الاسلامي بقيادة قلب الدين حكمتيار[٢].

وينقل لاكروا، صاحب كتاب زمن الصحوة، عن موسى القرني كيف ان جميل الرحمن قرر في النصف الثاني من الثمانينيات ان يستقل بنفسه: «جاء بعض التجار الخليجيين من السعوديين والكويتيين لزيارته وقالوا له: يا شيخ جميل الرحمن، انت سلفي،

(١) بلوتكين بوغارت، لوري، الانقطاع مع قطر والكويت بشأن تمويل الإرهاب، معهد واشنطن لسياسات الشرق الادنى، راجع: http://www.washingtoninstitute.org/ar/policy-analysis/view/the-terrorist-funding-disconnect-with-qatar-and-kuwait.

(٢) زمن الصحوة، مصدر سابق، ص١٥٨.

كيف تستطيع ان تقاتل مع حكمتيار؟ كيف يمكنك القيام بالجهاد تحت راية رجل من الاخوان المسلمين؟...وعند ذلك وعدوه بالمال والدعم شرط مغادرته الحزب وتكوينه قيادة مستقلة. منذ ذلك الوقت، اصبحت جماعة الدعوة الى الكتاب والسنة.....تابعة لاهل الحديث، وبصورة شبه رسمية للنظام السعودي على الساحة الافغانية»[١].

لقد ذكرنا هذه القصّة من اجل اعطاء فكرةٍ عامة عن الاسلوب الذي كان متبعاً في البدايات في تمويل الجماعات ووضع بعض التّجار في الواجهة لتغطية عمليات التمويل التي كانت تقوم بها في الحقيقة الحكومات. وما زالت هذه الاساليب معتمدة من قبل المملكة فيما تقوم قطر مثلاً بالتّمويل من خلال جمعياتٍ خيريةٍ على الاغلب الاعم ومن خلال شخصيات في حالات معينة.

اما بالنّسبة لداعش، فيمكننا القول إنّه ومنذ نشأته، بدت سياسته واضحة في محاولة تنويع مصادر تمويله، والسّعي لبلورة نظامٍ «هجين» من التمويل المعتمد على مصادر دولية ومحلية، حسبَ محلل شؤون الأمن القومي في شبكة CBS الأميركية جوان سارات، ثم بعد ذلك السعي للوصول الى الاكتفاء الذاتي.

وعلى اي حال فانه يمكننا تقسيم مصادر التمويل لداعش بوجه خاص على الشكل التالي:

---

(١) زمن الصحوة، مصدر سابق، ص١٥٩.

١- حملات التبرع والمدخرات الشخصية

شكلت ايرادات المتبرعين المصدر الرئيس لتمويل داعش في السنوات الاولى، الا انها شهدت تحولاً منذ العام ٢٠١٣. فهي لم تعد تمثل النسبة الأكبر من التمويل بعدما أوجد التنظيم مصادر اضافية اكثر ضمانةً تحول دون تدخل المموّلين في قرارات التنظيم. تأتي معظم التبرعات من أفراد في دول خليجية كقطر والكويت والسعودية والامارات العربية على شكل صدقات مالية و تبرعات.

وقد سعى داعش للاستفادة من المقاتلين الاجانب الذين يرغبون بالالتحاق بالتنظيم، فكان يطلب منهم القيام بحملة جمع تبرعات او الاتيان بمبالغ مالية من حساباتهم الشخصية اذا كانوا من الميسورين وحسب استطاعة كل فردٍ قبل التحاقهم بصفوفه. لقد كانت هذه الاساليب بمثابة المصادر الاولى للتّنظيم لكنّها سرعان ما اصبحت غير كافيةٍ لتلبية احتياجاته. فبدأ التنظيم العمل على اسلوب آخر.

٢- خطف وفدية

لقد شكل خطف الاجانب احد الاساليب التي اعتمدها داعش للتمويل؛ حيث يفاوضون حكومات المخطوفين للحصول على فديات مقابل الافراج عنهم. وهو ما كشفت عنه وسائل اعلام أميركية بعد اعدام الصحافي جيمس فولي؛ إذ كشفت خطابات ورسائل إلكترونية إن التنظيم طالب بـ١٣٢ مليون دولار مقابل الافراج عن فولي. اضافة الى ما عُرف في لبنان باسم المخطوفين الاستونيين،

والفدية التي دفعتها الحكومة الاستونية. وكذلك الافراج عن صحفيين فرنسيين دفعت الحكومة الفرنسية فديتهم.

الا ان عمليات خطف الصحفيين، وان كانت الاكثر شيوعا اعلامياً، الا إنها ليست الوحيدة، بل تشكل مصدرا صغيرا امام عمليات الخطف التي طالت ابناء مواطنين ميسورين. وبحسب المصادر، فانه يصعب رصد عدد الحالات التي خُطف فيها مواطنون واطلق سراحهم مقابل فدية. خاصة وان الكثير من الحالات لم يتم الابلاغ عنها.

والجدير ذكره انه في سوريا مثلا، فان هذا الاسلوب اعتمده ايضا بعض اللصوص غير التابعين لداعش، مستفيدين من جو فوضى الاختطاف.

٣- الخوات (الضرائب) والغنائم والجزية

يفرض التنظيم دفع خوَات على التجار و ناقلي البضائع أثناء عبورهم لحدوده، و تختلف قيمة الخوات بحسب أهمية البضائع المنقولة و بحسب الوجهة النهائية. وقد كانت ايرادات المعابر الحدودية احد الاسباب الهامة لما اطلق عليه اسم حرب المعابر بين التنظيم والجماعات المسلحة الاخرى في سوريا.

كما الزم التنظيم دفع الجزية لغير المسلمين وتقدر الجزية بما يقارب ٤٥٠ $ عن كل عائلة، وان كان يحدد قيمتها بالاصل ذهبا.

ومن مصادر التمويل ايضاً على سبيل المثال، تجمع المكاتب في

الرقة وريف الحسكة التابعة له مبلغ ٢٠٠٠ ليرة سورية (ما يعادل ٦,٦ دولارا أميركا بسعر صرف ٣٠٠ ليرة للدولار الواحد) شهريا من كل عائلة، وذلك لقاء توفير المياه والكهرباء عبر المحطات التي سيطر عليها.

كذلك، يدفع الأهالي مبلغ ٥٠٠ ليرة (حوالي ١,٦٥ دولار) لقاء ما يطلق عليها «بدل حماية».

كما يفرض داعش الزكاة و الضريبة على سكان المناطق التي سيطر عليها، و قد حدد نسبة الزكاة على المزارعين ١٠٪. يؤجر التنظيم المزارعين معداتهم الزراعية باعتبارها أصبحت ملكاً للتنظيم بعد سيطرته على البلاد.

اما «الغنائم» فيقول احد الناشطين ان داعش مثلا، سيطر على مطحنة الحبوب والإسكان والمعامل التي كانت خاضعة لسيطرة جبهة النصرة بالقرب من مدينة دير الزور، قبل أن يقوم ببيعها لتجار أتراك.

كما باع التنظيم محلجة الأقطان التي استولى عليها لتجار في تركيا، بما فيها من مخزونات تقدر، إلى جانب المحلجة، بأكثر من مليون دولار، وهو نفس السيناريو الذي انتهجه في مستودعات السكر التي سيطر عليها.

وتعتمد معظم التنظيمات المسلحة في سوريا نفس الاسلوب، وهذا ما حصل في المناطق الصناعية في حلب؛ حيث تم نهب

مصانعها وبيع تجهيزاتها لتجار اتراك بمبالغ زهيدة نسبياً مقارنة باسعارها الحقيقية.

٤- المصارف

في كل منطقة يسيطر عليها التنظيم، يقوم بجمع ما وجد من المال في مؤسسات حكومية ومصارف. وأكبر مبلغ استولى عليه التنظيم كان في الموصل بعد أن اقتحم مصرفا وسرق ما يعادل ٤٢٥ مليون دولار.

وهذا ما حصل ايضاً في الرقة بعد مؤامرة تسليمها من العقيد خالد الحلبي وبعض العشائر؛ حيث وضع التنظيم يده على فرع المصرف المركزي في الرقة وصادر محتوياته.

كما يقوم التنظيم بتجنيد مؤيديه ممن يعملون في المصارف لاختراق حسابات بنكية لبعض المودعين، كما ذكرت صحيفة ديلي ميل البريطانية، التي كشفت أن البريطاني من أصل باكستاني جنيد حسين، والذي انضم إلى تنظيم داعش، من المحتمل أن يكون وراء مؤامرة لتفريغ حسابات مصرفية بريطانية تعود لأثرياء ومشاهير لتمويل «الإرهاب في الشرق الأوسط».

٥- تجارة الاعضاء البشرية والمافيات

رغم عدم وجود أدلة دامغة، الا ان تقارير عدة ومن اكثر من مصدر، أكدت ان جثثاً وجدت في مناطق تسيطر عليها «داعش»، تبين انها قد تعرضت لتشويهات جراء استئصال بعض الاعضاء الداخلية منها.

الى ذلك، ذكرت تقارير امنية في العراق وسوريا عن حالات اختفاء كثيرة لشبان وشابات، ولم يعرف مصيرهم، ولم تتصل اي جهة لتقدم مطالبها، فيما لو كان الاختفاء ناتجاً عن الخطف بهدف الفدية. الا ان اللافت هو ان معظم حالات الاختفات هي لاشخاص في مقتبل العمر. ورجحت مصادر امنية وجنائية ان يكون هدف عمليات الخطف هو تجارة الاعضاء البشرية؛ حيث يتم دفن الجثث في مقابر سرية.

كما اننا، ومن خلال بعض الاتصالات بجهات امنية، افادت عن حالات اختفاء اطفال في المناطق التي يسيطر عليها داعش، ما يرجح ان ثمة تجارة لبيع الاطفال قائمة على قدم وساق ايضا.

وتبدو التقارير الاخطر ان تركيا متورطة بشكل كبير في تجارة الاعضاء؛ حيث تقوم بعض سيارات الاسعاف في المناطق الحدودية المتاخمة لتركيا، بنقل الجرحى المدنيين الذي يصابون بالاشتباكات او السيارات المفخخة الى الاراضي التركية، وتجري هناك عمليات سرقة للاعضاء البشرية من الجرحى او القتلى. وقد سجلت تقارير صحفية ان اكثر من شخص اكتشف، بعد فترة من اصابته وعودته من الاراضي التركية بعد العلاج، انه بكلية واحدة.

٦- مسروقات ضباط جيش صدام

ما ان بدأ الجيش الاميركي بغزو العراق، حتى بدأت مجموعة كبيرة من ضباط جيش صدام حسين القيام بعمليات نهب منظم لمجموعة كبيرة من المصارف والمؤسسات المالية والتجارية،

اضافة الى قيمة نقدية كبرى كانت موجودة في بعض القصور التابعة لشخصيات نافذة في نظام البعث العراقي.

يضاف الى ذلك، ان مجموعة من النافذين في هذا النظام، كان قد كدس اموالا طائلة من جراء السمسرات التي تمت اثناء برنامج الامم المتحدة خلال الحصار على العراق، فيما عرف ببرنامج «النفط مقابل الغذاء».

هذه الاموال استفاد منها داعش بعد ان التحق العديد من هؤلاء الضباط بالتنظيم. اضافة الى ان بعض الضباط كان لديه لائحة طويلة بالضباط الكبار والشخصيات النافذة، التي كانت تملك ثروات طائلة؛ حيث تمت ملاحقتهم واجراء كمائن لهم للحصول على هذه الاموال.

٧- الآثار

ينشط داعش في المناطق التي يسيطر عليها ببيع الآثار، وقد سجلت جمعيات عدة تواجد كثيف لآثار سورية وعراقية في السوق السوداء، الا انه يصعب تقدير موارد هذه التجارة.

٨- تجارة النفط والغاز

تعتبر تجارة النفط والغاز من اكثر المصادر التي تؤمن تمويلا لداعش في هذه الايام، بعد ان وضع التنظيم يده على العديد من المصافي.

وكان لافتا قيام داعش، ومنذ اللحظات الاولى لدخوله الحرب في سوريا، مسارعته الى محاولة السيطرة على المناطق الغنية بالموارد الاقتصادية.

يسيطر داعش اليوم على مجموعة كبيرة من حقول النفط السورية التي تتركز اساساً في المناطق الشمالية، مثل حقول جبسا وكونيكو والعمر والشدادي.

ويقدر خبراء، أن عائد داعش من النفط السوري، الذي يستخرج بطرق بدائية ويباع في السوق المحلية، بنحو مليون ونصف المليون دولار يوميا. تصدر جميعها عن طريق تركيا.

وتشير التقارير إلى أن ما يتم إنتاجه يوميا في المناطق الشرقية الشمالية في سورية، يقدر بـ٥٠ ألف برميل. واشارت تقارير بريطانية الى أن النفط يباع بسعر يتراوح بين ٢٠ إلى ٢٣ دولارا اميركيا للبرميل الواحد. هذا عدا عن عائدات الغاز الذي يباع لتجار محليين، أو تتم تعبئته في اسطوانات ويباع للاستخدام المنزلي. وكانت هذه العائدات موزعة على كتائب المجموعات المسلحة، قبل أن تصبح جميعها في أيدي داعش.

اما في العراق فيبيع داعش نحو ١٠٠ ناقلة يوميا لتجار أكراد بمبلغ ٨٠٠٠ دولار للناقلة الواحدة مع حساب ٢٢ دولارا للبرميل الواحد، لتصدر بعد ذلك إلى تركيا. وتقدر العوائد من تجارة النفط وحده في العراق بحوالي مليون دولار يوميا(انخفض العائد مع هبوط اسعار النفط). ووفق خبراء في مجال الطاقة، فان داعش يحصل على ثلاثة ملايين دولار يوميا من عائدات النفط من سوريا والعراق.

وقد امكن التحقق من وجود شبكة كبيرة لداعش في تجارة النفط؛

بحيث تأهلها لبدء عملية البيع بعد ايام قليلة من وضع اليد على اي حقل من الحقول.

فعلى سبيل المثال سيطر داعش على حقل «الدجيل» النفطي العراقي الذي سقط بأيديهم في نهاية شهر حزيران/ يونيو الماضي(٢٠١٤). ووفقا لمصادر إعلامية فان داعش استطاع ان يبدأ ببيع النفط العراقي من مناطق نفوذه منذ الثالث من تموز/ يوليو، اي بعد اقل من خمسة أيام على احتلال الحقل.

وكان قائممقام قضاء الخالص بمحافظة ديالى عدي الخدران قد كشف، ان «داعش» يقوم ببيع النفط الخام من حقول حمرين شمال شرق بعقوبة إلى شبكة من المهربين في شمال البلاد، مؤكدا أن التنظيم يعتمد على طرق وعرة بين تلال حمرين لإيصال النفط.

وقال الخدران، في حديث صحفي، إن المعلومات المتوفرة تؤكد بان داعش يقوم ببيع النفط الخام من حقول حمرين، (٥٠كم شمال شرق بعقوبة)، والتي تشمل ٣٣ بئراً تخضع لسيطرته.

وكانت صحف تركية تحدثت عن حصول توتر بين واشنطن وانقرة على خلفية تجارة النفط من داعش. فبتاريخ ١٤ ايلول سبتمبر ٢٠١٤ ذكرت صحيفة حرييت التركية ان مسؤولا أمريكيا رفيعا قال في تصريحات خاصة للصحيفة في واشنطن، إن وزير الخارجية الاميركي جون كيري ناقش قطع عائدات نفط داعش على نطاق واسع مع المسؤولين الأتراك، مشيرا إلى أن بعض التجار الأتراك يلعبون دورا مهما في تجارة نفط تنظيم داعش.

حادي عشر: داعش ولغز سجن بوكا

لست من انصار المؤامرة وان كان ذلك مبرراً، في عصر يبدو فيه كل شي يسير وفق خطط ومؤامرات ومشاريع، اثبتت الايام انها كانت مدونة في دوائر الادارات الغربية.

وفي سياق الحديث بعقلية «المؤامرة» يكثر الحديث عن ارتباط ايجاد «داعش» بالاستخبارات الاميركية او غيرها. فالى اي مدى صحة هذه النظرية؟ وهل يمكن تقديم ادلة تثبت ذلك؟

تبدو هذه الاسئلة مشروعة شرط ان لا تطلق على عواهنها دون تقديم ادلة مقنعة. لكن تقديم هذا النوع من الادلة ليس بالامر اليسير، وربما نحتاج الى «ادوارد سنودن» آخر او الى «ويكيليكس» جديدة لنعرف حقيقة العلاقة بين داعش والاستخبارات الاميركية.

لكن عدم امتلاك الادلة لا يمنع من محاولة تجميع بعض القرائن، التي وان كانت لا تصل الى حد «الادلة القطعية»، لكنها بلا شك سوف ترمي ظلالا من الشك حول التبرئة المطلقة للاستخبارات الاميركية.

تنطلق هذه القرائن من حقيقة مفادها: اي صدفة تلك التي جعلت معظم قيادات «داعش» تتخرج من سجن «بوكا» الاميركي، والذي كان يقع في محيط مدينة أم القصر جنوب شرق العراق؟؟!!.

فمن هم اهم المعتقلين الذين كانوا في سجن بوكا؟

على رأس هذه اللائحة يأتي ابو بكر البغدادي والذي قيل انه

اعتقل منذ العام ٢٠٠٤ حتى حوالي منتصف العام ٢٠٠٦. وبعد اطلاق سراحه عمد الى انشاء «جيش اهل السنة والجماعة» والتحق هذا الفصيل بما يسمى «مجلس شورى المجاهدين».

تفاصيل الوقت الذي قضاه البغدادي في معسكر بوكا ما تزال غامضة. بعض التقارير الإعلامية لاحظت بأنه احتجز كـ «معتقل مدني» في السجن لمدة ١٠ شهور خلال عام ٢٠٠٤. وتقارير أخرى قالت بأنه اعتقل من قبل القوات الأمريكية في عام ٢٠٠٥، وقضى أربع سنوات في معسكر بوكا. وهذا الاحتمال الاخير مستبعد كون البغدادي اسس ما يسمى«جيش اهل السنة والجماعة»، والتحق بمجلس شورى المجاهدين قبيل اغتيال الزرقاوي في شهر حزيران من العام ٢٠٠٦. علما ان المجلس انشأ في كانون الثاني من العام نفسه (٢٠٠٦). مما يرجح ان يكون البغدادي قد اطلق سراحه اما اواخر عام ٢٠٠٥ او اوائل عام ٢٠٠٦.

ويلاحظ انه ومنذ التحاق «جيش اهل السنة والجماعة» «بمجلس شورى المجاهدين»، نجح الاميركيون باصطياد قادة القاعدة في العراق، ابتداء من الزرقاوي في شهر حزيران عام ٢٠٠٦ وصولا الى عام ٢٠١٠ حيث قتلت ابا عمر البغدادي وابا حمزة المهاجر، وهي عملية الاغتيال التي اوصلت ابا بكر البغدادي الى رأس قيادة التنظيم.

ومن أهم مسؤولي داعش المدعو ابو ايمن العراقي وهو من ضباط الجيش في عهد صدام. ايضا تخرج من سجن بوكا، وهو عضو في المجلس العسكري لداعش.

عضو أخر في المجلس العسكري لداعش تخرج من سجن بوكا هو عدنان إسماعيل نجم. كانت كنيته أبو أسامة البيلاوي (ابو عبد الرحمن البيلاوي) اطلق داعش اسمه على «غزوة الموصل». اعتقل في ٢٧ يناير ٢٠٠٥ في بوكا. وهو من ضباط جيش صدام. وهو أيضاً رئيس مجلس شورى في داعش، قتل في منطقة المزرعة في الموصل في ٤-٦-٢٠١٤ على يد الجيش العراقي.

كما استضاف سجن بوكا «حجي سمير» او مايعرف بـ «حجي بكر» واسمه سمير عبد حمد العبيدي الدليمي. كان عقيدا في جيش صدام. سجن في بوكا، وبعد إطلاق سراحه التحق بالقاعدة. كان الرجل الأهم لداعش في سوريا، حيث قتل في حلب (في الاسبوع الاول من شهر يناير ٢٠١٤).

ومن الملاحظ، وفق شهادات ضباط اميركيين عملوا في السجن ان ادارة السجن اتخذت اجراءات فيه من قبيل فصل السجناء على أساس الأيديولوجيا ما يتيح العمل على تجنيد افراد فيه، او الاستفادة من مجندين لتجنيد آخرين.

وقال سجناء سابقون لمحطة الجزيرة التلفزيونية، بأن معسكر بوكا، والذي أقفل في ايلول سبتمبر من العام ٢٠٠٩، وقام بنقل المعتقلين إلى السلطات العراقية، كان «مدرسة تنظيم القاعدة». حيث أعطى المتطرفون الكبار الدروس حول المتفجرات وتقنيات التفجير الانتحاري للسجناء الأصغر سنًا. سجين سابق اسمه عادل جاسم محمد، قال بأن أحد المتطرفين «بقي لمدة أسبوع فقط في

السجن، إلا أنه استطاع تجنيد ٢٥ من المعتقلين الـ ٣٤ الذين كانوا هناك».

وأضاف محمد بأن المسؤولين العسكريين الأمريكيين لم يفعلوا شيئًا لوقف المتطرفين من تلقين المعتقلين الآخرين.

ولئن كان سجن بوكا نقطة مشتركة بين جميع قيادة داعش، فان النقطة الاخرى المشتركة هي كونهم جميعا من ضباط جيش صدام حسين البعثي. وهو ما يفسر قدرة داعش على اختراق العشائر وشراء بعض زعمائها.

والنقطة الجديرة بالاهتمام ايضاً ان القيادات التي تخرجت من سجن بوكا وقُتلت، لم يقتل اي منها بغارة اميركية وانما قتلت اما في العراق على يد الجيش العراقي واما في سوريا على يد الجيش السوري او في خلافات مع الفصائل المسلحة الاخرى.

ما الذي جرى في بوكا؟ ما هي الظروف التي جعلت كل هؤلاء المتخرجين منه قيادات لاحقة في تنظيم داعش؟؟!! أسئلة تحتاج الى اجابات والى القيام بتحقيقات جدية. ولا شك اننا سنكتشف ان ثمة الكثير الكثير من هذه القيادات قد تخرجت من هذا السجن الذي يبدو انه كان «اكاديمية لتخريج الارهابيين» اكثر منه سجناً لهم.

ولكن تبقى حقيقة لا يمكن تجاهلها وهي: ان تأسيس داعش اضعف كثيرا تنظيم القاعدة.

ثاني عشر: خطط داعش

١ - ادارة التوحش والفوضى العارمة

يقع الكثيرون ممن يسمى بالباحثين في الحركات التكفيرية في تفاصيل الاحداث الصغيرة، عن مقتل امير هنا، ومبايعة امير هناك، ويغفلون عن البحث في سؤال محوري مفاده: هل ما تقوم به داعش هو مجرد عمل ارتجالي تقتضيه تطورات ساحة الحرب، ام هي تعمل وفق تخطيط مسبق ودراسات اعدت لهذا الغرض.

في الواقع ان الوثائق وكتابات منظري ما يسمى بالحركات «الجهادية» تشير الى ان هذه الفوضى قد ساهمت بها داعش ومن سبقها عن قصد، ضمن رؤى استراتيجية تعتبر فيها ان الفوضى هي البوابة الفضلى للدخول من خلالها الى قلب المنطقة، وتنفيذ المشاريع الخاصة بها.

ان الفوضى التي عمت العراق وسوريا واليمن وليبيا وغيرها كانت فوضى مقصودة ومخططا لها. وهذه الخطط للفوضى، وان تقاطعت مع مخططات «الفوضى البناءة او الخلاقة» التي تعمل عليها الادارة الاميركية منذ مدة، الا ان ذلك لا يمنع ان يكون لكل طرف اهدافه المستقبلية الخاصة به: اميركا لاعادة رسم المنطقة وفق خرائط برنارد لويس او غيرها، اما هذه التيارات فلأن الفوضى هي البوابة للتغلغل في المنطقة تمهيدا لاستنهاض «الامة»، ومن ثم الوصول الى اقامة «الخلافة الاسلامية العظمى».

ان العمل لنشر الفوضى «واستنهاض الامة» او الانطلاق في مرحلة «الافاقة» او مرحلة «الشوكة والنكاية» ومراحل «فتح العيون» او «ادارة التوحش» (كلها تسميات اطلقها المنظرون «الجهاديون»)، ان هذه الاعمال والمراحل ليست وليدة الصدفة، بل هي اعمال وضعت بدقة وصيغت بعناية، من قبل هؤلاء المنظرين ضمن دراسات استراتيجية مستقبلية.وهو ما سنقدمه للقارئ العزيز.

سنستعرض في هذه الصفحات اوراقاً ثلاث لكتّاب ثلاث، تشترك فيما بينها انها تحدثت عن خطط مستقبلية للجماعات «الجهادية»، بعضها كان مجرد تعداد للمراحل التي ستعمل عليها هذه التنظيمات، دون الدخول في تفاصيل المراحل واساليب العمل التي ينبغي الأخذ بها، فيما البعض الآخر دخل الى هذه الاساليب وقدم خططاً وادوات، مقاربا القضايا من خلال تجارب تاريخية، مبيناً نقاط القوة ونقاط الضعف في كل مقترح يقدمه.

ليس الهدف هنا هو استعراض هذه الكتب و تقديمها للقارئ، كما يتم عادة عرض اي كتاب، وانما نهدف الى امرين:

الاول: تسليط الضوء على نقطتين هامتين في اطار ما يجري في المنطقة وهما: الفوضى العارمة، وتهجير الاقليات. لنكشف، من خلال هذه الكتابات، ان الفوضى والتهجير ليسا وليدا الصدفة، ولا هما عملان انفعاليان تقوم بهما مجموعات معينة، كما انه لا يأتي نتيجة «فتوى تكفيرية» فحسب، بل هو فعل مقصود له طابع

جيوسياسي، تم التخطيط له في اطار رؤية عامة، وقراءة تاريخية عند هذه الجماعات.

الثاني: نريد ان نقول، وبالادلة، ان هذه المجموعات ليست عشوائية في عملها، بل هي تخطط، تفكر، وتعمل جاهدا للوصول الى اهدافها. وبالتالي فان من يريد ان يواجهها عليه قبل ان يخطط، ان يقرأ هؤلاء بهدوء وبعقل بارد.

الفوضى العارمة والكتب الثلاث:

١- ابو مصعب الزرقاوي الجيل الثاني للقاعدة:

كتاب الفه الاردني فؤاد حسين عام ٢٠٠٥. وفي الاصل دُوّن هذا الكتاب بهدف تسجيل شهادات لمن رافق وعايش مؤسس «الدولة الاسلامية في العراق» احمد فضيل الخلايلة (ابو مصعب الزرقاوي).

لكن الكاتب تحدث في نهاية كتابه عن خطة تنظيم القاعدة تحت عنوان «استراتيجية القاعدة».[١]

يذكر الكاتب ان هذه الخطة مبنية على كون مفكرو «القاعدة الكبار، أتيح لهم فرصة الإطلاع على تاريخ وتجربة الحركة الإسلامية الواسعة، والممتدة عبر قرنيين من الزمن، ابتداء بحركات التصحيح الكبرى التي تمثلت بالحركة الوهابية في نجد والحجاز، الحركة السنوسية في ليبيا، الحركة المهدية في السودان، حركات

---

(١) حسين، فؤاد، الزرقاوي الجيل الثاني للقاعدة،ص٨٨.

تجارب الجهاد الإسلامي الحديث التي تصدت لقوى الإستعمار في المغرب العربي وكذلك في مشرقه، وصولاً إلى الحركات الإسلامية المعاصرة، كحركة الأخوان المسلمون وحزب التحرير الإسلامي، وتجربة الجماعة الإسلامية في الهند والباكستان، علاوة على إطلاعهم على تجربة جمال الدين الأفغاني وتلميذه محمد عبده،التي تمثلت بفكرة الجماعة الإسلامية، وصولاً إلى تجارب الجهاد الإسلامي وحركات التغير المنبثقة عنها في مصر وفلسطين وأفغانستان ومناطق أخرى»[١].

وعلى اي حال، فان هذه الخطة مؤلفة من سبع مراحل، تبدأ بما يسمى بمرحلة الافاقة وتنتهي بمرحلة الانتصار، بعد ان كانت المرحلة الخامسة والسادسة هما مرحلتا اعلان الدولة الاسلامية والمواجهة الشاملة تتاليا.

لن يصعب عند قراءة هذه المراحل ملاحظة الفوضى المقصودة؛ لانه من دونها لن يتسنى الوصول الى مرحلة فتح العيون(الثانية) او مرحلة النهوض(الثالثة) فضلا عن الوصول الى مرحلة استعادة العافية وامتلاك القوة(الرابعة).

وهذه الفوضى المقصودة لا بد ان تبدأ مع بداية المرحلة الاولى، التي هي مرحلة الافاقة والتي وصفها الكاتب، وفق ادبيات القاعدة ومنظريها، بانها قد بدأت مع احداث الحادي عشر من ايلول[٢].

---

(١) المصدر نفسه، ص٨٨.

(٢) المراحل السبع على التوالي هي: ١- الافاقة -٢- فتح العيون(بدأت مع الدخول الاميركي =

٢- المذكرة الاستراتيجية:

وهي دراسة كتبها عبد اللّه بن محمد عام ٢٠١١ اعتبرها بمثابة خطط عمل لا بد «للجهاديين» من اتباعها لتحقيق اهدافهم.

تختلف هذه الدراسة عن الكتاب السابق، ان كتاب فؤاد حسين لم يكن كتابا يهدف لوضع خطط، اما المذكرة فهي خطة عمل دوّنها كاتبها لهذا الغرض. ولهذا لحظ فيها السير الذي ينبغي انتهاجه للوصول الى الاهداف، مستعينا بالتجارب النبوية تارة، والتجارب الصهيونية تارة اخرى. وتحتوي هذه الدراسة على الكثير من التفاصيل منها ما تحقق ومنها ما هو قيد التحقق الآن.

ينطلق الكاتب من فرضية يعتبر انها آتية لا محالة، وهي ما اطلق عليه اسم «الفوضى العارمة». ويقدم الكاتب اسباب ذلك بان «ضريبة النزاعات السياسية والعسكرية في مثل هذه الحالة ستكون على حساب الأمن ولقمة العيش، وهذا ما سيجعلنا نشهد هجرات كالتي حدثت من فلسطين، ومجاعات كالتي حدثت في الصومال، ومذابح كالتي حدثت في البلقان. والحقيقة أن الأحداث الأخيرة في سوريا قد جمعت مسبقا بعض هذه المشاهد المؤلمة كمقدمة لا تبشر بخير عن عنف هذه المرحلة! وفي اعتقادي أن المجتمع الدولي سيعجز عن التعامل مع هذا الحجم التاريخي

عام ٢٠٠٣ ومن المفترض ان تنتهي عام ٢٠٠٦) - ٣- النهوض(تنتهي عام ٢٠١٠)-٤- استعادة العافية وامتلاك القوة(تنتهي عام ٢٠١٣)- ٥- اعلان الدولة (تنتهي عام ٢٠١٦)- ٦- المواجهة الشاملة -٧ - الانتصار (لم يحدد سنة محددة لتوقع الانتصار).

من الفوضى بل وسيفشل في احتواء تأثيراته عليه..»[1].

امام هذه الفوضى العارمة ينطلق الكاتب ليجيب عن سؤال ثلاثي الابعاد: ماهو الدور الذي يمكن أن يلعبه التيار «الجهادي» في هذه المرحلة الخطيرة من عمر الأمة؟ وما هو المشروع الذي يمكن أن يدخل فيه هذه المرحلة؟ وما هي فرص نجاحه؟

اذن محور هذا الكتاب هو الاجابة عن هذه الاسئلة الثلاثة، والتي يقدم لها الكاتب بالقول: «في البداية أقول أن في ظل هذه الفوضى المرتقبة لن يكتب للمشاريع الجزئية أي فرصة للحياة في الأوضاع الجديدة، فإن أضفنا إلى ذلك أن حجم التواجد الذي يحققه التيار الجهادي في البلدان العربية متواضع جدا ومبعثر، فهذا يجعل من أي جهد مستقل هباء منثورا. ولا أقصد هنا ترك العمل بإستراتيجية الجهاد العالمي وضرب الحلف الصهيو-صليبي في أي مكان، فهذه مسألة سيأتي الحديث عنها إن شاء الله، وإنما المقصود هنا هو البحث عن أفضل وأكمل الإستراتيجيات للدخول في هذه المرحلة، واستثمار ظروفها الطارئة، فهذه هي التي ستضيع فيها الجهود المستقلة إن لم توظف في هدف عام[2].

صحيح انه ليس كل ما كتب في المذكرة يعمل عليه كما يبدو جليا، لكن تشترك هذه الدراسة مع الكتاب السابق انها تجعل الفوضى فرصة مؤاتية.

---

(١) محمد، عبد الله، المذكرة الاستراتيجية، مؤسسة المأسدة الاعلامية،٢٠١١م، ص٧.

(٢) المذكرة الاستراتيجية، مصدر سابق،،٢٠١١م، ص٨.

تحدث عبد اللّه بن محمد عن ثلاث مراحل تبدأ بما يسمى «بالمصاولة» ومن ثم «الفوضى العارمة»؛ ليصل بعدها الى اعلان الخلافة او الدولة الاسلامية.

ويسعى كاتب الدراسة لقراءة المشهد عبر تحديد مواصفات المنطقة التي ينبغي اقامة الدولة عليها، وكيفية حمايتها.

٣- ادارة التوحش:

كتاب دوّنه المدعو ابو بكر ناجي، ولم تتضح السنة التي دُوّن فيها هذا الكتاب.

يعرّف ابو بكر ناجي كتابه بانه «عبارة عن خطوط عريضة لا تُعنى بالتفاصيل وإنما تترك التفاصيل لفريقين، فريق المتخصصين في الفنون التي تتحدث عنها الدراسة، وفريق قيادات الواقع في مناطق إدارة التوحش. وعندما تأتي بعض التفاصيل في ثنايا الدراسة،فإنما تأتي لأهميتها أو كمثال لشحذ الذهن».[1]

والسؤال الاول الذي يطرح هنا هو: ما المقصود من التوحش او من ادارة التوحش؟

انها وببساطة: اي دولة تنهار ولا تقوم دولة اخرى بالسيطرة عليها وادارة شؤونها، فان هذه المناطق التابعة للدولة المنهارة تقع تحت اصطلاح «ادارة التوحش» وباختصار شديد ادارة التوحش هي: «ادارة الفوضى المتوحشة».[2]

---

(١) ناجي، ابو بكر، ادارة التوحش، مركز الدراسات والبحوث الاسلامية، ص٥.

(٢) ادارة التوحش،مصدر سابق، ص١٢.

ان ادارة التوحش، وفق كلام الكاتب، هي «المرحلة القادمة التي ستمر بها الأمة، وتعد أخطر مرحلة،فإذا نجحنا في إدارة هذا التوحش ستكون تلك المرحلة -بإذن اللّه - هي المعبر لدولة الإسلام المنتظرة منذ سقوط الخلافة، وإذا أخفقنا - أعاذنا اللّه من ذلك - لا يعني ذلك انتهاء الأمر ولكن هذا الإخفاق سيؤدي لمزيد من التوحش».[١]

لكن الكاتب يستدرك ان زيادة التوحش الناتج عن الاخفاق لا يعني «أنه أسوأ مما هو عليه الوضع الآن أو من قبل في العقد السابق(التسعينات) وما قبله من العقود، بل إنَّ أفحش درجات التوحش هي أخف من الاستقرار تحت نظام الكفر بدرجات».[٢]

ما يعنينا هنا، ان هذا الكتاب يشترك مع سابقيه بتقسيم العمل الى مراحل. ويركز الكاتب على المرحلة الثانية والتي هي مرحلة التوحش وكيفية ادارتها.

اما المرحلتان الاخريان، فهما مرحلة «شوكة النكاية والانهاك» (الاولى) ومرحلة «التمكين» (الثالثة).

٢-تهجير الاقليات والتأمين الاستراتيجي

مع تصدر داعش للمشهد في المنطقة، برز قيام هذا التنظيم بتهجير الاقليات في سوريا اولا، ثم تبلور المشهد اكثر في العراق بعد

(١) المصدر نفسه، ص٥.

(٢) المصدر نفسه، ص٥.

قيامها بما يشبه التطهير العرقي بحق الاقليات المسيحية والايزيدية والتركمانية والشبق وغيرها.

وبالعودة الى ما كتبه منظرو الحركات التكفيرية في دراساتهم، سنجد انهم قد تحدثوا عن ضرورة تهجير الاقليات ضمن سياسة متعمدة تهدف للتخلص من هذه الاقليات لتأمين الخطوط الداخلية «للدولة الاسلامية».

ففي «المذكرة الاستراتيجية»، خصص صاحبها مبحثا تحت عنوان «التأمين الاستراتيجي» تحدث فيه عن اجراءات مقترحة تهدف الى «**شل قدرات العدو العملية على شن الحرب ضدنا وحرمانه من المميزات التي كانت تساعده في الدخول إلى المنطقة وكسر المفاتيح التي كانت تمكنه من ذلك**». معتبرا انه وفي «**كل الحروب التي خاضها الأعداء لإخضاع المنطقة العربية، كان النجاح في تلك الحروب يعتمد على بعض العناصر الجغرافية والسكانية والحيوية التي كانت و مازالت تتميز وتتمتع بها المنطقة، وبما أن المنطقة العربية والتي ستضم دولة الخلافة تقع في محيط معادي على المستوى الإقليمي والدولي، فلا يمكن لأحد أن يتوقع من أين وكيف سيأتي العدو**»(المذكرة الاستراتيجية، ص٤٠-٤١). ولذلك اعتبر كاتب المذكرة الاستراتيجية انه وللخروج «**من هذه الإشكالية يجب وضع إجراءات إحترازية تعمل على المدى البعيد على إضعاف القدرة العامة لأي عدو من تحقيق أي إختراق للمنطقة، وهي الإجراءات**

التي تُعنى بها عادة مجالس الأمن القومي في الدول العظمى» (المذكرة الاستراتيجية، ص٤١).

تحدث الكاتب عن ثلاث خطوات تمثل «تأميناً استراتيجيا»: الاولى «اغلاق قناة السويس ومضيق باب المندب»(ص٤٢)، والثانية «تدمير صناعة النفط»(ص٤٣)، اما الثالثة فهي «تهجير الاقليات» وحديثنا عن هذه الاخيرة.

نظّر الكاتب لضرورة القيام بهذه الخطوة بأن **«التاريخ يحمل من الشواهد مايكفي لإجلاء الأقليات الدينية المعشعشة في المنطقة العربية، فالسجل الإجرامي لهذه الأقليات في التآمر على المسلمين وخاصة في فترات الإستعمار التي كانوا خير معين له.. هي أكبر دليل على ذلك»** (ص٤٤).

استحضر الكاتب من التاريخ تآمر يهود المدينة على المسلمين ونقضهم العهد مع النبي، وان ذلك كان كافيا لإتخاذ القرار بإجلائهم عن المدينة. معتبرا ان النبي أراد **«من عملية إجلاء اليهود عن المدينة تأمينها من الداخل بوصفها الرقعة الجغرافية الوحيدة للمسلمين آنذاك، ثم لما اتعست رقعة الدولة لتشمل كامل جزيرة العرب أمر بإخراج المشركين من الجزيرة»** (ص ٤٤).

كما استحضر الكاتب من التاريخ الحديث ما اعتبره مؤيدا لوجهة نظره. **«فالنظام الشيوعي في فترة لينين ثم ستالين عمل على تهجير بعض الشعوب الإسلامية من القوقاز إلى متاهات سيبيريا بجانب عمليات الإبادة الجماعية في حق الشعوب الإسلامية الأخرى التي**

بلغت في عهد لينين وحده ٢٥ مليون قتيل من جانب المسلمين» كما ان «**الهند قامت بعمليات تهجير وإبادة مروعة لمسلمي كشمير في محاولة بائسة لتغيير الجغرافيا الدينية للمنطقة»** (ص٤٤).

كما قام الكاتب بالاستشهاد بما فعله الصهيانية بحق الشعب الفلسطيني من تهجير، اضافة الى ما فعلته المانيا النازية باليهود (ص٤٤).

ومهما يكن من امر، فان الكاتب يعلنها صراحة بانه يجب «**ومن مبدأ تأمين قلب الدولة أن نعمل على تهجير الأقليات الدينية من تلك المنطقة وجعل الشام ثاني منطقة محظورة على غير المسلمين بعد جزيرة العرب»** (ص ٤٥) (يذكر ان الكاتب يقترح في دراسته ان تكون اليمن والشام هما نواة الخلافة الاسلامية).

اما من هي هذه الاقليات؟ فيعددها الكاتب نفسه بالقول: «**فلذلك أرى أنه من الواجب علينا بعد أو قبل إعلان دولة الخلافة بحسب الظرف أن نعمل على طرد اليهود وتهجير النصارى والدروز والنصيرية والبهائية بالإضافة إلى الشيعة وعبدة الشيطان وغيرهم من المشركين من كافة الأراضي التابعة لمنطقة الشام»** (ص٤٥).

ولكن ماذا عن التوقيت؟ ولماذا لا يتم هذا التهجير بعد تثبيت «الدولة الاسلامية» لاركان حكمها؟

يجيب الكاتب عن هذه الاسئلة بان «**أفضل مناخ لتنفيذ هذا المخطط يأتي في حالة من الحرب وليس في حالة من السلم»** أي

«قبيل إنتهاء العمليات العسكرية... لأن اللغط والصخب الذي يمكن أن ينتج عن مثل هذا الإجراء أو يمنع من تنفيذه يمكن أن يتلاشى مع غبار الحرب لأن عمليات التهجير ستأتي كجزء من مشهد الحرب وليست منفصلة عنه»(ص ٤٥). معتبرا ان الجيوش الحديثة غالبا ما كانت تعتمد هذا الاسلوب **«عندما تضاعف عملياتها الحركية والعسكرية في اللحظات الأخيرة قبل إنتهاء المعركة لفرض واقع جديد يستطيع السياسيون التفاوض بموجبه»** (ص ٤٦).

٣-قراءة نقدية: بين داعش والقاعدة: عندما يصبح التوحش استراتيجيا

إن الامر المشترك الذي يجمع بين الكتابين المذكورين، انهما ذات طابع استراتيجي، ينظران الى المستقبل، ويسعيان لقراءته وكتابة الخطط التي ترتبط به وبكيفية المواجهة، وصولا لاقامة «الدولة الاسلامية». ومهما يكن من أمر، فاننا يمكن ان نسجل الملاحظات التالية حول هذين الكتابين:

أ- المشهد العربي والانظمة المتهالكة

منذ أن تشكلت الدول العربية، وطوال السنوات التي عملت بها خلال أكثر من نصف قرن منذ استقلالها، لم تعمل على تطوير الثروات ولا على تأمين الاستقرار، فضلا عن أن غياب مظاهر الازدهار والرخاء على الاوساط العامة باستثناء فئة ضيقة، أضعف أسس تحقيق الاستقرار الداخلي.

وفي ظل هذه الحالة من الشعور بالاستلاب وعدم الاستقرار، فقدت شرائح واسعة من المجتمع مرتكزاتها الأساسية، اضافة الى فقدان الحكومات قدرتها على المحافظة على ولاء الشعب. ما جعل الايديولوجيات الدينية في أرجاء العالم العربي مرجعية أساسية ومحورية في استقطاب الجماهير، بعد ان تراجعت الخطابات الاخرى.

قرأ منظّرو المجموعات التكفيرية هذا المشهد، وسعوا لتوظيفه من أجل الانطلاق نحو الفوضى التي رأوا انها تتقاطع مع مشروعهم؛ لأن تهالك الانظمة العربية، ومن ثم استغلالها من قبل هذه الجماعات لنشر الفوضى، هي بالتحديد ما تحتاجه هذه الجماعات في عملية «الاستقطاب» التي تمثل العنصر الاهم في خطط داعش[١].

ب - الفوضى والتقسيم نقطة الالتقاء الكبرى

ورغم ما كان يعتري الانظمة العربية من عوار، ورغم ارتباط الكثير منها بمحاور غربية ودول كبرى الى حد التبعية، فقد كان المشروع الغربي يتطلع الى تمزيق المنطقة منذ اكثر من ربع قرن، وهذا ما حملته خلاصات ما كتبه الصهيوني برنارد لويس في عام ١٩٨٣. وقبله الاسرائيلي (اوديد ينون) عام ١٩٨٢ دون ان ننسى دراسة «حدود الدم: نحو نظرة افضل للشرق الأوسط» التي دونها رالف بيترز. وهنا تحديدا ظهرت نقطة الالتقاء الكبرى بين الغرب والتكفير، لا سيما في صورته الاخيرة (الداعشية). فالغرب رأى في

---

(١) راجع حول الاستقطاب: ادارة التوحش، مصدر سابق، ص ٤٦.

داعش كفكر وسلوك، فرصة مؤاتية لتنفيذ مشاريع الشرذمة اولا، ووحشنة الاسلام (اي اظهاره متوحشا) ثانيا، بعد ارهبته اثر احداث الحادي عشر من ايلول وما تلاها. كما رأى في داعش وغيرها من حركات التكفير، فرصة لتحويل العدو المنهزم إلى شبه منتصر. ليتوسل العرب باميركا كمنقذ، ولتظهر اسرائيل على انها وان كانت كيانا غاصبا عنصريا لكنه ليس كيانا متوحشا.

وفي المقابل رأى التيار التكفيري في مشاريع التقسيم عنصرا يمكن الاستفادة منه في مشروعه البعيد المدى للوصول الى مرحلة اقامة «الدولة الاسلامية» (وفق اصطلاح المذكرة الاستراتيجية) او مرحلة التمكين الممهد لاقامة هذه الدولة (وفق اصطلاح «ادارة التوحش).

اما كيف يكون التقسيم يصب في مصلحة التكفير؟! فلانه سوف يحطم حدود سايكس بيكو اولا، ويؤجج مشاعر الانقسام المذهبي والطائفي ثانيا، ولان الكيانات الجديدة لن تكون مالكة لهوية وطنية ثالثا، فضلا عن انها سوف تكون اوهن من الانظمة القائمة.

ج - البغدادي يقطف الثمار

من الامور الملفتة ان كلا الكتابين قد ظهرا قبل نشوء داعش. فكتاب «ادارة التوحش» مثلا قد صدر قبل تأسيس ما سمي «الدولة الاسلامية في العراق». وللتذكير فان الزرقاوي بدأ عمله في العراق تحت اسم «جماعة التوحيد والجهاد» وذلك خلال فترة خلافه مع تنظيم القاعدة حتى تاريخ ١٧-١٠ ٢٠٠٤ تاريخ مبايعته لاسامة

بن لادن؛ حيث اعلن عن تأسيس ما سمي «قاعدة الجهاد في بلاد الرافدين»، اما «الدولة الاسلامية في العراق» فانها لم تؤسس الا في ١٥ـ١٠ـ ٢٠٠٦ ؛ حيث انتُخب ابو عمر البغدادي اميرا عليها بعد اغتيال الزرقاوي (في ٧ـ٦ـ٢٠٠٦).

اما «المذكرة الاستراتيجية» التي نشرت عام ٢٠١١، فبحسب مضمونها فقد صدرت بعد انطلاق «الربيع العربي» وبعد «عسكرة» الازمة السورية، ما يرجّح صدورها بعد شهر حزيران من عام ٢٠١١. وذلك يعني ان ما يعرف بتنظيم داعش «الدولة الاسلامية في العرق والشام» لم يكن قد تأسس ايضا على اعتبار ان هذا التنظيم أُسس في ٩ـ٤ـ٢٠١٣.

فيظهر مما تقدم ان البغدادي يقوم بقطف ثمار ما كتبه ودونه مخططو تنظيم القاعدة، هذا التنظيم الذي انقلب البغدادي عليه وطرح نفسه بديلا لزعيمه (ايمن الظواهري).

ورغم ان عمل داعش قد شهد تطورا كبيرا منذ استلام البغدادي لقيادته، لكن من المقطوع به ان البغدادي لا يعمل وحده، وان وصول داعش الى ما وصل اليه انما كان بسبب تضافر عوامل عدة ومنها:

- استقدام عناصر متمرسة واستقطابها واعطائها دورا كبيرا في حركة التنظيم، وهو ما يبرر كون داعش هو الاكثر استقطابا للمجموعات التكفيرية غير العربية(باكستان، الشيشان، دول غربية وغيرها).

- اعتماد البغدادي على كثير من ضباط جيش صدام حسين وخبراتهم.
- الاستفادة من ضعف شخصية الظواهري وعدم مبايعة العديد من قادة تنظيم القاعدة له بسبب ظهور ثغرات كثيرة منذ استلامه لقيادة التنظيم بعد اغتيال بن لادن عام ٢٠١١. وظهرت هذه التململات من خلال رسائل عدة ارسلها بعض قادة التنظيم للظواهري نفسه.(على سبيل المثال: رسالة مفتوحة من الشيخ أبي يوسف الغريب الى أيمن الظواهري تحت عنوان «أوذينا من قبل ان تأتينا ومن بعد ماجئتن»»، ورسالة ابو بكر الزيلعي الصومالي (قبل مقتله) تحت عنوان «اني انا النذير العريان»).
- الاستفادة من الضعف الامني للاجهزة العراقية من جهة وانسحاب الجيش السوري من بعض المناطق السورية القريبة من الحدود العراقية في اطار اعادة انتشار وتجميع القوى، ما سمح لداعش بتحقيق انجازات ميدانية في تلك المناطق ساعد في توسع داعش على حساب التنظيم الام.
- الامكانيات المالية الكبيرة لداعش لا سيما بعد ان وضع يده على مناطق نفطية في سوريا.
- اختراقات استخبارية عبر بعض من وصل الى مواقع المسؤولية. وتقوم هذه الاستخبارات بواسطة عملائها بتزويد التنظيم بالخطط والاستراتيجيات التي تناسبها.

د - قراءة التاريخ

لا ينحصر تركيز الكتابين على استشراف المستقبل والتخطيط له، بل من الملاحظ فيهما الاستفادة الكبيرة من قراءة التاريخ. ولذلك نجد انهما حافلان بالاستشهاد بوقائع تاريخية يمكن البناء عليها في فهم مسار الاحداث واستنباط آليات عمل، وأخذ العبر. فلم يعتمدا على اسلوب التنظير الفكري بعيدا عن الوقائع العملية، ما اضفى عليهما نوعا من «الواقعية»، وان كانت بعض النصوص والمشاريع قد تبدو مستبعدة التحقق، الا ان الاتيان بوقائع تاريخية قد يحفز هؤلاء على المثابرة.

هـ - النظرة الشمولية:

هذا ولا بد من الاعتراف ان هاتين الدراستين تتمتعان بنظرة شمولية، وقراءة عميقة لما يجري في المنطقة. وهي من هذه الناحية اشبه بالدراسات التي كانت تعدها الماركسية للصراعات العالمية، او تكتبها القومية العربية في نظرتها للمنطقة بشكل عام.

و - المصادر الفكرية

لا يمكن لاحد ان ينكر ان الفكر التكفيري خرج من رحم الوهابية، وان كل واحد منهما يمثل وجها للآخر. وفي الوقت الذي يمثل فيه ابن تيمية وابن عبد الوهاب العمق الفقهي والعقدي لكلا الطرفين، فان التكفيريين قد استفادوا في الساسيات الشرعية في التخطيط والتنظير من كتابات ابن قيم الجوزية (الطرق الحكمية في السياسة

الشرعية) وابي الاعلى المودودي، والماوردي (الاحكام السلطانية والولايات الدينية) اضافة الى ابي قتادة الفلسطيني، وابو مصعب السوري، دون ان ننسى كتابات سيد قطب. وهذا ما يمكن ملاحظته من خلال المصادر التي اعتمدها الكاتبان.

ز - التجربة الاسرائيلية في فلسطين

ولعل من اللافت ايضا في هذين الكتابين هو قيام الكاتبين بالاكثار من الاتيان بامثلة عن التجربة الاسرائيلية في فلسطين، لا سيما في «المذكرة الاستراتيجية» ومن اهم النقاط التي استشهد بها يمكن الحديث عن:

- تهجير الاقليات ضمن اطار نظرية «التأمين الاستراتيجي». فقد استشهد الكاتب لتبرير صحة نظريته بما فعله الاسرائيليون في فلسطين من تهجير. وتبدو خطورة هذا الاستشهاد بانه يبرر نظرية التهجير لانه يؤمن لهم استراتيجياً ديمومة كيانهم.
- اسلوب عمل العصابات الصهيونية خلال المراحل الاولى لنشوء الكيان. واتى هذا الاستدلال عند الحديث عن مرحلة «المصاولة».
- وضع هذه العصابات اليد على المناطق الزراعية في اطار تأمين المقومات الاولية «للدولة» المزمع انشاؤها.
- التبرير الديني كعامل استنهاض لقبول «الدولة». فعند حديثة عن اهم المواصفات التي ينبغي توافرها في المنطقة التي

يجب اختيارها لتكون نواة «الدولة»، تحدث عن ضرورة وجود عمق وخلفية دينية لهذه المناطق، مستشهدا بالتجربة الاسرائيلية.

ح - بلاد الشام

كما يمكن ملاحظة ان كلا من «ادارة التوحش» و«المذكرة الاستراتيجية»، قد حددا بلاد الشام كمنطقة مقترحة لنواة «الدولة». وتتمحور تبريرات هذا الاختيار في النقاط التالية:

- التبرير الديني: ويرتكز على ما سردوه من «احاديث نبوية» عن بلاد الشام واهلها واهميتها.
- انها كانت مركزا لخلافة اسلامية (الخلافة الاموية).
- انها قريبة من مركز خلافة اسلامية سابقة ايضا (حدودها مع العراق مركز الخلافة العباسية).
- انها قريبة من الاماكن الاسلامية الاساسية (حدودها مع السعودية مع الاخذ بعين الاعتبار ان بلاد الشام وفق الادبيات القاعدية والنصوص الدينية التاريخية تشمل الاردن).
- لكن مركز «الخلافة الاسلامية»، وان كان متفقا عليه في هذين الكتابين وهو الشام، فقد برز رأي ذكره فؤاد حسين (في كتاب

الزرقاوي الجيل الثاني للقاعدة) ان العراق سيكون هو مركز الخلافة.[1]

ويبدو ان البغدادي قد جمع بين الرأيين واعلن خلافته في العراق والشام معا.

ط ـ استبعاد المملكة السعودية

نجد ان المؤلفين قدما التبريرات لاستبعاد المملكة كمركز «للخلافة» المنشودة. مع تركيز اكبر على الشام والعراق (ادارة التوحش) وعلى الشام واليمن (المذكرة الاستراتيجية).

من الواضح ان هذا «التوحش» تجري ادارته بعناية ووفق ابحاث ودراسات، من الغرب الذي كان متوحشا وما زال، ومن جماعات تكفيرية لا تستحضر من التاريخ الا المتوحش منه، وتتماهى معه كتاريخ ينبغي الاقتداء به.

اننا امام استراتيجيا «التوحش»، ومن يريد المواجهة لن يتسنى له ذلك من خلال حلول موضعية ومواجهات متفرقة، واعمال انفعالية، بل لا بد من تخطيط استراتيجي يقابله، ومن خطط تقارب اكثر طبيعة المجتمعات وهواجسها وتطلعاتها.

ان اي ذهاب للمواجهة مع هذه الجماعات لا ينطلق من خطة شاملة، لن يكون مصيره سوى الفشل، ولن يزيد المنطقة الا ايغالا في عصر التوحش.

---

(١) راجع: الزرقاوي الجيل الثاني للقاعدة، ص٨١؛ وادارة التوحش، ص١٥؛ والمذكرة الاستراتيجية،ص٢٣.

ثالث عشر: اساليب عمل داعش

ويمكن تلخيص اساليب عمل داعش بالنقاط التالية:

١- اللعب على الخلافات القبلية والعشائرية والعرقية والدينية والمذهبية والطائفية داخل المجتمعات.

٢- الاستفادة من العناصر المناوئة لانظمتها.

٣- العمل على العناصر التي تحمل فكراً تكفيرياً، لتحويله من موقف فكري الى موقف عملي.

٤- استغلال سياسات الكيل بمكياليين التي تنتهجها الدول الغربية لاستنهاض واستقطاب الجماهير.

٥- استغلال الفساد المالي لاستمالة نافذين في المؤسسات العسكرية والمدنية والدينية.

٦- استغلال موقف الغرب من بعض الدول التي تعتبرها «مارقة» لاسقاطها بحجة ان هذا الاسقاط سوف يكون موضع ترحيب من الغرب.

٧- استغلال الفوضى في بعض المناطق للنفوذ اليها.

٨- استغلال ضعف القيادة الامنية في بعض الدول.

٩- استغلال الفقر والجهل والأمية.

١٠- استغلال الميول الدينية لطبقات معينة من الناس في سبيل

تحويلها الى ميول تكفيرية عنفية.

١١- احتكار الملوك والامراء والمسؤولين للثروات، وصرفها في امور ترفيهية مع تجاهل حاجات الشعوب.

١٢- استغلال ضعف البنى التربوية والثقافية.

١٣- استغلال وجود فضاء واسع على الشبكة العنكبوتية لنشر افكارهم والترويج لها.

رابع عشر: التجنيد

كيف تتمكن الجماعات التكفيرية من تجنيد الشباب لينخرطوا في عالم الارهاب الدموي؟ فبحسب وثائق وجدت في منزل المدعو عبدالرحمن علي اسكندر، الذي اعتقلته القوات العراقية، عُثر على اوراق ومستندات تشرح بدقة كيفية تجنيد عناصر للالتحاق بخلايا «جهادية» مع الحرص على عدم تعرض التنظيم للاختراق.

١- مواصفات الشخص المستهدف للتجنيد

- مطيع غير مجادل.
- لا خلفيات ايديولوجية لديه.
- ميول تدينية.
- بساطة في التفكير.

٢- الافكار الاولية التي تزرع عند المستهدف:

- احوال الامة وتراجعها.
- العودة الى قوة الامة لا تتم الا بتنظيم قوي.
- التنظيم القوي لا يكون الا بجماعة مطيعة لقادتها.
- التأخر عن الالتحاق يعني انك تشق عصا الطاعة.
- ان الدين الاسلامي هو المستهدف.
- ان السكوت هو مساعدة للظالم.
- التخلف الاجتماعي والاقتصادي سببه غضب اللّه على الناس التي لا تقوم على الظلم.

٣- مراحل التجنيد:

أ ـ المرحلة الأولى: التصويب نحو الهدف وجمع التحريات وكيفية إنتقاء العناصر للتنظيم:

- البحث عن طفولته ومعرفة نقاط الضعف والقوة فيها.
- أصدقاؤه القدامى وزملاؤه في الدراسة وحالة عائلته المادية وتحصيله العلمي ومهنته وقدراته الأخرى.
- المراقبة والتفتيش من خلال رصده وتتبع حركته.
- الوصول إلى معلومات عنه في سجلات الأحوال المدنية.

- دس نبضه حول الفكرة الجهادية.
- عرض افلام عن بعض العمليات «الجهادية» أمامه، ورصد ردات فعله تجاهها.
- أن لا يكون ثمة نقاط في تاريخه مما يمكن ان يشكل نقاط ضعف تمكن من تجنيده من جهات اخرى لاختراق التنظيم.
- معرفة قناعاته السياسية الحالية.
- لا يتم الانتقال الى المرحلة الثانية من التجنيد الا بعد ضمان توفر المرحلة الاولى.

ب ـ المرحلة الثانية: بناء الجسور المؤمنة:

- الاتصال بأفراد الجيش والشرطة التابعين لهم لربطهم بالمسؤول الخاص حتى لا يؤدي إلى كشفهم مبكرا.
- دراسة الشخصية لمعرفة طبيعة العمل الذي يمكن ان توكل اليه وعلى رأسها ان كان سيفرز للعمل العلني او العمل السري.
- المستهدف لمهام سرية يجب ألا تكون هيئته اسلامية (لحية او جلباب او سواك او مصحف او مشي مع زوجة منقبة).
- السري لا يستخدم ألفاظ الملتزمين.ـ(جزاكم اللّه خيرا، أو السلام عليكم، أو بارك اللّه بكم).
- السري لا يذهب للأماكن الإسلامية مثل المساجد المعروفة والمكتبات وفي أي مكان يذهب اليه ينبغي ان يسبقه عذر للتغطية.

- السري لا يتعرض لوسائل الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر.
- اختبارات التأكد من اللياقة النفسية والطبية والعقلية وأخرى سيكولوجية لقياس قدرته على كتم الأسرار والثبات العاطفي والتعاون وحسن التصرف.
- وضع العنصر الجديد في المكان المناسب حسب مقوماته.. أمني، مقاتل، إعلامي.
- من لا يستطيع كتم الأسرار لا يعطى صلاحيات ومهام.

ج - المرحلة الثالثة: الإعداد:

- دورات في الأمنيات والدفاع الأمني وادراجهم في مجموعات مناسبة لهم بعد تصنيفهم.
- تدريبات خاصة للذين يعملون في الجبهات وأخرى للذين يعملون في المدن.
- دورات شرعية.

خامس عشر: نساء داعش و«عرائس الجهاد»

لا يقتصر الانضمام لتنظيم «الدولة الإسلامية» على الرجال فحسب، بل للنساء دورهم أيضا. وهو أمر يتم وفقا لخطة معينة كشف عنها منشور كتيبة الخنساء النسائية الخاصة بالتنظيم. وتركز الخطة على جذب نساء للتنظيم ممن لم يحصلن على تعليم جيد ويتم اعدادهن لادوار محددة في المجتمع.

ففي الثاني والعشرين من شهر كانون الثاني يناير من هذا العام (٢٠١٥) نشرت مواقع «جهادية» وثيقة صادرة عن «سرية الخنساء الاعلامية»، وهي السرية التي تعني بشؤون المرأة في التنتظيم، بعنوان « المرأة في الدولة الاسلامية - رسالة وتقرير».

وتقول مقدمة الوثيقة إن هذه الوثيقة لم يتم إقرارها من قبل «الدولة» أو قيادتها، وبالتالي «لا يصح اعتبارها كدستور أو شيء من هذا تريد الدولة أن تقرره بشأن المرأة» بل هو وثيقة تهدف إلى «توضيح دور المرأة المسلمة وشكل الحياة المطلوبة بالنسبة لهم» و«لتوضيح حقائق حياة المرأة في الدولة الإسلامية».

ويحسب الوثيقة فانه ومن «سن السابعة إلى التاسعة، يتم التركيز على ثلاثة دروس: الفقه والدين، القرآن والعربية (كتابة وقراءة) والعلوم (المحاسبة والعلوم الطبيعية)».

ومن سن العاشرة إلى الثانية عشرة، سيكون هناك المزيد من الدراسات الدينية، وخاصة الفقه، مع التركيز أكثر على الفقه المتعلق بالمرأة وأحكام الزواج والطلاق. ويضاف موضوعان وهما المهارات مثل المنسوجات والحياكة، كما سيتم تدريس أساسيات الطهي.

ومن سن الثالثة عشرة إلى الخامسة عشرة، سيكون هناك المزيد من التركيز على علوم الشريعة، فضلًا عن المزيد من التركيز على المهارات اليدوية (وخاصة تلك المتعلقة بتربية الأطفال) مع تركيز أقل على العلوم، التي ستكون أساسياتها قد تم تدريسها بالفعل. وبالإضافة إلى ذلك، سيتم تدريس التاريخ الإسلامي، وحياة النبي وأتباعه.

ويحق للفتاة، وفق التنظيم، أن تتزوج في سن التاسعة. وسوف تكون معظم الفتيات الصالحات متزوجات في سن السادسة عشرة أو السابعة عشرة.

وتضيف الوثيقة إن النموذج الغربي للمرأة قد فشل. وإن النساء اللاتي يخرجن للعمل يتبنين «أفكارًا فاسدة ومعتقدات غير صحيحة بدلًا من الدين». وإن «النموذج المفضل من قبل الكفار في الغرب قد فشل في اللحظة التي «تحررت» فيها النساء من زنازينهن في المنزل».

وتؤكد الوثيقة على أنه لا ينبغي للمجتمع الإسلامي المثالي أن ينشغل بمحاولة الكشف عن أسرار الطبيعة والوصول إلى قمة الرقي المعماري. وبدلًا من ذلك ينبغي عليه أن يركز على تطبيق الشريعة الإسلامية ونشر الإسلام.

وفي القسم المعنون: «كيف يمنع جنود إبليس النساء من دخول الجنة»، يشير المنشور إلي نمط الحياة الغربية الذي يشجع الرجال والنساء على التعليم والعمل. كما يدين الدليل ارتداء الملابس تبعًا للموضة ويقول: «يتم تقديم التحضر والحداثة والموضة التي صنعها إبليس في محلات الأزياء وصالونات التجميل».

ويعتبر داعش أن «الوظيفة الأساسية» للمرأة هي أن تبقى في المنزل مع زوجها وأطفالها. نعم قد تغادر المرأة المنزل لخدمة المجتمع، كالجهاد في حال عدم وجود الرجال، أو لدراسة الدين، لكن ذلك يبقى حالة استثنائية. كما يسمح للطبيبات والمدرسات بالخروج ولكن عليهن «الالتزام بدقة بالمبادئ التوجيهية للشريعة».

وعلى أي حال، لا يحتاج النص الوارد في الوثيقة لمجهود في الفهم، فهو لا يتعلق بالدخول في الإسلام، وانما هو موجه اصلاً للمسلمات، في محاولة لجذبهن لصفوف «داعش» الذي يزعم أنه يقدم للمسلمات حقوقهن التي كفلها الإسلام، ويؤكد أن المرأة داخل صفوفه لا يجب أن تخشى القمع طالما تؤدي واجباتها.

اذن يمكن اعتبار ان هذه الوثيقة عبارة عن «منشور للتجنيد والبروباغندا في المقام الأول». ومن الواضح ان المنشور يقوم بتجميل شكل الحياة في المناطق التي يسيطر عليها «داعش»، فلا حديث عن وحشية التنظيم ضد الخارجين عنه، أو ضد غير المسلمين، ولا ضد الرافضين للانصياع لأوامره.

وبغض النظر عن وجود أمثلة مشابهة لوضع المرأة بين المتشددين من أتباع ديانات أخرى، إلا أن التشدد الحاد في صورة المرأة لدى «داعش» ليس بالجديد. ويحاول التنظيم أن يحظى بالرواج بين النساء العربيات من خلال تسليط الضوء على أوضاعهن الاجتماعية الصعبة وأزمة الهوية وزيادة الأعباء على عاتق المسلمات في الطبقات المتدنية وتقديم الوعود بحل هذه الأمور على طريقته.

لكن المفارقة ان داعش لم يقم بترجمة نص المنشور للغة غربية، وإنما قامت مؤسسة كويليام البحثية البريطانية بهذا الأمر. وبررت كويليام هذه الخطوة برغبتها في الكشف عن التراجع في صورة المرأة التي يقدمها «داعش»، لكن الرصاصة ارتدت إلى مطلقها فبفضل مؤسسة كويليام، وصلت وعود «داعش» هذه لنساء مسلمات

يعانين من مشكلات مشابهة في الغرب، ولم تكن لديهن فكرة عنها حتى الآن بسبب عدم إجادتهن للعربية.

ومهما يكن من أمر، فان داعش يقوم بشكل عام باجتذاب الرجال عن طريق الاغراءات حيناً، والغسل «الجهادي» للادمغة حيناً آخر، لكن السؤال يبقى عن كيفية اجتذاب التنظيم للنساء غير العربيات تحديداً، أو من يطلق عليهن اسم «عرائس الجهاد»؟

إذا وضعنا بعين الاعتبار هذا الوثيقة فسنجد أنه لا مكان للإغراء بمنتجات ترفيهية، بل على العكس تماما إذ يحاول التنظيم جذب النساء من خلال فكرة العودة للدور التقليدي للمرأة وان دور المرأة الاساس هو بكونها ربة بيت وأم.

فقد كشفت دراسة بريطانية أن أعداد الفتيات الغربيات من العائلات ميسورة الحال اللائي ينضممن لتنظيم «الدولة الإسلامية» في تزايد. وأضافت الدراسة أن هؤلاء الفتيات، في كثير من الأحيان، حاصلات على تعليم جيد ولديهن مفاهيم رومانسية سرعان ما تبددها خشونة حياة «عروس الجهاد».

وكشفت دراسة صادرة عن «معهد الحوار الإستراتيجي والمركز الدولي لدراسة التطرف» في جامعة «كينغز كوليدج» في لندن، عن مغادرة حوالي ٥٥٠ امرأة من دول غربية بلادهن، للالتحاق بتنظيم «الدولة الإسلامية».

وأضافت الدراسة أنه لم تُبذل جهود كثيرة لتفسير ظاهرة «الزيادة التي لم يسبق لها مثيل» في عدد من ينضممن للتنظيم الجهادي، أو

على صعيد وضع إجراءات وقائية للحؤول دون سفرهن.

وحملت الدراسة عنوان «حتى تفرق بيننا الشهادة» ومما جاء فيها أن «المجندات الغربيات في تنظيم «الدولة الإسلامية» «يحطمن القوالب الجاهزة الخاصة بمن هن عرضة لخطر التطرف والانخراط في الجهاد وشبكات التشدد العنيف». وذكرت الدراسة أن أعمارهن تتدنى على نحو متزايد، وبعضهن من عائلات ميسورة الحال، وفي أحيان كثيرة هن من الحاصلات على تعليم جيد، ولذلك فأنهن يلعبن أدوارا مهمة في مجالي الدعاية والتجنيد.

واستنادا إلى نشاط أكثر من مئة امرأة غربية على وسائل التواصل الاجتماعي، ممن يعتقدن أنهن انضممن للمتشددين، قال الباحثون إن هناك أسبابا مختلفة لانضمام النساء للتنظيم.

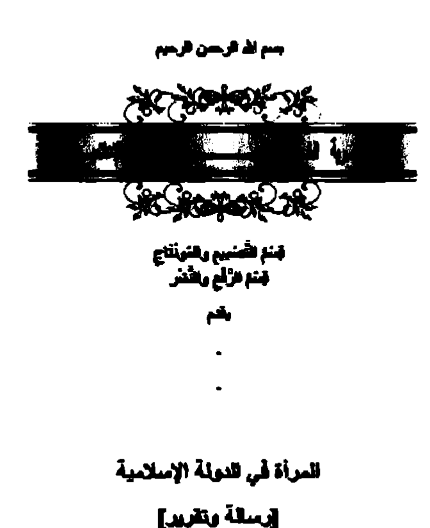
وجاء في الدراسة أن «افتراض أن الإناث ينضممن لتنظيم الدولة الإسلامية أساسا ليصبحن عرائس الجهاد ينطوي على تبسيط للأمور وهو قبل كل شيء غير صحيح». ولنفس أسباب انضمام الرجال، تشعر النساء بالعزلة الاجتماعية والثقافية ويعتقدن أن المسلمين مضطهدون ويشعرن بالغضب لعدم فعل شيء حيال ذلك.

كما أن من عناصر الجذب ايضا هو التصور المثالي عن الواجب الديني وإحساس بالأخوة وعشق المغامرة. لكن الحياة في كنف التنظيم بعيدة عن الصورة التي تراها النساء على الإنترنت. فالأوضاع قاسية وبعضهن يصبحن أرامل في سن صغيرة.

وقالت الدراسة إن «مسؤولية المرأة الغربية في الأراضي التي

يسيطر عليها تنظيم الدولة الإسلامية هي أولا، وقبل كل شيء، أن تكون زوجة صالحة للزوج الجهادي الذي تتم خطبتها له، وأن تصبح أماً للجيل المقبل من المتطرفين الإسلاميين».

وخلصت الدراسة البريطانية، إلى أن هناك حاجة لرسائل «مضادة للتشدد» تستهدف النساء على نحو خاص، لتوضح بالتفصيل مدى بعد الحياة، في ظل هذا التنظيم المتطرف، عن الصورة المثالية، إلى جانب وضع برامج أفضل للعائدات من سوريا والعراق بهدف مكافحة الفكر المتشدد وإدماجهن مرة أخرى في المجتمع.





سادس عشر: أشبال الخلافة... أطفال«الدولة الاسلامية» (داعش)

منذ[1] صعود تنظيم الدولة الإسلامية (المعروف باسم داعش) أظهر التنظيم الأطفال بشكل بارز في حملاته الدعائية. في الأسابيع القليلة الماضية، نشر التنظيم ثلاثة مقاطع فيديو قصيرة لأطفال تتراوح أعمارهم بين ١٠ و ١٥ سنة، وهم في التدريب، كما نشر مقطعًا آخر يظهر فيه الأطفال أثناء ارتكاب الجرائم الأخرى. ويصور أحد مقاطع الفيديو مجموعة من الفتيان وهم يشاركون في تدريب بالذخيرة الحية داخل ما يُعرف باسم «بيت القتل»، وهو مكان داخلي للرماية يُستخدم لتدريب المجندين بالذخيرة الحية حول كيفية التسلل إلى مبنى سكني والسيطرة عليه.

يتعلم الأطفال كيفية الوصول إلى المبنى واقتحامه قبل الانتقال من غرفة إلى غرفة، ويتعلمون أيضًا كيفية إخضاع وإزالة المقيم بالمبنى لاستخدامه كرهينة. كما يتم تدريب الأطفال كقناصة، وتعليمهم كيفية نصب كمين لسيارة متحركة. وفي يوم ٤ يوليو، نشر التنظيم شريط فيديو يظهر فيه الأطفال وهم يعدمون ٢٥ جنديًا سوريًا، وفي شريط فيديو آخر نُشر عن مذبحة سبايكر في تكريت، كان الأطفال بين منفذي حُكم الإعدام.

(١) هذا الفصل ترجمة لتقرير نشرته مجلة «فورين افيرز» الاميركية في شهر تموز، يوليو ٢٠١٥. راجع:
https://www.foreignaffairs.com/articles/2015-07-21/cubs-caliphate.

بالنسبة لداعش، الأطفال ليسوا مجرد دعاية لا تُقدر بثمن؛ بل هم محاربون يمكنهم القتل. إنهم ما يطلق عليهم التنظيم «أشبال الخلافة»، وهي الظاهرة التي درسناها في الكتاب الذي سيصدر قريبًا بعنوان «الأسلحة الصغيرة: الأطفال والإرهاب»، والذي يتناول العديد من الطرق التي تجنّد بها المنظمات الإرهابية الأطفال في جميع أنحاء العالم. وبعد تحليل دقيق للحملات الدعائية، ووسائل التواصل الاجتماعي لتنظيم داعش، ومقابلات أجراها صحفيون آخرون وعمّال الإغاثة مع الأطفال الهاربين، أصبح لدينا صورة واضحة عن شكل التجنيد والتدريب داخل التنظيم.

يقع أطفال داعش في خمس فئات: أولئك الذين ولدوا لمقاتلين أجانب أو مهاجرين، وأولئك الذين ولدوا لمقاتلين محليين، وأولئك الذين تم التخلي عنهم ووجدوا طريقهم إلى دار الأيتام التي يسيطر عليها داعش، وأولئك الذين أُخذوا قسرًا من والديهم، وأولئك الذين انضموا طواعية إلى التنظيم.

يميل الأطفال في معسكرات التدريب إلى أن يكونوا من أولئك الذين أُخذوا من أسرهم أو وُجِدوا في دور الأيتام. ومن ناحية أخرى، يميل الأطفال في المدارس التي يسيطر عليها داعش إلى أن يكونوا من أولئك الذين تطوعت بهم أسرهم. وهناك نسبة متزايدة من الأطفال ينضمون إلى داعش نتيجة لعملية الاستمالة؛ حيث يغرس التنظيم في روحهم الالتزام والصداقة الحميمة.

وفي حين أنّ العدد الفعلي للأطفال الذين يقاتلون في سوريا غير

معروف حتى الآن، فإن هناك ١٩٤ حالة وفاة للأطفال الذكور «غير المدنيين» حدثت بين سبتمبر عام ٢٠١١ ويونيو عام ٢٠١٤، وذلك وفقًا لإحصائيات مركز توثيق الانتهاكات. وفي يونيو عام ٢٠١٥، ذكرت الأمم المتحدة أنّ ٢٧١ من الفتيان و٧ من الفتيات تم تجنيدهم من قِبل الجماعات التابعة للجيش السوري الحر، ووحدات حماية الشعب الكردية، وتنظيم داعش، وجبهة النصرة. في ٧٧٪ من هذه الحالات، كان الأطفال مسلحين أو تم استخدامهم في القتال، وكان واحد من بين خمسة منهم تحت سن الخامسة عشر.

يختلف هذا النمط عن تجنيد الأطفال في العديد من الأماكن الأخرى، لا سيما في الدول الأفريقية، حيث يكون الأطفال المعدين للقتال في الغالب من الأيتام. وبشكل عام، لم يكن لدى هؤلاء الأطفال آباء؛ ولذا يجري اختطافهم أو يتخلى عنهم القائمون على رعايتهم. بعد ذلك، يعمل أعضاء التنظيم على تهيئتهم اجتماعيًا لتكوين علاقات وثيقة مع باقي الأعضاء ليحلوا محل أسرهم. وفي هذا الصدد، تتشابه أنماط تجنيد داعش مع جبهة تحرير مورو الإسلامية في الفلبين، حيث يتواجد أولياء الأمور هناك أيضًا ويشجعون أبناءهم على الانخراط في القتال. ويمكن إيجاد أمثلة على جلب مقاتلي داعش لأطفالهم إلى منطقة القتال من المملكة المتحدة، حيث الأخوات الثلاث خديجة داوود، وسوجرا داوود، وزهرة داوود، في أوائل الثلاثينات من عمرهن، ولدوا في المملكة المتحدة، وتركن أزواجهن من أجل الانضمام إلى داعش، وأخذن أطفالهن التسعة إلى سوريا. وقبل ذلك، في فبراير الماضي، اختفت أربع فتيات من أكاديمية بيثنال جرين في

لندن، ومنذ ذلك الحين أكّد والدا الفتيات المفقودات أنّ بناتهما قد تزوجن مقاتلين أجانب في داعش.

هناك مئات من الأطفال الأجانب الذين وصلوا بطريقة مماثلة إلى سوريا من أوروبا والشرق الأوسط وجنوب آسيا. وعندما يصلون إلى سوريا، يجري تسجيلهم في واحدة من العديد من المدارس الدينية، اثنتان منها مخصصتان لتلبية احتياجات المتحدثين باللغة الانجليزية. وتمثل هذه المدارس جانبًا واحدًا من استراتيجية داعش لتحويل الأطفال من مجرد متفرجين إلى مقاتلين أكفاء ملتزمين بشكل كامل، وهو نموذج منهجي ومؤسسي قائم على إساءة استخدام الأطفال، ويحتوي على ست مراحل مختلفة: التنشئة الاجتماعية، والتعليم، والاختيار والتدجين، والتخصص، والتمركز.

التنشئة الاجتماعية

في البداية، يستميل تنظيم داعش الأطفال عن طريق التلقين، ولكن من خلال التنشئة الاجتماعية التدريجية. ويفعل التنظيم ذلك بعدد من الطرق، ولكن الأكثر وضوحًا بين هذه الطرق، يحدث من خلال المناسبات العامة التي تهدف إلى رفع مستوى الوعي حول الفرص التي يقدمها التنظيم. بعض من هذه المناسبات، والتي تكون في كثير من الأحيان على نطاق صغير، تجذب الأطفال من خلال تقديم لعب مجانية وحلوى. يمكن للأطفال المحليين في هذه الأحداث الاجتماعية المساعدة من خلال التلويح بالراية السوداء، وهي علم داعش.

تحت حُكم داعش، يتم تشجيع الأطفال بشكل روتيني ليشهدوا عمليات الإعدام العلنية. في البداية، يشاهد الأطفال عمليات إعدام مصورة، ثم يحضرونها بأنفسهم. وفي أشرطة الفيديو الدعائية، نلاحظ الأطفال يتدافعون بين صفوف البالغين للوصول إلى وضع يسمح لهم بالرؤية المباشرة للحدث. وسرعان ما يتعلم الأطفال لماذا يقسّم العقاب البدني، وبفضل المشهد الروتيني لمثل هذه الأحداث، يستوعب الأطفال هذا العنف ويعتبرونه طبيعيًا.

يقوم التنظيم بمكافأة الأطفال المقاتلين من الأجانب حتى على مشاركتهم الثانوية. في أشرطة الفيديو الدعائية لداعش، يقفون أمام الكاميرا بتوجيه من المصورين حول كيفية التصرف، وفي بعض الحالات، تتم الإشادة بالأطفال لإشهار السلاح أو رفع الرؤوس المقطوعة لضحايا داعش.

وفي هذا الصدد، يشبه تنظيم داعش العديد من الجماعات المتشددة والمتطرفة الأخرى؛ حيث تجبر تلك الميليشيات الأطفال على الانخراط في الأعمال البشعة منذ اليوم الأول؛ من أجل منعهم من الانشقاق. ومن خلال إجبار الأطفال على المشاركة في الأعمال المروعة، تضمن الميليشيات عدم تقبل أفراد أسرهم لعودتهم. إنها واحدة من الطرق التي تغلق بها الميليشيات كافة الخيارات للهروب. ولكن داخل داعش، ينخرط الأطفال في الأعمال الوحشية مع تشجيع وموافقة والديهم. كما أنّ انتهاك الأعراف الاجتماعية لا يسبب أن

يُطرد الطفل دون وجود طريق للعودة إلى المنزل، وإنما هي وسيلة للمشاركة كطرف من الداخل.

التعليم، والاختيار والتدجين

بعد حضور المناسبات الاجتماعية، تحدث الخطوة التالية في التلقين من خلال التجنيد في إطار برامج التعليم المجاني للنظام. بعد أن انحدرت سوريا في حالة من الفوضى، فرض داعش سيطرته على العديد من المدارس والمساجد. وبالرغم من أن العديد من معلمي المدارس السورية الأصليين ظلوا في مواقعهم، لكنهم الآن يدرسون منهجًا يسيطر عليه داعش من خلال التمييز بين الجنسين؛ وهو منهج يتضمن التدريب على الأسلحة والتكيف الأيديولوجي. الحضور في المدارس ليس إلزاميًا، ولكن الكثير من الآباء يرسلون أطفالهم عن طيب خاطر. ولكن في عدد قليل من الحالات يرفض الأهل الامتثال، ويتم تهديدهم.

في هذه المدارس، يتعلم الأطفال بشكل منهجي أيديولوجية داعش، الأمر الذي يجعلهم أقرب إلى بعضهم البعض وكذلك لأعضاء التنظيم الذين يبحثون عن الأطفال ذوي الموهبة لضم «شبل» جديد إلى أحد معسكرات التدريب المخصصة للمجموعة. تأتي البرامج التعليمية على النقيض من معاملة الجنود الأطفال في أفريقيا، الذين عادة لا يتلقون أي نوع من التعليم. خلال حملات التنظيم الخاصة في أفريقيا، لا تدير الميليشيات في ليبريا أو أوغندا المدارس لإعداد الجيل القادم من المقاتلين. يُنظر إلى الأطفال

باعتبارهم مجرد طعمة للمدافع، وهذا يجعل التعليم غير منطقي. ولم تهتم تلك الميليشيات بخلق اتفاق أيديولوجي، لكنها كانت بحاجة إلى جثث للقتال.

هنا، تشارك داعش الكثير من القواسم المشتركة مع الحركة السريلانكية «نمور التاميل»، والتي تستخدم الدعاية في المدارس لجذب المجندين الشباب. وقد اتبعت الماويون في نيبال سياسات مماثلة عندما حاربوا ضد الحكم الملكي في البلاد خلال الحرب الأهلية التي استمرت عشر سنوات والتي بدأت في عام ١٩٩٦. وترى راجيندا شاكيا من منظمة التنمية الهولندية، أنّ الماويين استخدموا التعليم لبناء الإحساس بالهوية عند الأطفال الصغار من خلال منهج دراسي موحد. وقدّم المتمردون الوصول الإلزامي لتعليم الفتيات، والقضاء على التمييز على أساس الطائفة أو إجبار المدرسين على الامتثال للقواعد واللوائح الخاصة بهم، وحظر دراسة اللغة السنسكريتية. وأعرب الماويون عن رأيهم بأن التعليم أمر أساسي لخلق جيل جديد من الثوريين المستنيرين.

ومثل سري لانكا والجماعات النيبالية، يخلق تنظيم داعش شعورًا بالفخر، والهيبة، والمنافسة داخل الطلاب في «نادي الأشبال.» لن يكون كل طفل مؤهلًا للتدريب العسكري؛ بل يتم إعدادهم الطلاب الأصغر سنًا في البداية كجواسيس وتشجيعهم على الإبلاغ عن أفراد الأسرة أو الجيران الذين ينتقدون التنظيم أو يخالفون تنفيذ أحكام

الشريعة. يدرك هؤلاء المجندون الشباب أنهم يقومون بعمل جيد، ومن ثم يمكنهم الوصول إلى تدريب الأشبال.

إذا فعلوا ذلك، يخضعون لعملية منهجية مماثلة تنطوي على التلقين والتدريب البدني. يحاكي الأطفال قدوتهم من الكبار: يرتدون زيًا مشابهًا ويتعلمون اللغة المتداولة. كما يتم تعليم الأطفال عن «العدو» (عن غير المؤمنين) ولماذا يجب استئصالهم.

عندما يتعلق الأمر بالتدريب العسكري، هناك بعض التناقضات الكبيرة بين أشبال داعش والتكتيكات التي كانت تدرس للجنود الأطفال أثناء الصراعات في ليبيريا وسيراليون وأوغندا. تعتبر الميليشيات الأفريقية الأطفال كأعضاء ذوي مهارات منخفضة في الجيش قيمتهم الوحيدة هي شبابهم وسهولة توافرهم. ستيوارت ماسلن، منسق ائتلاف من أجل وقف استخدام الجنود الأطفال، جادل بأنّ الجنود الأطفال في أفريقيا يتلقون القليل من التدريب، وكثيرًا ما يتم ذبحهم، وأنّ الأطفال الذين يرفضون إطاعة الأوامر أو يحاولون الهرب يتم قتلهم بكل بساطة. وعلى النقيض من ذلك، أعطت حركة نمور التاميل المجندين الجدد بندقية خشبية لإعدادهم وتدريبهم على استخدام السلاح.

يقول ماسلن، وكذلك شارو لاتا هوغ الباحثة بمركز تشاتام هاوس في آسيا، إنّ الأطفال يعملون في البداية كرسل وجواسيس، ولكن يتم استخدامهم كمقاتلين في سن العاشرة عندما يكونون أقوياء بدرجة كافية لإطلاق النار. كما يتلقى الفتيان التدريب على القتال في وقت

أقرب من الفتيات. وبين المجموعات المسلحة الفلسطينية، تجنّد الجبهة الشعبية لتحرير فلسطين الأطفال للأنشطة الثقافية والتعليمية، حيث يتم تقييم أدائهم لعضوية الجبهة. ومع ذلك، يُسمح بالعضوية التطوعية في الجبهة في سن الثامنة عشر فقط.

ومثل غيرهم من الأطفال في المناطق التي يسيطر عليها داعش، يشهد المجندون من أشبال التنظيم بشكل روتيني عمليات الصَلب، والرجم، وقطع الرؤوس. ولكن الأشبال ينتقلون من رؤية عمليات الإعدام إلى مرافقة السجناء نحو موتهم الحتمي. في حالة واحدة يوزع الأشبال السكاكين على البالغين قبل قطع الرؤوس، وبعد مرور ١٤ شهرًا، ينفذون عمليات الإعدام بأنفسهم. هذا هو الاختبار النهائي، والأكثر تطرفًا لإثبات الولاء داخل التنظيم.

سرديات الأشبال السابقين المقدمة للمنظمات غير الحكومية المحلية ترسم صورة قاتمة للحياة اليومية في المعسكرات. يتم دفع الأطفال إلى أقصى حدودهم الذهنية والبدنية، ويُجبرون على النوم على مراتب تنتشر فيها البراغيث. ولكن تجاربهم تعزز الشعور بالألفة. هذه العلاقات الوثيقة تتحول في نهاية المطاف إلى فخر شديد بما يقومون به. الجنود الأطفال في الصراعات الأفريقية، من ناحية أخرى، لم يحصلوا على الدخول التدريجي في الحياة العسكرية. لقد تم فصلهم وعزلهم عن أسرهم وإبعادهم عن قراهم أو إجبارهم على قتل أفراد الأسرة من أجل تدمير خيارهم في العودة إلى ديارهم.

التخصص والتمركز

على الرغم من أنّ الأشبال في تنظيم داعش لهم أدوار متعددة ومتداخلة، فإن كثيرًا منهم يتمتع بمهام متخصصة. يتم تعيين بعضهم في نقطة تفتيش أو أداء مهام الحراسة الشخصية، والتي قد تشمل أيضًا ارتداء حزام ناسف، حتى لو أنهم لن يكونوا بمثابة الانتحاريين. ومع ذلك، بدأ تنظيم داعش في استخدام الانتحاريين البالغين من العمر ١٤ عامًا هذا الصيف.

الأطفال الذين يبدون الاستعداد للتواصل والحصول على فهم أعمق للأيديولوجية يتم نشرهم كمجندين، ويلعبون أدوار المتحدث العام التي تسمح لهم بتجنيد أطفال آخرين. لا يحفز هؤلاء المجندون الأطفال البالغين فقط، بل يستميلون المزيد من الأطفال بوعود المكانة الاجتماعية المرموقة، والهدف، والإعجاب من المسلحين والجمهور على حد سواء.

يتحرك الأشبال حديثو التخرج بالزي الكامل مع أسلحة كثيرة للإشارة إلى قوتهم وانضباطهم. وفي أشرطة الفيديو الدعائية، يُطلب منهم الوقوف بثبات وتحمل الضرب من القادة الكبار. في الخلفية، يوجد عشرات من الأطفال الأصغر سنًا ينظرون في دهشة تامة وبإعجاب في الوقت نفسه. تُكرر هـ الدورة نفسها مع كل موجة من الخريجين تسحب المزيد من المجندين الأطفال.

الأولوية القصوى للمنظمات الإرهابية هي البقاء، ولذا فإنّ ضمان الاستمرارية والصمود هو الأهم بالنسبة لأي تنظيم. يُعدّ

تنظيم داعش أكثر تعقيدًا من المنظمات الإرهابية في الماضي، وكذلك جهوده لإعداد الجيل القادم؛ إذ يدرك جيدًا مبادئ التجنيد التي وضعتها العديد من الجماعات المسلحة في جميع أنحاء العالم، ولكنه يقود نموذجًا خاصًا به للبقاء من خلال الجمع بين التدريب البدني والعسكري المكثّف مع مستويات عميقة من التلقين النفسي التي نادرًا ما وُجدت حتى في تجنيد الإرهابيين البالغين. في الواقع، وضع داعش خطة منهجية لا من أجل إنتاج مجموعة من الحمقى، ولكن نشطاء شباب أكفاء يتبنون حقًا كل جوانب تعاليم التنظيم.

في أدبيات الجنود الأطفال في أفريقيا، يتم تجنيد الأطفال لا من أجل مستقبل ولكن من أجل الوقت الحاضر. ويُقتل كثير منهم في المعركة ويترقى قلة منهم في الصفوف ليصبحوا قادة كبار للجماعات الإرهابية. يأخذ داعش وجهة نظر أطول، ولذلك فإنّ ما يبدو أنّه قد نجح بالنسبة للعديد من عمليات نزع السلاح والتسريح وبرامج إعادة الإدماج في أفريقيا (الأدوار التحويلية بمساعدة من الأسرة والمجتمع والهيئات الدينية والتعليمية) ربما لا ينجح في سوريا، حيث يتبنى داعش هذه المؤسسات ويسيطر عليها ويشوهها.

إذا أردنا أن يكون لدينا أي أمل في إعادة إدماج هؤلاء الأطفال الذين تركوا داعش ولا زالوا على قيد الحياة، ثمة شيء واحد مؤكد: أنّ هذا سوف يتطلب مستوى من التنسيق والإبداع لم نشاهده في أي برنامج لنزع التطرف حتى الآن.

وتتطلب عملية التسريح نهجًا متعدد الجوانب يعالج الصدمة

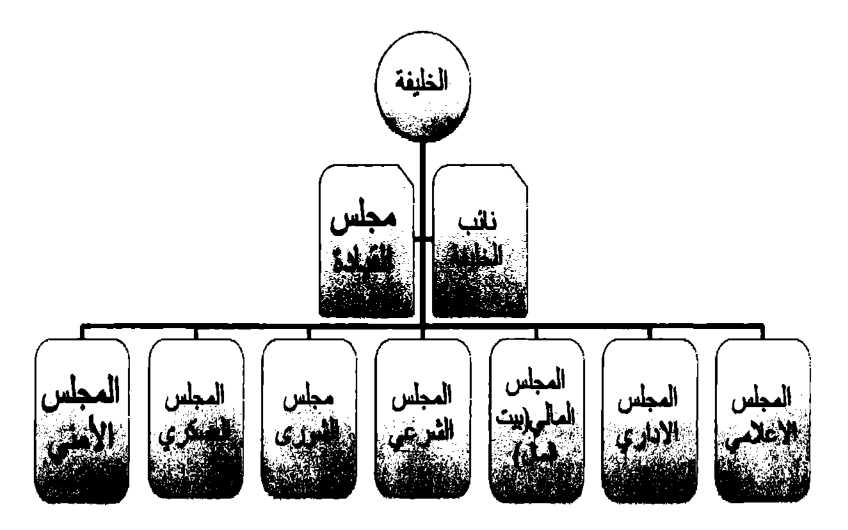
النفسية التي يعاني منها الأطفال (الناتجة من مشاهدة عمليات الإعدام)، وكذلك آثار بعد المشاركة في أعمال العنف. ولذلك؛ فالأطفال بحاجة إلى إعادة تعليم حتى يتمكنوا من التخلص من فكرة وجود تشوهات في العقيدة الإسلامية، فضلًا عن التدريب المهني. ومن المرجح أن يكون هؤلاء الأطفال لديهم مشاكل في التنشئة الاجتماعية، كما أنهم قد يفتقرون إلى التعاطف ويعانون من مشاكل في التواصل.

بالرغم من وجود برامج لمعالجة الأطفال في المنظمات المسلّحة (على سبيل المثال، سابون في وادي سوات في باكستان)، إلّا أنّ أسرة الطفل تلعب دورًا إيجابيًا في إعادة الإدماج.

وفي حالة داعش، فإنّ الأسرة هي التي شجعت وعرّضت الأطفال للعنف بالأساس، ولذلك سيتوجب فصل الأطفال عن أعضاء الأسرة، وهذا يجعل عملية التطبيع أكثر تحديًا. وفي حين أن هذا بالتأكيد سيكون معقدًا، لكننا لا نمتلك أي خيار سوى أن نبدأ التخطيط لذلك من الآن.

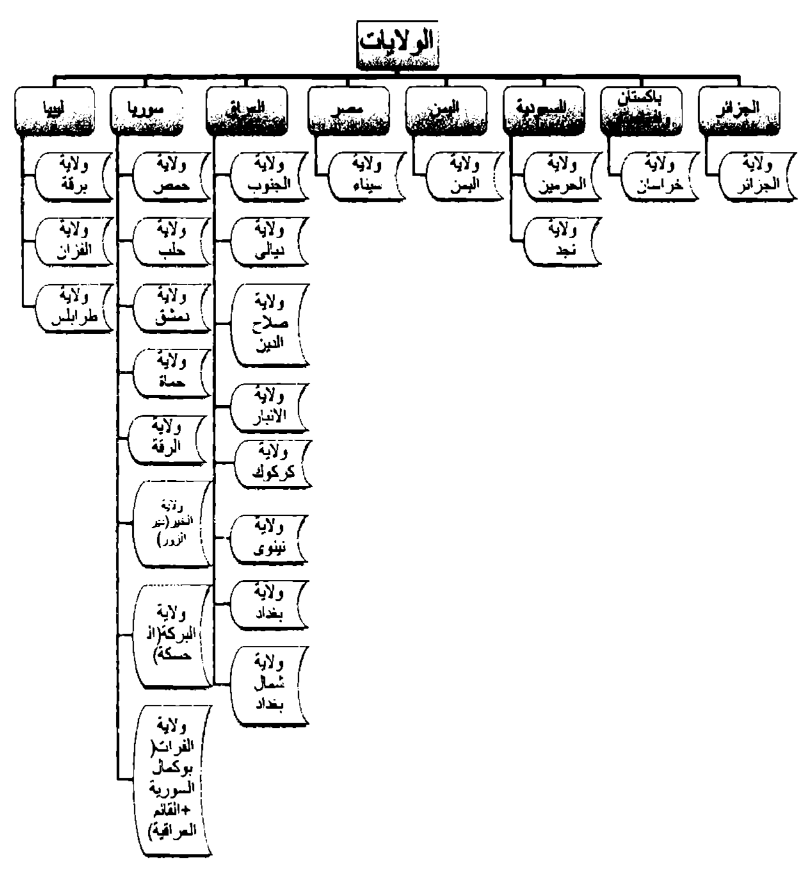
سابع عشر: هيكليات وجداول واحصاءات

الهيكليات(١)- القيادة العامة



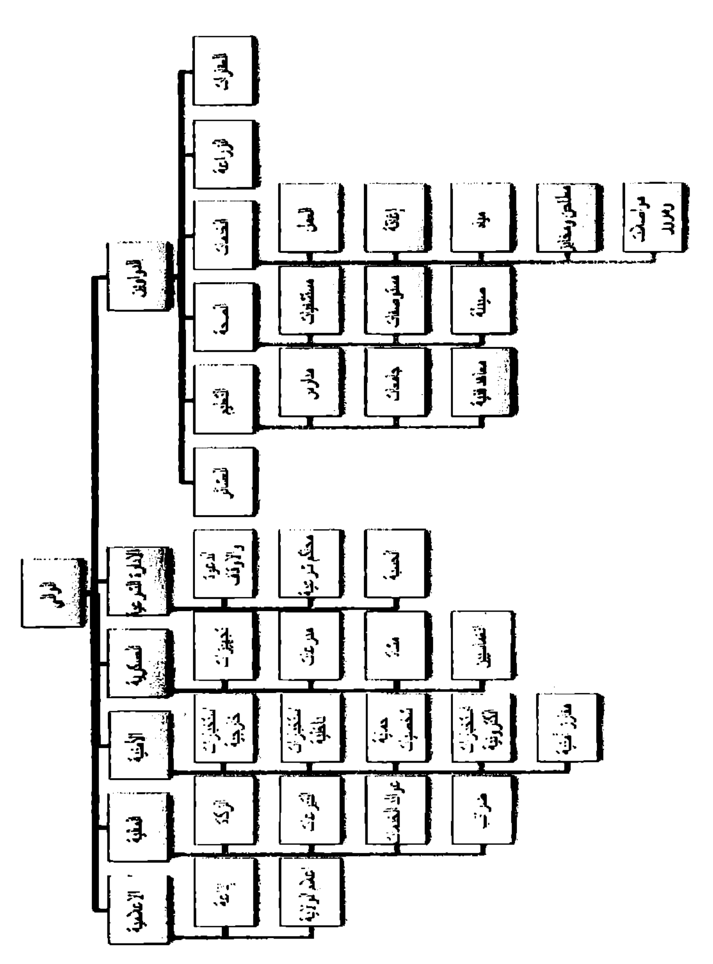
Copy right©Dr.Mohamad M. Mortada

الهيكلية (٢)- الولايات



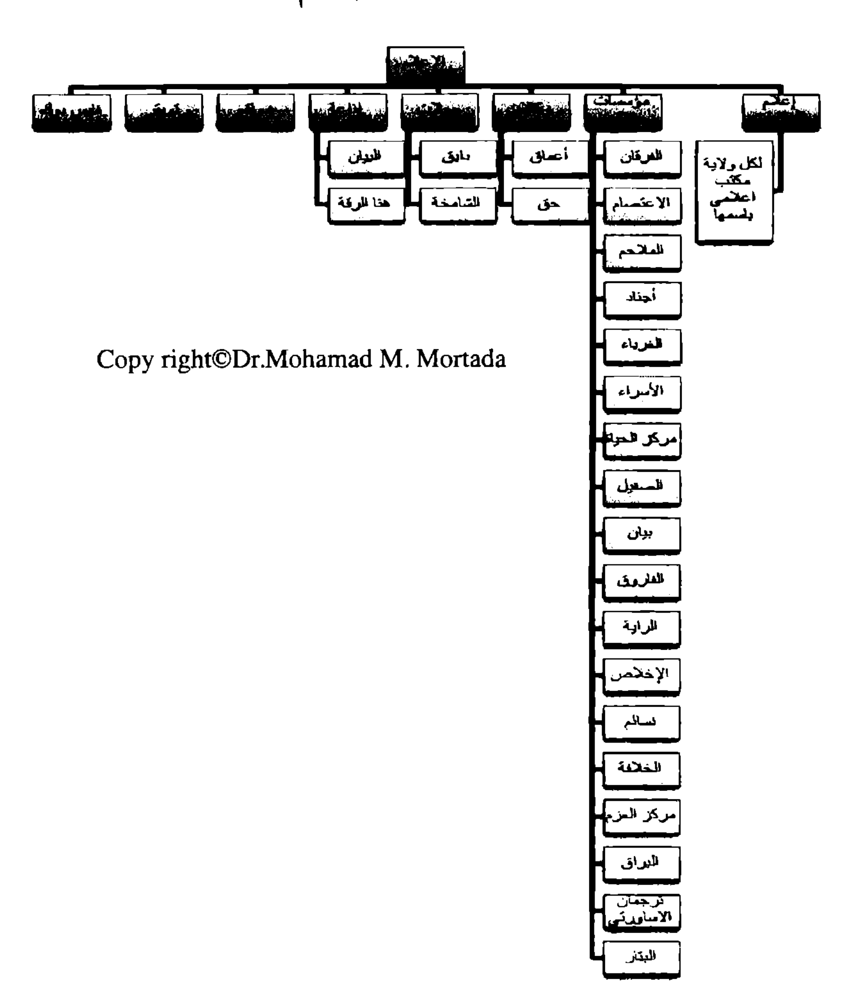
Copy right©Dr.Mohamad M. Mortada

الهيكلية (٣) - الولاية



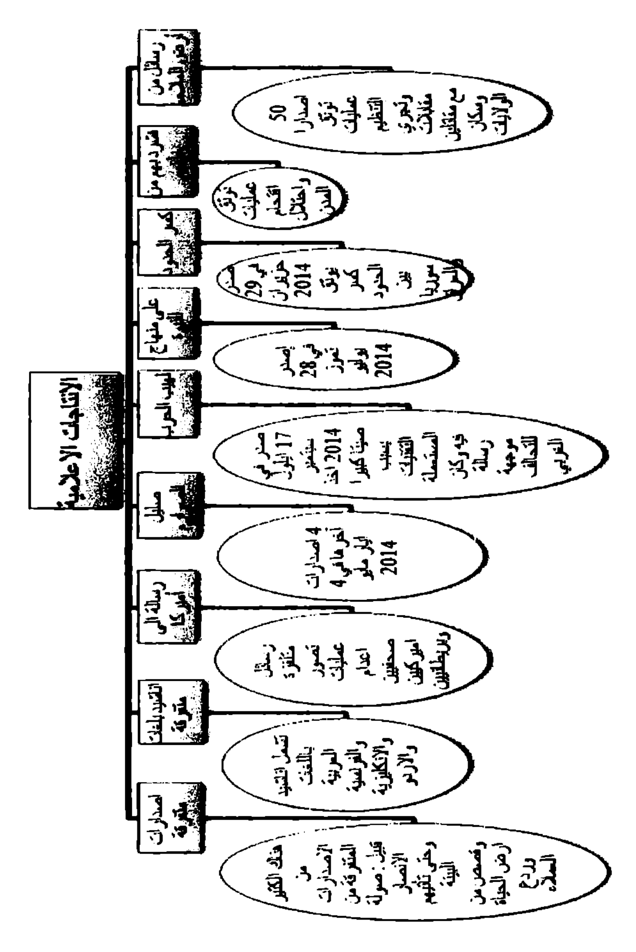
Copy right©Dr.Mohamad M. Mortada

الهيكلية (٤)- الإعلام



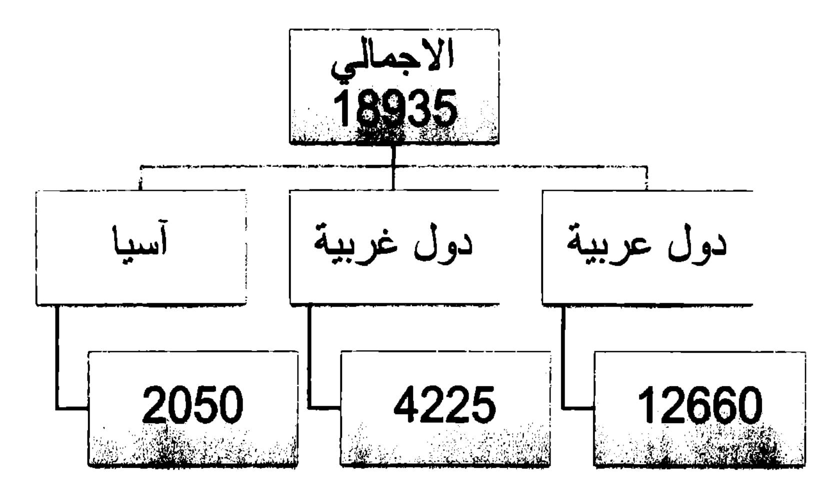
Copy right©Dr.Mohamad M. Mortada

جدول الانتاجات الاعلامية (٥)



Copy right©Dr.Mohamad M. Mortada

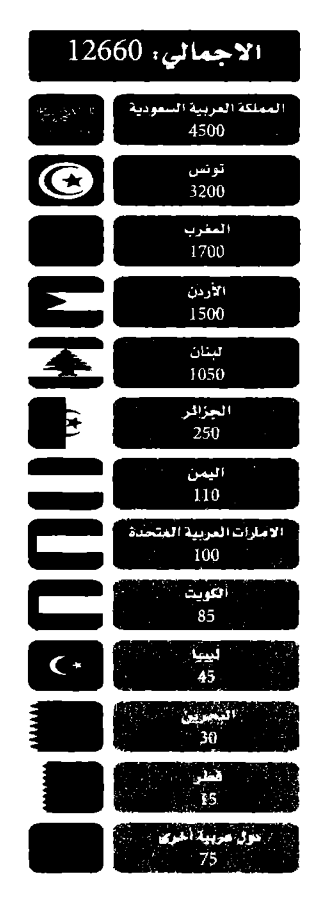
جدول المقاتلين الاجانب في داعش- جدول عام (٦)



Copy right©Dr.Mohamad M. Mortada

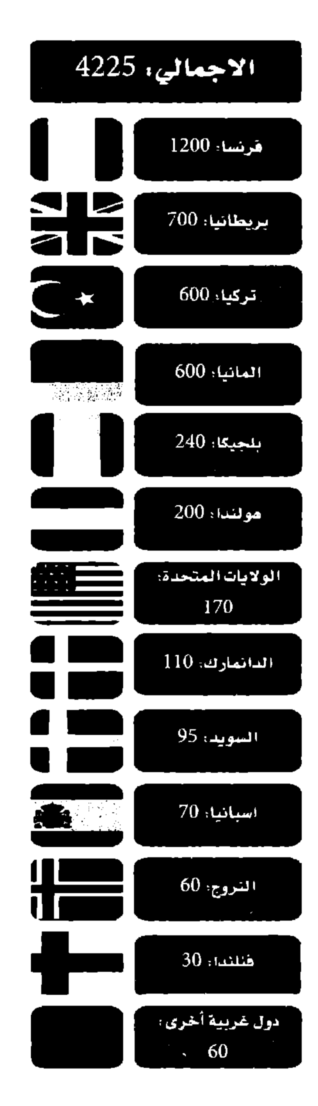
جدول تفصيل المقاتلين الاجانب مع داعش في سوريا والعراق (٧) (حتى آخر شهر آذار ٢٠١٥)

الدول العربية



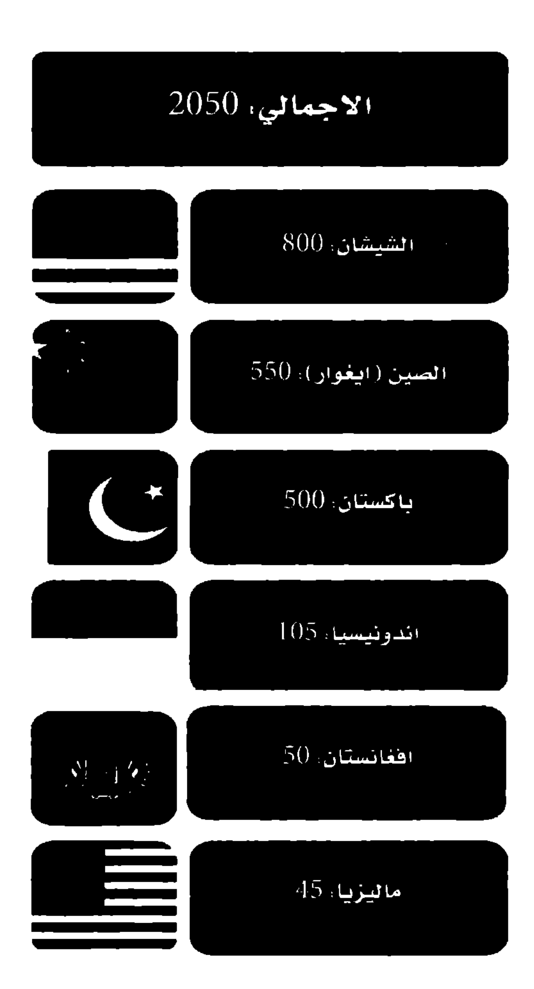
Copy right©Dr.Mohamad M. Mortada

دول غربية



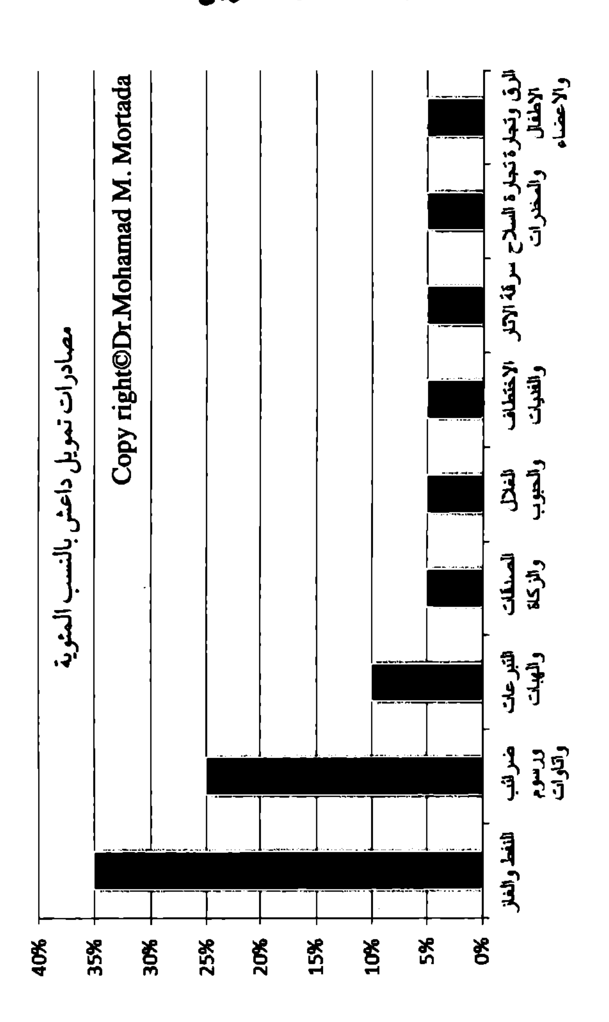
Copy right©Dr.Mohamad M. Mortada

آسيا



Copy right©Dr.Mohamad M. Mortada

جدول مصادر التمويل (٨)



مسرد للاحداث

- ١٩ نيسان ٢٠١٠، «مبايعة» أبو بكر البغدادي «أميراً لدولة العراق الإسلامية».
- ٢١ تموز ٢٠١٢ أعلن البغدادي انطلاق «غزوة هدم الأسوار»، وتمكن التنظيم عبرها من اقتحام عدد من السجون العراقية، وضم آلاف من مسجونيها إلى صفوفه.
- ٩ نيسان ٢٠١٣، أعلن البغدادي «حلّ جبهة النصرة، ودمجها في دولة العراق الإسلامية تحت اسم جديد هو الدولة الإسلامية في العراق والشام». ما اشتهر لاحقاً باسم «داعش».
- ١ آب ٢٠١٣، خاض التنظيم معركة ضد «لواء أحفاد الرسول». وهي واحدة من بواكير معارك «الحرب الأهلية الجهادية». وكان مسرحها الرقة. استمرت أسبوعين، وانتهت بخروج «أحفاد الرسول» من المدينة، ما مهّد لسيطرة «الدولة» عليها بالكامل، حيث «بايعه» عدد كبير من المجموعات المسلحة فيها.

- ٤ كانون الثاني ٢٠١٤، شنّ حلفاء «جبهة النصرة» في «الجبهة الإسلامية» و«جيش المجاهدين» معارك ضارية ضد «داعش». حاولت «النصرة» الظهور في مظهر المحايد في بدايتها، قبل أن تنخرط فيها بصورة علنية لاحقاً. أسفرت المعارك أول الأمر عن خسارة التنظيم عدداً من مناطق نفوذه في ريف حلب، في مقابل تحقيقه تقدماً كبيراً في الرقة.
- ٤ كانون الثاني ٢٠١٤، الفلوجة تحت سيطرة «الدولة الإسلامية في العراق والشام».
- ١٢ كانون الثاني ٢٠١٤، عقدت «حركة أحرار الشام الإسلامية» هدنة مع التنظيم في الرقة، سلمته بموجبها أسلحتها ومقارّها، وسيطر «داعش» على المدينة بشكل كامل.
- ١٠ حزيران ٢٠١٤، مسلحو «الدولة الإسلامية في العراق والشام» يسيطرون على محافظة نينوى العراقية.
- ٢٩ حزيران، المتحدث باسم التنظيم أبو محمد العدناني يُعلن قيام «دولة الخلافة»، و«مبايعة الخليفة ابراهيم (أبو بكر البغدادي)».
- ١ تموز ٢٠١٤، أول كلمة صوتية للبغدادي بعد «مبايعته خليفة للمسلمين».

- ٣ تموز ٢٠١٤، «تنظيم الدولة» يسيطر على الشحيل، وعدد من القرى والبلدات في دير الزور، لتصبح المحافظة في معظمها تحت سيطرته المطلقة.
- ٥ تموز ٢٠١٤، بثّ شريط مصوّر قيل إنه لـ«الخليفة البغدادي» أثناء إلقاء خطبة الجمعة في أحد مساجد الموصل.
- في ١٣ تشرين ثاني/ نوفمبر ٢٠١٤، يقبل أبو بكر البغدادي في تسجيل صوتي صادر عن مؤسسة الفرقان بعنوان «ولو كره الكافرون» بيعات في بلدان عديدة كالسعودية واليمن ومصر وليبيا والجزائر.
- ١٥ ايار ٢٠١٥ داعش يحتل مدينة الرمادي في اقليم الأنبار.
- ٢٠ أيار ٢٠١٥ داعش يحتل مدينة تدمر ويدخل آثارها.

الفصل الخامس

داعش والوهابية
مقارنات ومقاربات

أولاً: الوهابية والداعشية: تطابق في الفكر والعمل

يخرجون بسيوفهم في الاسواق حين يجتمع الناس على غفلة فينادون «لا حكم إلا للّه»، ويقتلون الناس بلا تمييز. لا يصف هذا المشهد ما يحدث اليوم على ايدي التكفيريين المعاصرين، هو وصف لاحد العلماء لمشهد التكفيريين الاوائل في الاسلام اي الخوارج، وما اشبه اليوم بالامس. فبين تكفيريي الامس واليوم عناصر مشتركة، ربما الكثيرون لا يعرفونها، فمن اين تبدأ القضية؟.

من بلاد «نجد» بدأ التطرف مبكراً، فقد كانت المركز السياسي لحركة الردة في اعقاب وفاة رسول اللّه صلى اللّه عليه وآله وسلم.

فمن سهل حنيفة ظهر مسيلمة الكذاب وتحالفت معه سجاح التميمية، ومن نفس سهل حنيفة ولد وعاش محمد بن عبد الوهاب صاحب الدعوة الوهابية فيما بعد.

فقد تحول النجديون من مسلمين في عهد النبي الى مرتدين. وتقلبوا الى ان انقلبوا خارجين على علي بن ابي طالب عليه السلام؛ حيث عرفوا باسم «الخوارج». وأخذوا يرفعون لواء «لا حكم إلا للّه»، ويقتلون المسلمين في العراق وإيران، فاستباحوا قتل المسلمين.

واصطبغت حركتهم بالعنف المرتبط بتفسير ديني. وهو المبدأ النجدي الاصيل في التعامل مع الاخر حتى قبل دخولهم الاسلام.

ثم ما لبث أعراب نجد أن اشتعلت ثورتهم تحت اسم القرامطة، وامتدت غاراتهم إلى العراق والشام والحدود المصرية، ولم تنج الكعبة من تدميرهم.

ثم ساروا الى بعلبك فقتلوا أهلها، وساروا إلى سلمية وأعطوهم الامان لكنهم اخذوا يعملون فيها قتلا لمن بها من بني هاشم، ولم يخرجوا منها الا وليس فيها عين تطرف.

هذه الوحشية قامت على منهج فكري أشار إليه النويري في حديثه عن التربية الفكرية لشباب القرامطة، كما أشار إليها الطبرى في قصة الشاب الذي اقتنع بالدين القرمطي وهجر أمه وأسرته مقتنعا بالدين الجديد معتقدا باستحلال الدماء.

ثم ظهر فيهم محمد بن عبد الوهاب بدعوته الدينية وتحالف مع ابن سعود.

ويكفي ان نعرف ان شعار هذا الحلف كان «الدم الدم، الهدم الهدم» لنفهم طبيعة هذه الدعوة، وما ستؤول اليه الاوضاع في ظل هذا الحلف.

فأعطى ابن عبد الوهاب لآل سعود تشريع الاستحلال بعد أن اتهم كل المسلمين الاخرين بالكفر، كمبرر ديني للغزو والتوسع.

ولا تختلف المدرسة الفكرية للقرامطة في غسل ادمغة الشباب عن الاسلوب الذي اعتمده فقهاء الوهابية. اعداد يدفع بهم «للجهاد» واستحلال قتل من ليس وهابيا، لانك وببساطة، ان لم تكن وهابيا فلست بمسلم.

بدأ السعوديون-الوهابيون باحتلال نجد كلها ثم ضم الاحساء وتوسعوا في غاراتهم لتصل الى قطر والبحرين والكويت وعمان، ثم ضموا الحجاز، وحاربوا اليمن، وتطلعوا لاحتلال العراق والشام.

ويكفي ما ذكره مؤرخ الدولة السعودية الاولى عثمان بن بشر النجدي في كتابه (عنوان المجد في تاريخ نجد) قد مر ذلك معنا.

وكان التعليل واضحاً، فهم يتحدثون ان الوهابية هي الاسلام وغيرهم ليس بمسلم؛ طبقا لما قرره الشيخ محمد بن عبد الوهاب في رسائله.

ففي عقيدة الولاء والبراء يقول ابن عبد الوهاب: **«ان الانسان لن يستقيم له اسلام وترك الشرك الا بعداوة المشركين والتصريح لهم بالعداوة والبغض»** [١].

وحكم عبد الوهاب بكفر الشيعة كلهم، واعتبر بلدهم بلد حرب، وقال**«وان كلهم يشهدون ان لا اله الا اللّه وان محمدا رسول اللّه، ويصلون الجمعة والجماعة، فلما اظهروا مخالفة الشريعة في اشياء**

(١) محمد بن عبد الوهاب: كتاب كشف الشبهات، و ١٣ رسالة اخرى.القاهرة.الطبعة الرابعة.

دون ما نحن فيه (فلنلاحظ كلمة ما نحن فيه) اجمع العلماء على كفرهم وقتالهم وان بلدهم بلد حرب، وغزاهم المسلمون حتى استنقذوا ما بايديهم من بلاد المسلمين»[١].

وحكم بتكفير الجميع بمجرد كلمة: «**ان الانسان يكفر بكلمة يخرجها من لسانه، وقد يقولها وهو جاهل فلا يعذر بالجهل وقد يقولها وهو يظن انها تقربه للّه كما يظن المشركون**».

من هذه المدرسة تخرج منظرو ما يعرف بالسلفية الجهادية كتنظيم القاعدة وما تفرع عنها، ومنها «داعش»

فالمحوران اللذان يشكلان العمود الفقري للفكر التكفيري هما: الحاكمية، وعقيدة الولاء والبراء. ورغم انه لا يختلف اثنان من المسلمين حول أن الحكم للّه ﴿إِنِ ٱلۡحُكۡمُ إِلَّا لِلَّهِ﴾[٢]، وان الحكم هو حكم الشريعة ولا يجوز الاستناد الى غيرها فضلا عن التحكيم بخلافها ﴿ فَلَا وَرَبِّكَ لَا يُؤۡمِنُونَ حَتَّىٰ يُحَكِّمُوكَ فِيمَا شَجَرَ بَيۡنَهُمۡ ثُمَّ لَا يَجِدُواْ فِيٓ أَنفُسِهِمۡ حَرَجٗا مِّمَّا قَضَيۡتَ وَيُسَلِّمُواْ تَسۡلِيمٗا ﴾[٣]، وقوله تعالى: ﴿أَفَغَيۡرَ دِينِ ٱللَّهِ يَبۡغُونَ﴾[٤]، الا ان الفرق بين الطوائف الاسلامية وهذه الجماعات التكفيرية، ان الاولى تنظر الى الاختلاف في قراءة النص الديني من خلال الاصول والبنى الفكرية

---

(١) المصدر نفسه.

(٢) سورة الانعام، الآية ٥٧.

(٣) سورة النساء، الآية ٦٥.

(٤) سورة آل عمران، الآية ٨٣

التي يعتمدها العلماء. ومن هنا لا يمكن تكفير كل من خالف رأينا؛ لأن الاصل في الكفر هو انكار الضرورات الدينية، اما الايمان بها والاختلاف في فهم النص الديني فلا يمكن الحكم عليه بالكفر.

اما المنحى الآخر الذي اتخذه التكفيريون تبعا لمؤسس مذهبهم ابن عبد الوهاب، فانهم لا يقّرون بتعدد القراءة للنص الديني وامكانية الاجتهاد في فهم النص، فيعتبرون ان ما ذهبوا اليه هو الرأي الفارد، فان ذهب احد المسلمين الى غير ما ذهبوا اليه، اعتبروا ذلك خروجا عن سلطة النص الديني وتكذيبا للّه ولرسوله.

كل ذلك ومدون في كتبهم الصحيحة، قصصا في التاريخ ان بعض الصحابة دافعوا عن صحابة آخرين اتهموا بالقتل بالقول: اجتهد فاخطأ، فلم يقيموا عليه حدا، ولا رفعوا عليه سوطا، فضلا عن تكفيره واخراجه عن الملة والدين.

بين الحاكمية والولاء والبراء تتسلل عقيدة اخرى هي اخطر من كل ما تقدم، وهي عقيدة ان الاصل في الناس الكفر ما لم يثبت اسلامهم بدليل، والدليل عندهم ان تؤمن بما يؤمنون به. قاعدة تستحل كل دماء واعراض واموال من عداهم.

ولو قام المسلمون بتطبيق «القواعد التكفيرية» التي يستعملها «التكفيريون» للحكم على كُفر من يكفرونه، لاوصلت تلك القواعد الى تكفير كل الصحابة، والتابعين وتابعي التابعين الى قيام يوم الدين.

بالردة والكفر انطلق هؤلاء باستباحة الدماء والاعراض والاموال، فاصبح الدين مع الوهابية دينا متقوقعا، فبدل ان يكون الاسلام هو الذي يشكل هوية المجتمع وينطلق نحو عالميته التي ارادها اللّه وبُعثت بها الدعوة، تحوّل الدين معهم الى هوية صغيرة لفئة داخل المجتمع تحتكر الدين. فانقلب الامر وانكفأ المجتمع الى عقيدة خاصة لا ترى في غيرها اسلاما. وبدل ان يكون الأسلام يهدي الكافرين اليه، ويخرج الناس من الظلمات الى النور، اخرج هؤلاء معظم المسلمين عن اسلامهم ودينهم.

ثانياً: هدم الاضرحة والكنائس: ابحث عن الشجرة الخبيثة

إن الباحث لا يحتاج الى كبير عناء ليعرف ان لهذه المجموعات تاريخ طويل في هدم الاضرحة والكنائس والمزارات الدينية.

وبالنظر الى التاريخ القريب، فانه لم تمضِ ايام قليلة على احتلال تنظيم داعش للموصل في العراق، حتى اطلَق التنظيم حملة ممنهجة في تلك المنطقة، استهدفت كنائس اثرية وأضرحة لعلماء، من بينها نبش قبر ابن الأثير العالم الاسلامي الشهير، وللتذكير فان ابن الاثير من علماء اهل السنة.

وكان التنظيم قد سبق وشن حملة مماثلة في المناطق التي يسيطر عليها في سوريا، فاستهدف المواقع الدينية والتاريخية التي تعكس تنوع وغنى المجتمع السوري وموروثه الحضاري والديني، فقاموا بالاعتداء على العشرات من الكنائس وتخريبها ونهب محتوياتها، مثل الاعتداء الذي استهدف «كاتدرائية السيدة العذراء أم الزنار

الكائنة في مدينة حمص، والتي تحمل أهمية دينية وتاريخيّة أثريّة كبيرة، خاصة عند السوريين، حيث يعود تاريخ بنائها إلى القرن الأول الميلادي.

ولا يمكن الحديث عن هذا الامر دون استحضار الفتوى الشهيرة التي اصدرها رئيس هيئة كبار العلماء ورئيس اللجنة الدائمة للبحوث العلمية والإفتاء ومفتي عام السعودية عبد العزيز بن عبد اللّه آل الشيخ، بوجوب هدم جميع الكنائس في شبه الجزيرة العربية في السابع عشر من اذار مارس عام ٢٠١٢؛ حيث اعتبر الشيخ، الذي يمثل المرجعية الأكبر في المملكة، أن شبه الجزيرة تخضع لدين الإسلام فقط، ووجود الكنائس في بعض الدول منها هو اعتراف بصحة هذه الأديان.

هذه الفتوى من رأس السلطة الدينية في المملكة لم تأت من فراغ، او من خارج العقلية الوهابية التكفيرية.

وتكرر المشهد في دول مايسمى بـ(الربيع العربي) مثل ليبيا وتونس ومصر؛ حيث استُهدفت المساجد والمعابد الصوفية وأضرحة الاولياء.

وهنا يأتي التساؤل عن مغزى استهداف الأماكن المقدسة والتاريخية التي ظلت مزارا للسكان منذ مئات السنين.

يجمع المتابعون أن هدم الاضرحة والقبور والاثار والمشاهد التاريخية هو نهج يعود إلى الحركة الوهابية، وهي الحركة التي ينتسب إليها معظم السلفيين المتطرفين.

ومع انتشار أتباع الحركة الوهابية في العالم الاسلامي، اتسعت اعمال هدم وتخريب ونسف المراقد والاضرحة والمساجد والكنائس.

بدأت هذه الحملة بمقامات النبي صلى اللّه عليه واله وسلم واهل بيته واصحابه. فقد عمد انصار الحركة الوهابية إلى هدم وتسوية اضرحة ومقابر (البقيع)، وهي المقبرة التي دفن فيها بعض أهل بيت النبي وازواجه واولاده وبناته ومرضعته حليمة السعدية، وعماته واصحابه. وتشير الوثائق والقرائن إلى أن الوهابيين لم يكتفوا بتلك الجرائم، بل حاولوا مرارا هدم قبة الرسول، الا انهم غيّروا رأيهم بسبب حدوث ردود فعل إسلامية قوية من مختلف البلدان الإسلامية.

وقد جاء في كتاب (الدر المنثور) المخطوط: ان في سنة ١٢١٦ هـ كان فيها مجيء سعود الوهابي إلى العراق، وأخذ بلد الحسين عليه السلام، وكان دخوله إلى كربلاء ليلة ١٨ ذي الحجة ليلة الغدير، وأباد أهلها قتلاً وسبياً، وكان عدد من قُتل من أهل كربلاء (٤٥٠٠) رجل، وانتُهبت جميع ما فيها، وكُسر شباك قبر الحسين عليه السلام وكذا قبور الشهداء.

وقد شهد العراق المعاصر موجة من الاستهدافات المتواصلة لدور العبادة والمساجد والحسينيات والكنائس، في اعمال تخريبية مستمرة.

ولعل الحدث الابرز في العراق، والذي كاد ان يتسبب بحرب

طائفية، هو إقدام هذه الجماعات التكفيرية على تفجير الحرم العسكري في سامراء الذي يضم بين ثنايا تربته، الإمامين «علي الهادي» و«الحسن العسكري» والسيدتين الطاهرتين حكيمة أخت الإمام الهادي، ونرجس والدة الإمام المهدي، وأيضاً تفجير سرداب غيبة الإمام المهدي المنتظر.

وفي مصر، كانت مصادر أمنية بوزارة الداخلية قد ذكرت إن القيادي «الجهادي» «مرجان مصطفي سالم»، المسجون في سجن العقرب في منطقة سجون طرة، قد لفظ أنفاسه الأخيرة، يوم الأربعاء الواقع في الخامس من آب أغسطس ٢٠١٥، داخل سجنه، بعد هبوط مفاجئ في الدورة الدموية. وللتذكير فان «مرجان سالم» هو أحد المتهمين في القضية التي تحمل رقم ٣١٨ المعروفة بتنظيم الجهاد، حيث ألقت أجهزة الأمن القبض عليه في الثاني من تشرين الثاني نوفمبر ٢٠١٣، عقب فض الاعتصام في ميدان رابعة بتهمة تشكيل تنظيم إرهابي مع نبيل المغربي الذي توفي منذ أشهر قليلة ومحمد الظواهري القيادي «الجهادي»، وتم وضعهم في سجن العقرب. ويعرف «سالم» بصاحب فتوى «هدم الأهرامات» التي أطلقها في عهد الرئيس المعزول محمد مرسي، والتي أثارت جدلاً كبيرًا.

فمرجان مصطفى سالم الجوهري، الشهير بعبد الحكيم حسان، أبو عمرو، سافر إلى الجزيرة واليمن، وجالس بعض المشايخ هناك، ودرس عليهم بعض الكتب والمسائل، ثم أكمل الطب واشتغل فيه، إلى أن قرر الهجرة إلى أفغانستان، حيث شارك في الدورات الشرعية

التي كانت تقام لخدمة «الجهاد والمقاتلين الإسلاميين» وتأهيلهم، وخالط أمثال عبد اللّه عزام وعبد القادر بن عبد العزيز.

ورغم سفره الى اليمن الا انه عاد إلى أفغانستان مع بداية حكم الطالبان، بعد أن تنقل بين عدة دول، محاضرا ومدرسا، إلى أن غزت أمريكا أفغانستان.

في نوفمبر ٢٠١٢، دعا مرجان سالم الجوهري إلى «تحطيم الأصنام والتماثيل التي تمتلئ بها مصر»، حسب تعبيره، مؤكدًا أن «المسلمين مكلفون بتطبيق تعاليم الشرع الحكيم».

ودعا الجوهري لتحطيم تمثال أبو الهول والأهرامات والتماثيل في مصر. وذلك ايضا يعيدنا الى ما حصل في افغانستان قبل ذلك بسنوات، ابان حكم طالبان حيث قامت بتدمير تماثيل في أفغانستان.

كلام الجوهري كان قد اثار نائب رئيس حركة النهضة التونسية الإسلامية انذاك الشيخ عبد الفتاح مورو، الذي خاطب الجوهري قائلا له: «من أنتم حتى تقومون بذلك؟ فهل قام عمرو بن العاص بذلك حينما جاء إلى مصر؟».

وأضاف مورو: أن «النبي حطم التماثيل في عهده؛ لأنهم كانوا يعبدونها، أما أبو الهول والأهرامات فليس هناك أحد يعبدها، وبالتالي فأنت مخطئ وفكرك خطأ ومخالف للشرع».

وموقف الجوهري لم يكن فريدا ايضا فقد دعا الداعية السلفي

محمد حسان في وقت سابق إلى «طمس وجوه التماثيل وتغطيتها بالشمع».

على ان ميول الجوهري التكفيرية ظاهرة للعيان ايضاً، ففي شهر ايار مايو ٢٠١٣، أقر مرجان سالم بالتوقيع على بيان يطالب بالجهاد ضد حكومات البلاد التي يسيطر عليها الشيعة كإيران وسوريا ولبنان، وتنفيذ عمليات مسلحة ضد هذه الحكومات، بحسب قوله.

كما انه في ايار مايو ٢٠١٣، حذر من الذهاب للكاتدرائية لتهنئة الأقباط بعيد القيامة؛ لأنه يتنافى مع العقيدة الإسلامية.

ولم يسلم الازهر من هجمات الجوهري فوصفه بانه لا يمثل الإسلام في شيء، وأنّ القائمين عليه قاموا بتبديل دين الإسلام منذ ١٠٠ سنة.

ويتكرر المشهد في البحرين؛ حيث تشير الإحصاءات إلى أنّ الجيش البحريني مدعوماً بالقوات السعودية هدم اكثر من (٢٧) مسجداً، بعضها مكتمل البناء، مضافا إلى حرق كتب القرآن الكريم التي كانت موجودة في هذه المساجد.

وفي تونس يتواصل مسلسل حرق وتخريب أضرحة الأولياء الصالحين، لتتجاوز حوالي ٣٠ ضريحا بعد «الثورة» وآخرها مقام «سيدي بوسعيد الباجي»، العالم المتصوف الذي منح اسمه للقرية التي تطل على خليج تونس بالضاحية الشمالية للعاصمة، وهي قبلة السياح الوافدين من مختلف دول العالم.

وفي ليبيا تقوم مجموعات مسلحة بهدم الأضرحة في العاصمة طرابلس، وقال أمين عام هيئة علماء ليبيا خالد الورشفاني إن من قاموا بهذه الأعمال من «المتشددين»، قد استندوا إلى بعض الفتاوى الدينية.

وفي مالي قامت عناصر جماعة انصار الدين بهدم العشرات من المدافن والمراقد والاضرحة في تمبكتو شمال مالي؛ حيث احتوت المدينة على ٣٣٣ ضريحا من بينها ١٦ تم تصنيفها من طرف اليونسكو كمواقع للتراث العالمي، كضريح سيدي محمد بن عمار الذي يحظى بمكانة رفيعة لدى سكان تمبكتو.

ويمكن للباحث ربط هذه الفتاوى الوهابية مع حليفتهم بريطانيا، وتحديدا نشأة البروتستانتية في انكلترا والحرب على المقدسات الدينية الكاثوليكية، التي خاضها الملك هنري الثامن بنفسه.

لقد قام هنري بتغييرات جذرية في الممارسات الدينية التقليدية، وأمر رجال الدين بمكافحة مفاهيم الصور الخرافية والآثار الدينية والمعجزات والحج وأزال معظم الشموع. وفي عام ١٥٤٥م أصدر هنري مراسيم باستبعاد قديسين، ودمر المزارات الدينية - بما فيها مزار القديس توماس.

اراد هنري الثامن طمس معالم الكاثوليكية ورموزها، ليُبقي لنفسه كل رموز العظمة والفخر التي تمجده بوصفه الحاكم الأوحد، وظل الله في الارض.

لقد استنسخت العقلية الوهابية التجربة البروتستانتية وما عرف

بحرب «الايقونات»،لان العقلية الوهابية لا ترى مسلما الا من يعتنق العقيدة الوهابية. فأصبح قبر الولي الصالح الزاهد العابد الذي خرج من الدنيا بكفنه رمزاً للشرك عندهم، في حين ينبغي على الرعية الاصطفاف الى حين وصول دورها في تقبيل يد الملك و«التبرك» منه. والادهى من ذلك كله ان هذه الاضرحة، التي يسعى لتدميرها، استعملها ليضفي على اسمه قداسة ليصبح «خادم الحرمين الشريفين».

ولا ادري، ان كان ثمة رابط بين الحكم بالشرك على من يقدس قبور المؤمنين، وبين فتوى الشيخ عبد الباري الزمزمي التي أجاز فيها معاشرة الزوج لجثة زوجته المتوفاة.

وبعد، فان كان هذا هو حال هذه الجماعات مع قبور الصالحين من المسلمين، فهل ثمة مكان للتشكيك في امكانية قيامهم بهدم الكنائس.

هذه السياسة المعتمدة من قبل هؤلاء هي نفس السياسة المعتمدة في المملكة العربية السعودية حيث العقيدة الوهابية، الا ان ما عجزت الوهابية عن هدمه تسعى لطمس معالمه، ومنع زيارته ما استطاعت الى ذلك سبيلا. فهل يصح السؤال بعد ذلك من اين تأتي داعش بفتواها في تدمير الاثار؟

من هنا، اذا اردنا ان نفهم طبيعة الاخطار المحدقة بالمنطقة، فعلينا الترفع عن هذه الصغائر، والنظر الى الشجرة الخبيثة التي تزرع الحقد والتفرقة والتكفير في عالمنا.

فمنذ ظهورها في شبه الجزيرة العربية والعقيدة الوهابية تركز في فتواها على المذاهب الاسلامية الاخرى، تكفيرا وتضليلا ومهاجمة لكل صرح ديني ابتداء من الازهر الشريف في مصر وصولا الى الحركات الصوفي، ومقامات الاولياء والصالحين.

ولا نبالغ ان قلنا ان وجود المملكة بين ظهراني العرب والمسلمين، يشكل العائق الاكبر امام تطور الامة الاسلامية ونهوضها ووحدتها.

فيا حبذا لو ان المملكة منذ نشوئها قد عاشت في عزلة هي ووهابيتها، لكانت قد اراحت واستراحت، ولكنها، عذرا ماركيز، مائة عام من الفتنة.

ثالثاً: داعشي سنة ثانية ابتدائي

اينما توجهت في العالم الاسلامي من المحيط الى الخليج (باستنثاء المملكة العربية السعودية) وجدت المسلمين يزورون القبور، يتبركون بالائمة والاولياء. واذا نظرت الى حجاج بيت اللّه وزوار الروضة النبوية الشريفة، لم تستطع ان تفرق بين مذهب وآخر، كل الحجاج دون تفرقة، يسعون للتبرك بقبر النبي، ويسألون الشفاعة.

في مصر تنتشر المقامات، الحسين، السيدة زينب وغيرهما. وفي دول المغرب العربي تنتشر ايضا الطرق الصوفية ومقامات الاولياء، من المغرب الى الجزائر ومن تونس الى ليبيا، في تركيا وسوريا وايران والعراق، عند الحنفي والشافعي والمالكي والشيعي، وعند المولوية

والنقشبندية والتيجانية والشاذلية والرفاعية والقادرية وغيرها من الطرق الصوفية.

وعندما يتبرك هؤلاء بمقامات الائمة الاولياء، فلا يشك احد، ولو للحظة واحدة، انهم لا يقصدون بذلك عبادتهم او جعلهم شركاء للّه.

كانت هذه العادات هي ديدن المسلمين منذ عهد النبوة، ولا اجد داعيا للاتيان بالشواهد التاريخية المؤيدة. وانتهجها السلف الصالح، ولم يمنعها الفقهاء الا عند ظهور فتاوى ابن تيمية.

وحتى هذه الفتاوى كادت ان تندثر لولا ان اعاد محمد بن عبد الوهاب احياءها ونشرها، بل قتل وقاتل عليها منذ ان تحالف مع آل سعود.

خالف ابن تيمية اجماع المسلمين في بناء المساجد على القبور والتبرك بقبر النبي او زيارته وقبور اولياء اللّه الصالحين. وهو لم يحرّمها وحسب، بل عمد الى اتهام فاعلها بالشرك ليصبح محلل الدم فها هو يقول: **«فإن بناء المساجد على القبور ليس من دين المسلمين بل هو منهي عنه بالنصوص الثابتة عن النبي صلى اللّه عليه وسلم واتفاق أئمة الدين. بل لا يجوز اتخاذ القبور مساجد سواء كان ذلك ببناء المسجد عليها أو بقصد الصلاة عندها، بل أئمة الدين متفقون على النهي عن ذلك، وأنه ليس لأحد أن يقصد الصلاة عند قبر أحد لا نبي ولا غير نبي وكل من قال: إن قصد الصلاة عند قبر أحد أو عند مسجد بني على قبر أو مشهد أو غير ذلك أمر مشروع؛ بحيث**

يستحب ذلك ويكون أفضل من الصلاة في المسجد الذي لا قبر فيه: فقد مرق من الدين. وخالف إجماع المسلمين. والواجب أن يستتاب قائل هذا ومعتقده فإن تاب وإلا قتل»[1].

الوهابية تحيي تراث ابن تيمية التكفيري

تابع ابن عبد الوهاب ومن جاء بعده من الوهابية ابن تيمية في فتواه، فاعتبروا التوسّل من مظاهر الشرك، وعلى الإنسان المؤمن **«أن لا يتوسّل إلى اللّه بأحد أنبيائه وأوليائه، فإن فعل، وقال - مثلاً: يا اللّه أتوسّل إليك بنبيّك محمّد أن ترحمني فقد سلك مسلك المشركين، واعتقدَ ما اعتقدوا»**.

ورغم ان جميع المسلمين على اختلاف مذاهبهم يزورون القبور ويتوسلون بالائمة والاولياء، الا ان الوهّابيّة رفضت مبدأ زيارة القبور حيث قالوا: **«أن لا يقصد الإنسان المسلم قبر النبيّ للزيارة، ويشدّ إليه الرحال، وأن لا يتمسّح به، ولا يمسّه، ولا يدعو اللّه ويُصلّي للّه عنده، ولا يُقيم عليه بناءً ولا مسجداً، ولا ينذر له»** محتجّين بأنَّ النبيّ صلى اللّه عليه واله وسلم بعد موته لا يضرّ ولا ينفع.

ولم تحصر الوهابية هذه الفتوى في طي الكتب بل عمدت الى تنفيذها، فشهدت المناطق التي تسيطر عليها هدما للقبور وكل بناء بني على قبر، كان اشدها واخطرها هدم مقابر أئمة البقيع في المدينة المنورة.

---

(١) مجموع فتاوى شيخ الإسلام ابن تيمية ج٢٧، ص٤٨٨.

ومع سيطرة داعش وغيرها من حركات تكفيرية وهابية على بعض المناطق في ليبيا وسوريا واخيرا في العراق وقبلها في افغانستان، عمد هؤلاء الى هدم مقامات ومساجد على مرأى ومسمع من العالم الاسلامي كله.

لقد بات واضحا للجميع ان هذا الفكر التكفيري الداعشي هو وليد الفكر الوهابي اولا واخيرا. ويمكن لاي شخص ان يراجع كتب ابن تيمية وابن عبد الوهاب ليلمس ذلك.

لا غرابة ان تجد هذا الفكر التكفيري ينبع من المدارس الوهابية الدينية ومن يتخرج منها. لكن ان تجد ان هذه الافكار تُدرّس في المدارس التربوية الحديثة في المملكة وليس فقط في المدارس الدينية المتخصصة فان لذلك شأناً آخر. خاصة اذا علمنا ان هذا الفكر التكفيري يزرع في عقول الاطفال وهم بعمر السابعة.

الفكر الداعشي يبدأ من الصفوف الابتدائية في مدارس المملكة الوهابية

تُدرّس مادة العقيدة الاسلامية في المدارس السعودية ابتداء من الصف الاول ابتدائي حتى نهاية المرحلة الثانوية، وفي جميع هذه المراحل يرافق الطلاب كتاب العقيدة تحت اسم «التوحيد».

اذا فتحنا كتاب التوحيد المخصص للصف التاني ابتدائي (بالعادة يكون الطالب بهذا الصف بعمر السابعة)، فاننا سنجد درسا مخصصا عن الشرك وقد كتب في احد الامثلة عليه «دعاء الاموات»، والذي

يعني كل ما يتعلق بالاموات من التبرك او التوسل بهم او زيارة قبورهم وما الى ذلك.

منذ سن السابعة تُدرّس الوهابية وتزرع في عقول الاطفال ان ما يمارسه عموم المسلمين، من اقصى الارض الى اقصاها هو شرك، وبالتالي فان جميع المسلمين، باستثناء الوهابية هم مشركون، مما يعني استباحة دمائهم واعراضهم واموالهم. فاذا كان ابن السابعة من العمر يدرس هذه الافكار، فما بالنا بمن يتخرج من المدارس الوهابية الدينية؟!! وكيف يمكن لاحد ان يتعجب من انتشار الدواعش في عالمنا الاسلامي؟

ان الفكر الداعشي التكفيري تبدأ صناعته من هناك، من الصف الثاني ابتدائي، في مدارس المملكة العربية السعودية الوهابية. المملكة التي، كما انه يوجد فيها دواعش سنة ثانية ابتدائي، يوجد فيها ايضا دواعش امّيون لكنهم يحملون دكتوراه فخرية.


المملكة العربية السعودية
وزارة التربية والتعليم
التوحيد
للصف الثاني الابتدائي
الفصل الدراسي الأول
كتاب الطالب
السُّجودُ لِغَيْرِ اللهِ
دُعاءُ الأَمْواتِ
نشاط
أكْتُبُ مِثالَيْنِ آخَرَيْنِ عَلى الشِّرْكِ :
الأسئلة
ما أعظم ما نهى اللهُ عنهُ؟
ما الشِّرْكُ؟
أستخرجُ الشِّرْكَ مِمّا يأتي:
الكَذِبُ.
الحسدُ.
السُّجودُ لغيرِ اللهِ.

الفصل السادس

داعش والانظمة العربية

أولاً: داعش والانظمة العربية.. التماهي بين الديني والسياسي

من منظمة صغيرة[1] كانت تعمل في بعض المناطق في العراق وسوريا، الى منظمة اطلقت على نفسها اسم «الدولة الاسلامية» لتعلن لنفسها «الخلافة الاسلامية»، يمكن القول ان ما حققته داعش ليس عملا بسيطا.

لقد كان اقصى ما يطمح اليه هذا التنظيم ان يكون بديلا لتنظيم القاعدة، بعد ان اصيب الاخير بالكثير من الاخفاقات، وتلقى العديد من الضربات، كان اقواها اغتيال زعيمه التاريخي اسامة بن لادن في شهر ايار مايو عام ٢٠١١.

استطاع داعش خلال هذه الفترة اللعب على الانشقاقات الشعبية التي تجتاح المنطقة، انشقاقات لم تغب عنها الانظمة العربية كمسبب رئيس لها، جراء المنظومة الحاكمة منذ اكثر من نصف قرن، دون اهمال ما اقترفته يد العرب في التحريض المذهبي والطائفي المدعوم بميزانيات خيالية وجحافل اعلامية.

كما لعبت داعش من جهة ثانية على الدوافع الكامنة داخل المجتمعات لاحداث تغييرات جوهرية وبنيوية في الانظمة الحاكمة،

(١) نشر هذا المقال في صحيفة السفير اللبنانية بتاريخ ١٢ اب اغسطس ٢٠١٤.

بعد فشل «الربيع العربي» في احداث هذا التغيير، ولجوء الانظمة المدعومة غربيا لاحداث تغييرات ما لبثت ان ظهرت شكلانيتها.

كما استغل التنظيم ثالثا حالة التشتت التي تعيشها الجماعات المسمات «جهادية» بعد اغتيال بن لادن، وحالة الوهن التي ظهرت على زعيم التنظيم الجديد ايمن الظواهري، ما افقد التنظيم الوهج الذي كان يعيشه تحت قيادة بن لادن، ما ادى بعناصر التنظيم للشعور بنوع من الفراغ الاستراتيجي.

دخل تنظيم داعش من خلال استغلال هذه العناصر الى الساحات التي تعاني اضطرابا. وغير خفي ان داعش، على سبيل المثال، دخل الساحة السورية بعد حوالي السنة من بدء الازمة فيها وتراجع سيطرة الجيش السوري على بعض المناطق المحددة، لا سيما تلك التي تقع في الشمال والشمال الشرقي المتاخمة للحدود العراقية.

لا شك ان فكرة اعلان الخلافة، بمعزل عن كونها تمثل محور الفكر السياسي لهؤلاء، الا ان اعلانها يمثل عنصر جذب كبير داخل الدوائر «الجهادية».

والواقع ان عنوان «الخلافة» لا يشكل عنصر جذب «للجهاديين» فحسب، بل يمثل فرصة مؤاتية عند اصحاب هذا المشروع لضرب الفكر السياسي الآخر مهما كان نوعه. ولا يخفى ان فكرة «الخلافة» سوف تغيّر من مشهد الاجتماع السياسي، نظرا لكون هذا المفهوم لن يحكم فيه الا التيار المتطرف.

تكمن خطورة داعش، مقارنة بتنظيم القاعدة، ان الاول يعمل وفق ديناميات وتحالفات مبنية على رؤى مشتركة لمجموعة من الاهداف المشتركة بشكل مرحلي ما يجعل تحالفاته بعيدة عن فكرة «المبدئية» في اختيار الحلفاء، وقد ظهر هذا الامر جليا في تحالفاته العراقية والسورية مع القبائل والعشائر وبقايا نظام صدام حسين.

ومهما يكن من امر، فان النموذج الداعشي هو افراز طبيعي لهذه الانظمة المستبدة. وفي الواقع فان آليات الخطاب بين هذه الانظمة وداعش تبدو متماهية بشكل كبير وان اختلفت التمسيات.

تقسم داعش الجميع وفق «الديني» الى معسكري كفر وايمان، فيما يقوم «السياسي» على التقسيم الى وطني وعميل، في ظاهرة تحمل بذور الالغائية للمسافة الفاصلة بين مبدأ التعددية والشمولية. وقد برزت هذه الالغائية واحتكار السلطة في خطاب البغدادي من جامع الموصل، عندما استحضر في خطابه كلمة الخليفة الراشدي الاول ابو بكر الصديق، لكنه استبدل مفهوم «التقويم» بمفهوم «المناصحة» في اشارة الى الى «ديمومة» خلافته.

ويبدو التماهي ايضا بين «الديني» و«السياسي» في النظر الى الحكم والحاكمية. فيعتبر «الديني» نفسه الممثل الوحيد للاسلام، يحتكر لنفسه حق قراءة النص، فهو الوصي عليه، فيما يعتبر السياسي نفسه الممثل الوحيد للسلطة وشرعية الدولة.

اسباب كافية تجعل كلاً من الديني والسياسي يشعران بالتمايز عن الغير، والاحساس بالفوقية، ما يجعلهما يُخضعان مفاهيم المساواة

والانصاف والمحاسبة والمسائلة لمعاييرهما الخاصة التي تقوم على مبدأ الهيمنة على الشأن العام واحتكاره.

ثانياً: العرب من مشاريع التوحد الى التوحش

في الثاني والعشرين[١] من شهر شباط عام ١٩٥٨ كانت أول تجربة وحدوية في تاريخ العرب الحديث حيث قامت الوحدة بين مصر وسوريا تحت اسم الجمهورية العربية المتحدة.

لقد كانت الوحدة بين سورية ومصر ردّاً على تحديات وتهديدات إقليمية ودولية.

فالوحدة كانت تشكل الرد العملي على أي نزعات طائفية أو مذهبية أو عرقية، تؤجج لتفتيت المنطقة العربية، وفي ذات الوقت هي دعوة إلى انتماء جامع تتكامل فيه وطنيات، وتتناغم فيه خصوصيات وتزول فيه حساسيات وتتلاقى فيه قوميات وأديان وثقافات.

اشتد الصراع للحفاظ على الهوية القومية العربية، لا سيما أثناء الاحتلال الأوروبي الذي اقتسم تركة الإمبراطورية العثمانية، وظهرت الحاجة إلى مفهوم الوحدة إثر انهيار الوطن العربي ورزوحه تحت الحكم الاستعماري الذي فكك أواصر الرباط بين العالم العربي بخرائط سايكس بيكو، التي كان من نتائجها ظهور العديد من البلدان العربية ضمن حدود مصطنعة كرسها الغرب، ومن أبرزها زرع الكيان

---

(١) نشر هذا المقال على موقع العهد الاخباري بتاريخ 22 اب اغسطس 2014. راجع:
http://www.alahednews.com.lb/essaydetails.php?eid=100072&cid=4.

الصهيوني المصطنع في قلب الوطن. ومن هنا نشأت الحاجة إلى الوحدة العربية، وكانت عبر نضال الشعب العربي من محيطه إلى خليجه بغية التحرر والتضامن من أجل الوحدة.

لكن محاربة الوحدة لم تقتصر على الكياني الاسرائيلي او على الدول الغربية، فقد شارك فيها دول وممالك عربية كانت وما زالت ترى في قيام هذه الوحدة ضررا بالغا، ربطا باتفاقيات عقدتها مع المستعمر البريطاني.

لقد كانت الوهابية، ومنذ نشوئها، يراد منها ولها ان تكون العامل الابرز في منع قيام اتحاد عربي؛ لان الدين كما يمكن ان يكون عاملا مساعداً وداعيا للوحدة والاتحاد، فانه يمكن ان يكون عامل شرذمة وتفرق، اذا ما تمسك الدعاة اليه بخطاب العداوة والبغضاء والتفرقة والتحييز والاقصاء والالغاء.

لقد اكتشف البريطانيون مبكراً أن الدين والخطاب المذهبي يمكن ان يمثل الشعار الابرز لمنع قيام اتحاد عربي او اسلامي. لذلك فاننا لا نستغرب انهم لم يدعموا انشاء كيان ينبني على الدين والفكر الديني، الا اذا كان اصحابه عنصريين وطائفيين ويحملون بذور التفرقة والالغاء.

فلا عجب ان يدعم البريطانيون قيام مملكة سعودية تقوم على الفكر الوهابي التكفيري، وان يعقب ذلك وعد بلفور الذي اسس لقيام كيان صهيوني عنصري.

لقد كانت الوهابية ومنذ نشؤئها بمثابة حصان طروادة داخل الامة

العربية، فلم تألوا جهدها في محاربة قيام دولة عربية قوية وقادرة، فكانت رأس حربة في محاربة «الجمهورية العربية المتحدة»، ورأس حربة في محاربة جمال عبد الناصر وكل ميول نحو الوحدة.

قد يستثني البعض من تاريخ المملكة الحافل بمساعي شق الصفوف العربية الملك فيصل الذي اعلن مقاطعة الغرب ومنع تصدير النفط اليه في حرب ١٩٧٣ وقام بدعوة المسلمين إلى الجهاد دفاعاً عن مقدساتهم قائلاً إن «القدس الشريف يناديكم ويستغيثكم لتنقذوه من محنته وما ابتلي به». فلا غرابة ان يكون الملك فيصل هو الملك السعودي الوحيد الذي مات اغتيالا عام ١٩٧٥. وان كان البعض يجادل بان الملك فيصل كان اشد المحاربين لعبد الناصر وهو نفسه الذي استقبل جحافل «الاخوان المسلمين» الفارين من العدالة في مصر.

وعلى اي حال، ففي الوقت الذي تتصدر فيه قاعة اجتماعات مبنى جامعة الدول العربية في القاهرة الآية الكريمة «واعتصموا بحبل اللّه جميعاً ولا تفرقوا»، نجد العرب اليوم مختلفين منقسمين، بل لقد باتت جامعة الدول العربية عنصر تفرقة بدل ان تكون جامعة، لقد انقلبت حتى على اسمها. فباتت «الجامعة» مطبخاً لمؤامرات التفرقة، اما «الدول» فهي على طريق ان تصبح دويلات عشائرية وقبلية وعنصرية وطائفية، اما العروبة فعادت الى تاريخها الجاهلي السحيق، فتنكرت حتى لبعض عاداتها التي كانت تفتخر بها. لم تحفظ من الفروسية الا اقتناء الاحصنة الثمينة، ومن الكرم صرف ملايين الدولارات في المقاهي والنوادي الليلية، اما «الانثى» التي

كانت وجوههم تسود اذا ما بشروا بها، فتحولت الى اداة للاستمتاع وتجارة الجواري.

لقد فشلت هذه الوحدة وها نحن اليوم نشهد محاولات لزعزعة استقرار المنطقة العربية وإعادة تقسيمها عبر تأجيج الحروب الطائفية والنعرات المذهبية والخلافات الدينية والإيديولوجية؛ لإغراق الدول العربية في فوضى أخلاقية وثقافية وسياسية.

لقد استُعيض عن مشاريع الوحدة بمشاريع التقسيم، وعن خطاب واعتصموا بحبل اللّه جميعا بخطاب وجعلناكم قبائل وشعوب لتتقاتلوا ويكفّر بعضكم بعضاً ويقتل بعضكم بعضاً.

اما الزعامات فقد استُبدلت؛ فبعد ان كان زعماء الوحدة (جمال عبد الناصر مثالا) يدعون الى دولة تحمى ولا تهدد، تصون ولا تبدد،، توحد ولا تفرق، تسالم ولا تفرط، تشد أزر الصديق، ترد كيد العدو، لا تتحزب ولا تتعصب(خطاب عبد الناصر امام مجلس الامة في مصر بمناسبة اعلان الوحدة مع سوريا)، اصبح لدينا زعامات تتحالف مع العدو ضد الاخ والصديق، تفرق ولا توحد، سمتها التعصب والتحزب بدل الانفتاح، لا احد بمنأى عن غدرها واجرامها الا العدو.

لقد أفل عصر الوحدة، اما الدعاة اليها فاصبحوا نادرين، وبدت اصوات الداعين اليها كأنها اصوات نشاز.

لقد أفل عصر الوحدة والدعوة اليها وعدنا الى عصر التوحش، الى عصر داعش وحلف الدم بدل حلف الفضول والمطيبين.

الفصل السابع

داعش والقاعدة
الخلافة والاختلاف

أولاً: المبايعة او فلق الهامات بالرصاص

أعلنت[1] ما تسمى «الدولة الإسلامية في العراق والشام» (داعش) قيام «الخلافة الإسلامية» وحذفت من اسمها «العراق والشام» لتكون بذلك قد طرحت نفسها كتنظيم عالمي يسعى لإعادة إحياء «الخلافة الإسلامية» بمعناها الواسع بعيدا عن التموضع المناطقي.

والواقع أن قراءة أهداف التنظيم لا ينبغي أن تستنبط من تسمية يطلقها على نفسه فرضتها الطبيعة الجغرافية لانطلاق عمله، من دون الأخذ بالاعتبار الخلفيات الفكرية والاعتقادية التي ينطلق منها.

فمن يتابع أدبيات هذا التنظيم فسيجد أن وضع قيد لتحديد العمل «الجهادي» في منطقة محددة يتناقض مع ما يسمونه بالشمولية الإسلامية. من هنا حمل التنظيم على «الجبهة الإسلامية السورية» عند نشوئها بأنها حددت هوية مناطقية لنفسها.

لم ترَ «داعش» أن هذه الإشكالية تنطبق عليها بسبب وجود توصيف «العراق والشام» في اسمها. ومن هنا تأتي جدلية التفرقة بين تسمية «دولة العراق الإسلامية» وتسمية «الدولة الإسلامية في العراق»، حيث في الاولى اعتراف بالحدود الفاصلة، وفي الثانية

(١) نشر هذا المقال في صحيفة السفير اللبنانية بتاريخ ٢١-٠٧-٢٠١٤

جُعل العراق وصفاً مبدئياً «لدولة إسلامية» تسعى لتكريس نفسها في بلدان أخرى لاحقاً.

ومهما يكن من أمر، فإن إعلان الخلافة لم يأت من خارج إطار التنظير الفكري و«التخطيط الاستراتيجي» للتنظيم، حيث لا بد من إعلان الخلافة الإسلامية ولو في بقعة محدودة تكون بمثابة النواة للوصول الى «الخلافة الإسلامية الكبرى»، لكنها لا يمكن أن تنطلق من أي بقعة كانت من دون أن تتمتع بمواصفات خاصة. التنظير «لنواة الخلافة الإسلامية» العام ٢٠١١ مع «المذكرة الاستراتيجية» التي دونها «عبد اللّه بن محمد» تأسيساً على تراث قديم وكتابات سابقة.

ذكرنا في فصل سابق ان الكاتب يحدد المواصفات التي ينبغي توافرها في هذه «النواة» كأن تكون حيوية، وتحظى بعامل جذب للشارع الإسلامي، وطبيعة جغرافية تساعد على العمل العسكري الدفاعي، وحيازتها ثروات وموارد طبيعية مائية وغذائية. ويستحضر الكاتب التجربة الصهيونية في اختيار فلسطين ليشير الى ضرورة ان تكون «نواة» الخلافة قريبة من مناطق التأثير الديني.

قد لا تبدو «داعش» ملتزمة حرفيا بما ورد في هذه «المذكرة الاستراتيجية»، إلا انها بلا شك تعرف تماما ان «خلافتها» ليست مكتملة العناصر، وربما تعرف ايضا انها خطوة متسرعة، إلا ان ثمة عوامل دفعتها لاتخاذ هذه الخطوة.

أهم هذه العوامل داخلية لها علاقة بالحركات «الجهادية» والصراع

المحتدم بينها على خلفية ما يجري في سوريا في مواجهة «جبهة النصرة»، حيث وجدت «داعش» نفسها في مقابل معظم قيادات «القاعدة»، ابتداء بالظواهري نفسه، مرورا بالموقف الذي أطلقه ابو محمد المقدسي [١]، أي قبل إطلاق سراحه من السجون الاردنية[٢] على خلفية الوساطة التي دخل بها المقدسي بين التنظيمين المتصارعين، وأفضت الى تحميل المقدسي «داعش» مسؤولية فشل الوساطة والحكم عليه بأنه تنظيم «منحرف» وينحو إلى الغلو، وصولا الى البيان الأخير للمقدسي الذي أصدره تزامناً مع إعلان داعش «للخلافة»، حيث أبرز عمق الشرخ وحدّة الخطاب بين هذه الجماعات. ويكفي ان نظر الى ما قاله المقدسي نفسه لندرك ما آلت اليه الأوضاع بينهم: «.. **كما طالعت في ما طالعته بعد خروجي من السجن إساءات وسفالات لا يستحق أصحابها وصف المجاهدين ولا وصف الشرعيين ولو وصفوا بالشوارعيين بدلا من الشرعيين لكان أقرب؛ فمن اتهام للمخالفين باللقطاء وأبناء العواهر ونحوه من الفحش ووضيع القول.. إلى غير ذلك من الكذب والبهتان والافتراء على المخالف بما لا يليق بمن تصدر للتوقيع عن اللّه والفتوى في دين اللّه..»**[٣]

---

(١) عبارة عن بيان اصدره ابو محمد المقدسي بعد فشل وساطته بين داعش وجبهة النصرة في سوريا وقد حمل البيان اسم «في بيان حال «الدولة الإسلامية في العراق والشام «والموقف الواجب تجاهها» في منتصف شهر رجب ١٤٣٥ هجرية الموافق ١٤ ايار مايو ٢٠١٤ م. راجع: .http://tawhed.ws/r?i=26051401

(٢) اطلق سراحه في ١٦ حزيران يونيو (٢٠١٤).

(٣) بيان لابي محمد المقدسي بعنوان «هذا بعض ما عندي وليس كله» اصدره بتاريخ 1 رمضان 1435 هجري الموافق 28 حزيران يونيو (2014). راجع: http://tawhed.ws/r?i=01071401.

وبحسب الأدبيات الفقهية للتنظيم، فإن لزام إعلان «الخلافة الإسلامية» وتنصيب البغدادي «خليفة» يحتم على جميع التنظيمات المسارعة للمبايعة، بمن فيهم الظواهري نفسه. من هنا فإن إعلان «الخلافة» هو إعلان وراثة «داعش» لتنظيم «القاعدة». وقد أظهر المقدسي هذه المخاوف حيال سائر الجماعات بعد إعلان «الخلافة»، لذلك سارع للتساؤل عن مصير «الجماعات المسلمة المقاتلة المبايع لها من أفرادها في العراق والشام وفي كل بقاع الأرض، وما هو مصير دمائهم عند من تسمى بمسمى الخلافة اليوم، ولم يكف بعد عن توعد مخالفيه من المسلمين بفلق هاماتهم بالرصاص»[١].

ربما لم يتغير الكثير بين ما قبل إعلان قيام «الخلافة» وما بعدها، إلا ان هذا الإعلان سيترك أثره قطعا على سلوك عناصر التنظيم. فأي انتكاسة لهذه الخطوة سيعتبرها «الجهاديون» نكسة لصلب مشروعهم، وستتحمل «داعش» وزر هذا الفشل بسبب إعلان «دولة» يرون انها لم تكتمل عناصر إعلانها بعد.

ثانياً: الظواهري والبغدادي وخلاف البيعة

اعلن[٢] زعيم تنظيم القاعدة ايمن الظواهري بتاريخ ٤-٩-٢٠١٤ في كلمة متلفزة عن انشاء فرع جديد لتنظيم القاعدة في شبه القارة الهندية.

---

(١) المصدر نفسه.

(٢) نشر على موقع العهد الالكتروني بتاريخ ٩ ايلول سبتمبر ٢٠١٤. راجع: http://www.alahednews.com.lb/essaydetails.php?eid=100903&cid=4.

والواقع أننا لا نستطيع فصل هذه الخطوة عن سياق الأزمة التي تمر بها ما تسمى «الجهادية العالمية» منذ أن أعلن أبو بكر البغدادي قيام «الدولة الإسلامية» أو «دولة الخلافة».

صحيح ان معظم المنظرين الفكريين لا يزالون يتبعون تنظيم القاعدة، الا ان ذلك لم يمنع داعش من التمدد على مستوى القواعد.

نقاط عديدة يمكن الحديث عنها في كلمة الظواهري الا انني ما ساتوقف عنده الآن هو ربط الظواهري هذا الفرع «بامارة افغانستان» واعادة التركيز على تسمية زعيم طالبان الملا عمر[1] «بامير المؤمنين» مع ما يعني ذلك من التذكير بما جرى من مبايعته سابقا.

بداية لا بد من الاشارة الى أن كلمة الظواهري أُرفقت بكلمتين تعاقب عليها اثنان: الاول أسامة محمود، المتحدث الرسمي لـ (جماعة قاعدة الجهاد في شبه القارة الهندية) والثاني عاصم عمر (أمير جماعة قاعدة الجهاد في شبه القارة الهندية) وكلاهما اعلن في بداية كلمته عن انه يجدد «البيعة لأمير جماعة قاعدة الجهاد الشيخ أيمن الظواهري، وبواسطته «لأمير المؤمنين» الملا محمد عمر مجاهد على السمع والطاعة في كل معروف».

ومن الواضح ان التركيز على هذه النقطة انما يرتبط بموضوع «الخلافة» التي اعلنتها داعش، والجدال الحاصل داخل هذه الجماعات ومدى مشروعيتها «الفقهية».

---

(١) كُتب هذا المقال قبل وفاة الملا محمد عمر.

اعلان الخلافة في الميزان الشرعي

وسنكتفي هنا بالحديث عن نموذج واحد من هذه الجدالات وهو ما كتبه ابو المنذر الشنقيطي تحت عنوان: «اعلان الخلافة في الميزان الشرعي»[1].

يمهد الشنقيطي دراسته بالحديث عن ضرورة التمييز في مفهوم الخلافة بين المفهوم الشرعي لها والمفهوم السياسي؛ «**لأن الخلافة قد تكون موجودة من الناحية الشرعية ومعدومة من الناحية السياسية**».

ولذلك يعتبر الشنقيطي اننا حينما نتكلم «**عن ضرورة عودة الخلافة فلا يعني ذالك إقرارا منا بغيابها من الناحية الشرعية**».

ويضرب الشنقيطي افغانستان كمثال على ذلك. فهو يعتبر ان ما يدين به «الجهاديون» هو أن «**حكمها موجود منذ قيام الحكم الإسلامي في أفغانستان على يد حكومة طالبان**»، لكن الخلافة التي مازالت غائبة هي الخلافة في المفهوم السياسي.

ولكي يوضح مقصده اكثر يشرح الشنقيطي ما سماه «الحقيقة الشرعية للخلافة»، والتي هي «**مباعية رجل من المسلمين على الإمامة العظمى**»، ولكن هل يشترط لحظة البيعة او بعدها ان يكون للمبايَع له سلطان على بلاد المسلمين؟

يجيب الشنقيطي بعدم شرط ذلك ما دام لم يُسبق ببيعة شرعية.

---

(١) يمكن مراجعة الدراسة على العنوان التالي: http: / /tawhed.ws /a?a=shanqeet
وعلى العنوان التالي: http: / /justpaste.it /kil-mon

ومن الواضح ان الجدال الحاصل حول هذا الشرط يعود الى مدى صلاحية استمرار بيعة الملا محمد عمر بعد الغزو الاميركي لافغانستان، وفقدان الملا عمر للسيطرة الفعلية على البلاد.

أما الحقيقة العرفية للخلافة اي «المفهوم السياسي» فهي خضوع بلاد المسلمين كلها أو جلها «لإمام المسلمين» وديانتها له بالسمع والطاعة مع بسط نفوذه عليها. وعليه، فوفق المعني العرفي او السياسي للخلافة لا شك ان لا خلافة بهذا المعنى للملا عمر. الا ان الشنقيطي يتدارك ذلك بالقول بان «**الأحكام الشرعية لا ترتبط بالحقائق العرفية وإنما بالحقائق الشرعية**». وبتعبير آخر إن «**حكم الخليفة لا يعطى إلا لأول أمير بويع بيعة الشرعية، وإن لم يدّع أنه خليفة لأن تلك البيعة هي الخلافة في اعتبار الحقيقة الشرعية**». بهذا المعنى بات من الواضح ان «الخلافة» لا تزال بيد الملا عمر لانه هو المبايع له اولا، اذ وبحسب تعبير الشنقيطي نفسه، «**ليس من السائغ الشرعي أن يبايع المسلمون في أي أرض من بلاد الإسلام إماما شرعيا وتثبت له البيعة والإمامة ، ثم يأتي رجل بعد ذالك ويدعي الأمر لنفسه ويقول: أنت تمت مبايعتك على أنك أمير الدولة فقط وأنا أبايع على أني خليفة للمسلمين**».

من الواضح هنا، ان ما يريد الشنقيطي قوله هو بطلان اعلان ابو بكر البغدادي نفسه «خليفة للمسلمين»؛ لان ذلك يرتكز على الحقيقة العرفية ويلغي الحقيقة الشرعية.

لقد حاولت جماعة البغدادي المجادلة حول شرط التمكين

للخلافة، والجدال حول التمكين يراد به الطعن في استمرار مشروعية بيعة الملا عمر بعدما فقد سيطرته على البلاد. من هنا فان تفريق الشنقيطي بين الخلافة الشرعية والخلافة السياسية، وان الفرق بينهما فقط هو أن الأول لم يتمكن من بسط نفوذه على جل بلاد الإسلام أو كلها، والثاني تمكن من بسط نفوذه على كل بلاد الإسلام أوجلها، ان هذا التفريق اراد منه الوصول للقول: «**ان عدم التمكن من بسط النفوذ لا يؤثر في شرعية الإمام لأن التمكن ليس شرطا في الإمامة ولأن الإمام ينال شرعيته بالبيعة لا بالتمكن**».

ولكن ما هي الثمرة العملية لهذا الجدال الفقهي؟

يجيب الشنقيطي نفسه بأنه «**وفي هذه الحالة يكون الإمام الشرعي هو أول امير شرعي بويع له**». اما دليله الشرعي فهو قول النبي: «**فوا ببيعة الأول فالأول وأما بقية الإمارات فلا عبرة لها لأن المعدوم شرعا كالمعدوم حسا**».

وعليه وطالما ان «**توحد المسلمين في هذه الأيام تحت سلطة امير واحد امرا ممكنا فلا يجوز تعدد الإمارات، وإنما يجب على سائر الإمارات أن تخضع لأول من بويع له من الأمراء وهو في هذه الحالة...الملا عمر**».

فمن هو أمير المؤمنين إذا؟ يجيب الشنقيطي: «**هو أول أمير بايعته جماعة المسلمين بيعة شرعية..سواء سميناه خليفة المسلمين أو رئيس الدولة، سواء ادعى لنفسه حق الخلافة أو لم يدع، فهذا الحق ثابت له بمجرد مبايعته**».

ويعيد الشنقيطي التأكيد على فكرته هذه بان «**الخلافة وحقوقها وما يترتب عليها من أحكام تثبت بمجرد البيعة، والخلافة كانت موجودة لأنها وجدت مع أول بيعة شرعية لإمام شرعي وهو أمير المؤمنين الملاعمر**».

على البغدادي العودة لمبايعة الملا عمر

ويبقى السؤال: ما مصير الخلافة التي اعلنها البغدادي؟ يجيب بان ذلك كان خطوة «**سياسية لا تغير شيئا في الأحكام الفقهية، لأن الإحكام مرتبطة بالبيعة لا بالإعلان فتسري أحكام الخلافة بمجرد وجود البيعة وإن لم يوجد الإعلان**».

وحتى لا يبقى الجدال نظريا يعمد الشنقيطي لتطبيقها على الواقع الحالي؛ حيث يعتبر ان ثمة أخطاء شرعية ارتكبها داعش عند إعلانه الخلافة اهمه إعلان الخلافة لأبي بكر البغدادي مع انه مسبوق ببيعة الملاعمر. فإذا كان أبو بكر البغدادي مبايعاً في الأصل للظواهري، فلا يحل له قطعا ان يدّعي لنفسه الخلافة..وإن لم تكن له بيعة في عنقه فبيعته مسبوقة ببيعة الملا عمر، فلا يسعه إلا الدخول فيها.

وبالمحصلة، فان مبايعة البغدادي باطلة وعليه العودة اما الى بيعته للظواهري ان كان قد بايعه سابقاً، واما العمل على مبايعة الملا عمر لانه المُبايع اولا.

من خلال هذا التنظير يمكن لنا ان نفهم اكثر سبب تركيز الظواهري، ومن بعده الناطق باسم القاعدة في شبه القارة الهندية وزعيمها، على

ربط الفرع الجديد بامارة افغانستان والتذكير ببيعة الجميع للملا محمد عمر «بامارة المؤمنين».

وعلى اي حال، لا يبدو ان الفرع الجديد سيكون له ثمرة عملية لناحية العمليات العسكرية هناك، بقدر ما سيكون له ثمرة لناحية محاولة تحصين تلك الساحة ضد انصار البغدادي واي محاولات لاختراقها. من هنا يبدو الاعلان مرتبطاً بدواعٍ تتعلق بداخل الجسم الواحد لهذه الجماعات، اكثر منها دواع يستلزمها العمل «الجهادي».

الفصل الثامن

الغرب وداعش
سيف التقسيم والتأديب

أولاً: الغرب والايرانوفوبيا

لم يكن المواطن الفرنسي بشكل عام، يحتاج الى الهجوم الذي وقع على الصحيفة الاسبوعية الساخرة «شارلي ايبدو» ليتخذ موقفاً من المسلمين عموماً، ومن المهاجرين العرب بشكل خاص، فان من يتابع المشهد الفرنسي منذ سنوات سيكتشف تنامي تيار عنصري مخيف مناهض للمهاجرين.

ويكفي الاطلاع على النتائج التي حققها هذا التيار في الانتخابات، لنعرف مدى التوسع المضطرد لهذه التيارات المتطرفة.

والواقع انه من الخطأ الاعتقاد ان ما قامت وتقوم به صحيفة «شارلي ايبدو» من نشر رسومات مسيئة للاسلام، هو عمل منفصل عن النشاط الدائر في فرنسا واوروبا بشكل عام والمتعلق «بأرهبة» الاسلام تحت عناوين شتى.

أخطأت الصحيفة وغيرها في تحـ يد بوصلتها عندما قامت باستهداف الاسلام ومقدساته، ولا يشـع لها ان رسوماتها طالت مقدسات أخرى ولم تنحصر بالاسلام، فرسومات كهذه تسعى لتحميل الاسلام والمسلمين وزر اعمال عنفية تقوم بها جماعات متطرفة، عانى المسلمون انفسهم منها اكثر مما عاناه غيرهم.

والحقيقة ان الصحيفة وغيرها تجاهلت مسؤولية حكوماتها المتعاقبة في التعاطي مع ملفات هامة عدة في المنطقة.

لا ينكر أحد وجود جماعات ارهابية تجعل من الاسلام عباءة لها، ولكن الحقيقة ايضا تقتضي القول أن ظواهر كهذه لا تقتصر على المسلمين وحدهم.

فالاسلام والمسلمون، كغيرهم من الديانات والشعوب، يحملون عقائد وافكار فيها المتطرف وفيه المعتدل، فلماذا الاصرار في التصويب على خصوص المتطرفين منهم، دون السعي لتسليط الضوء على المعتدلين وتقديمهم على انهم يمثلون الاسلام الحقيقي؟

هذا السؤال ينبغي ان يطرحه الشعب الفرنسي على رؤسائه وحكوماته بدءا «بالشيراكية»، التي فتحت الباب لاسلافها في بناء تحالف مصالح اقتصادية لصالح الشركات الفرنسية الكبرى مع دول خليجية، معلوم عنها انها المصدّر الاول لهذا الفكر الارهابي والممول الاكبر لها. فمن الذي سمح بهيمنة «الوهابية» على معظم المساجد والمراكز الاسلامية في فرنسا.

لقد قرر هذا التحالف التضحية بأمن المواطن الفرنسي واستقراره، على حساب الاقتصاد واتفاقيات بيع الاسلحة.

لا يمكن لفرنسا ولغيرها من الدول الاوروبية ان تفتح ابوابها مشرعة للفكر الوهابي، وتعطيهم الامتيازات «الدعوية» على حساب الجماعات الاخرى المعتدلة، ثم ترفع الصوت عاليا عن خطر داهم،

ملقية باللائمة على أنظمة عربية «علمانية» هنا وهناك، في الوقت الذي تذرّ الرماد في عيون مواطينها عن تحالفها مع انظمة عربية راعية لهذا الفكر الارهابي تحت مسميات عدة.

وليس بعيدا عن هذه السياسة الخارجية الخرقاء، ينبغي على الشعب الفرنسي ان يسأل حكومته ايضا عن وجه المصلحة في معاداة وفرض عقوبات على دولة اسلامية ديمقراطية معتدلة كايران. ولماذا الاصرار لعقود على محاولة زرع ما يشبه الايرانوفوبيا في الغرب من دولة لم تشهد منها اوروبا منذ نشوئها اية محاولات هددت الامن الاوروبي او استهدفت مواطنيه، ومع ذلك تحاصره، فيما العلاقات مع البعض الدول العربية، لا سيما الخليجية، قائمة على قدم وساق. علما ان الفكر الذي انتج احداث الحادي عشر من ايلول في نيويورك وغيرها من احداث طالت لندن ومدريد وباريس، تخرج من المدارس الوهابية الدينية التي تحكم المملكة السعودية بشكل رسمي؟؟!

ليس ذلك فحسب، بل ان خمسة عشر شخصاً، من اصل تسعة عشر من الذي شاركوا في هجمات الحادي عشر من سبتمبر هو من السعوديين، ومع ذلك عملت الالة الاعلامية الغربية على «تنظيف» ملف المملكة. فهل أصبحت الاموال السعودية أهم من حياة المواطنين، ثم نأتي لنقول ان الارهاب يأتي من ايران؟

لماذا هذه العرقلة لكل مساعي التوصل الى حلول مع ايران على حساب التحالف مع ممالك خليجية تصدر الكراهية وافكار العنف. كما ينبغي للمواطن الاوروبي والغربي بشكل عام ان يسأل قادته

عن وجه الاستفادة في التآمر على نظام علماني في سوريا، لطالما كان يحارب الارهاب، على حساب دعم جماعات تكفيرية ارهابية مسلحة في سوريا تسعى لاسقاط هذا النظام للحلول مكانه.

ولئن تصدرت باريس المشهد بعد هجمات شارلي ايبدو، فان الخطر محدق باوروبا كلها. وما يصلح سؤالا للفرنسيين يصلح ايضاً لجميع الشعوب الاوروبية، عن أي النموذجين افضل:

دول تحمل القلم والعلم والتعقل والاعتدال سلاحا، ام دول وان كانت تؤمّن بعض المصالح والمطامع الاقتصادية الآنية، لكنها تحمل الجهل والكراهية والسيف سلاحا لها؟؟!!

إن ما حصل في باريس، وما كاد أن يحصل في محطة القطارات المركزية في العاصمة الاسبانية مدريد، وان كان امراً مرفوضا ومدانا، لكن يجب ان لا ننسى انه نتيجة للسياسات الخارجية الاوروبية، تلك السياسات التي لا تقل وحشية وعنفاً وكراهية عن سياسات «الجهاديين».

إن «الحقيقة المحرمة» التي ينبغي للجمهور الفرنسي أن يعالجها، هي أن رئيسهم وحكومتهم، بالشراكة مع الولايات المتحدة وحلف شمال الأطلسي وإسرائيل، في الوقت الذي تدعي أنها تشن حرباً عالمية على الإرهاب، توفر الدعم السري لهذه الكيانات الإرهابية تمويلاً وتدريباً.

ففي حين أن وسائل إعلام فرنسية عدة ذهبت للربط بين هجمات «شارلي

ايبدو» وحرية التعبير، فإننا لم نجد عند هذه الوسائل الشجاعة الكافية لرفع القضية الى مستويات أوسع تتعلق برعاية الدولة الفرنسية للإرهاب، ودور الحكومة الفرنسية وأجهزة مخابراتها في دعم الكيانات المرتبطة بالقاعدة، ليس فقط في الشرق الأوسط وأفريقيا، ولكن أيضاً في فرنسا. لم تكن الهجمات التي شهدتها العاصمة الفرنسية هي الأعنف في القارة الأوروبية، فهجمات لندن ومدريد كانت أقوى، ومع ذلك تصر الحكومة الفرنسية على تشبيه ما حصل بهجمات الحادي عشر من أيلول في نيويورك. من هنا، فإن ما ينبغي أن يكون محلاً للنقاش العام في فرنسا وغيرها من الدول الأوروبية على المستوى الشعبي، ليس فقط من هم هؤلاء الإرهابيون، بل أيضاً السؤال عن تمويلهم وتدريبهم وتسليحهم؟

ولكن ما كان لافتاً في هذه الهجمات أن وسائل الإعلام ومصادر استخباراتية أكدت أن السلطات الفرنسية قد حذرت من الأخوين «كواشي» قبل الهجوم، لافتة إلى المعرفة المسبقة المحتملة للهجمات، وإلى نشاط أحدهما في تجنيد إرهابيين لإرسالهم إلى العراق وسوريا، ما يطرح سؤالاً مهماً عن سبب عدم تحرك القوى الأمنية لإحباط الهجوم قبل حدوثه؟ ولماذا توقفت عن مراقبة المشتبه فيهم؟

ان كان ثمة من ينبغي أن يُسأل عن جريمة باريس وأن يحاسب عليها، فانهم بلا شك ليس فقط المنفذون المباشرون لها فقط بل ينبغي أن يُسأل عنها أيضاً «دواعش الاليزيه».

ثانياً: التحالف الاميركي السعودي: خزان للنفط والتكفير

لقد كان لانتصار الثورة الاسلامية في ايران عام ١٩٧٩ تاثير كبير على السياسة الاميركية الخارجية، لا سيما في التعامل مع ملفات المنطقة.

كانت الحرب الباردة بين الولايات المتحدة الاميركية والاتحاد السوفياتي في اوجها، والعمليات السرية لوكالة الاستخبارات الاميركية (C.I.A) تركز عملها على انشاء مجموعات تعتمد على الفكر الوهابي التكفيري بتمويل سعودي، بهدف مواجهة التوسع الشيوعي «الملحد» بعد ان خاضت هي نفسها حربا شعواء على الاتجاه القومي الذي كان يمثله جمال عبد الناصر والتيار القومي العروبي.

أطاحت الثورة الاسلامية في ايران نظام الشاه المدعوم أمريكيا، والذي كان يمثل العمود الفقري لاستراتيجية الولايات المتحدة في الخليج الفارسي.

وفي العقود التالية، سعت الولايات المتحدة لاعادة هيمنتها، ولا سيما في منطقة الخليج الفارسي. كانت الرغبة الأميركية لفرض سيطرتها الوحيدة على المنطقة جامحة بعد البروباغندا القوية التي خاضتها ضد الاتحاد السوفياتي.

وفي عام ١٩٨٠ وعند بداية الحرب العراقية المفروضة على إيران استخدمت الولايات المتحدة الحرب كأداة لإقامة قواعد عسكرية في دول الخليج الفارسي.

سعى الرئيس الاميركي رونالد ريغان آنذاك لطمأنة النظام الملكي السعودي، بعد ان صور ان الثورة تهدد وجود المملكة العربية السعودية من اجل السعي لاقامة قواعد أمريكية عام ١٩٨٥، ما فتح الباب لدول خليجية اخرى لتحذو حذو المملكة.

لقد سعى الاميركيون بكل ثقلهم لتسويق ما يمكن تسميته «ايران فوبيا»؛ ليكون عامل خوف اضافي لدى حكام الخليج الفارسي، يضاف الى الخوف من الشيوعية وإمكانات الانتفاضة ضد الأنظمة الملكية الحاكمة.

وفي حرب الخليج الثانية عام ١٩٩١ استمرت سياسة الحرب المبنية على الخداع، فدفعت المملكة العربية السعودية ٣٦ مليار دولار من اصل ٦٠ مليار دولار كانت هي تكاليف الحرب.

لقد اوجدت الادارة الاميركية، وفق برنامج للاستخبارات الاميركية، ما يسمى بتنظيم القاعدة لمحاربة الاتحاد السوفياتي في افغانستان، وبعد الانسحاب من افغانستان وانهيار هذا الاتحاد ووضع الحرب العراقية الايرانية اوزارها تسللت الى الادارة الاميركية، لا سيما مع المحافظين الجدد فكرة «الاسلام الراديكالي» ليكون بديلا عن «العدو الشيوعي». وقد برز هذا التوجه بشكل جدي في تقرير القدس الرابع؛ حيث نشرت فكرة استبدال الشيوعية «بالراديكالية الإسلامية».

لقد شكلت افكار بعض المحافظين الجدد امثال دوغلاس فيث، وديفيد وورمسر، وريتشارد بيرل (المدافعون عن التحالف بين

المحافظين الجدد والعسكرتاريا في واشنطن) تاثيراً كبيراً، لتشق هذه النظيرة طريقا الى مصانع القرار في واشنطن؛ حيث كانت البداية من مؤسسة بحثية مقرها القدس المحتلة، ومعهد للدراسات الاستراتيجية والسياسية المتقدمة. وقد نشرت العديد من ورقات استراتيجية، وأهمها «استراحة نظيفة: استراتيجية جديدة لتأمين المملكة» في العام ١٩٩٦ - ينظر إليها من قبل العلماء كمخطط لغزو العراق عام ٢٠٠٣.

ففي شراكة بين المملكة العربية السعودية و المحافظين الجدد تم غزو العراق في عام ٢٠٠٣. كان الدور السعودي كالعادة، محطة وقود، لضخ النفط إلى وقود حرب أميركا.

بعد غزو العراق جاءت المكافأة الاميركية للسعوديين سريعا؛ حيث تم تعيين اياد علاوي رئيس الائتلاف الوطني العراقي (الوفاق الوطني العراقي) المدعوم من المملكة العربية السعودية والمملكة المتحدة والولايات المتحدة، كرئيس للوزراء في عام ٢٠٠٤ وذلك لمكافحة النفوذ الايراني المتوقع.

ارتفع عدد القتلى، والاعتداءات بعد الغزو الاميركي للعراق، فيما المذابح وحّدت العراقيين ضد المحتل الأميركيين. ما دفع البعض للقول: «ما يحدث الآن يحدث لجميع العراق. لا يوجد فرق بين السنة والشيعة والعرب والكرد. اننا جميعا تعرضنا للغزو».

لقد اصبح من الضروري في دوائر القرار تقويض وحدة العراق عبر تقليبهم على بعض بدلا من محاربة المحتلين.

وفي هذا التكتيك لا يبدو شيئا اكثر فائدة من الاستعانة بالملك الأردني عبد اللّه، فكان تقديم استراتيجية لتقسيم العراقيين مع اطلاق مفهوم «الهلال الشيعي» في أواخر عام ٢٠٠٤.

ركزت وسائل الإعلام الرئيسية والمتعاونين معها في العراق والمنطقة على هذا المفهوم، فانتشر كالنار في الهشيم، وحرق الجسور بين مختلف الطوائف.

ثم بدأت بعدها الاحداث تتوالى:

في كانون الاول ديسمبر ٢٠٠٥، أُعلن أن جيش النخبة الإسرائيلي يدرب الأكراد في شمال العراق. في كانون الثاني يناير ٢٠٠٦، المملكة العربية السعودية تعمل على مخطط لتأمين وتطوير سياج يهدف إلى اغلاق الحدود بين العراق والسعودية لوقف تدفق «الإرهابيين». في شباط فبراير ٢٠٠٦ تم تفجير مرقد الإمامين العسكريين في سامراء. وبين هذا وذاك انطلق، وبسرعة فائقة، اسم ابو مصعب الزرقاوي «كجهادي سني» لم يمض على خروجه من سجن الاستخبارات الاردنية، حتى اسندت اليه الاتهامات بانه يقف خلف هذه التفجيرات.

في ايار مايو ٢٠٠٦، اقترح جو بايدن تقسيم العراق إلى ثلاثة أجزاء. وفي شهر آب أغسطس، اصدر «فالي نصر»، من مجلس العلاقات الخارجية الاميركية، كتابه «انبعاث الشيعة». وفي ٣٠ كانون الاول ديسمبر ٢٠٠٦، سُرّب شريط اعدام صدام حسين، وصور على انه استهداف للسنة وانتقام للشيعة.

وفي عام ٢٠٠٧ تم تفجير الإمامين العسكريين للمرة الثانية، وفي نفس العام بدأ العمل على تهجير المسيحيين العراقيين تبعا لمخطط التقسيم الطائفي.

في عام ٢٠٠٨، عارض رئيس الوزراء الحالي، نوري المالكي وجود أميركي دائم ورفض اعطاء الحصانة للجنود الاميركين في الاتفاقية الموقعة بين الطرفين، والتي حددت تاريخ انسحاب القوات الامريكية من العراق بحلول كانون الاول ديسمبر ٢٠١١.

هذا الجدول الزمني يقود الى ما كان يخطط لسوريا، عبر تسليح ارهابيي ما يسمى بداعش من قبل الولايات المتحدة وحلفائها، الذين شاركوا في أنشطة إرهابية، سواء داخل سوريا أو العراق. كاعادة لخيار السلفادور وفرق الموت التي انشأت في السلفادور والهندوراس ونيكاراغوا.

وبالمحصلة، فقد سعى المحافظون الجدد لفترة طويلة للسيطرة على الخليج الفارسي، واستخدامه كمنصة للانطلاق في الاستراتيجية الكبرى للهيمنة العالمية. وشكلت التنظيمات التكفيرية رافعة لتبرير هذه الهجمة بعد هجمات الحادي عشر من ايلول. ويعتبر التقسيم الطائفي النقطة المحورية للقضاء على المقاومة ورفض الهيمنة الاميركية. لقد عبر الاستراتيجي الشهير، مايكل بورتر خير تعبير عندما قال «**وأخيرا، يجب أن يكون هناك لدينا استراتيجية الاستمرارية. ان اختراع داعش هو بمثابة الاستمرار**».

وفي النهاية تظهر القيمة الحقيقية لتحالف الولايات المتحدة الاميركية مع المملكة السعودية. إن المملكة بالنسبة للولايات المتحدة ليست مجرد خزان للنفط واداة للتحكم باسعاره، انها ايضا خزان للفكر التكفيري الذي «ينبغي» ان يسود في الشرق الاوسط الجديد.

ثالثاً: واشنطن والارهاب وصندوق باندورا

لم يمض[1] اكثر من اسبوعين بين خطاب الرئيس الاميركي باراك اوباما في قاعدة ويست بوينت الاميركية، وقيام داعش باحتلال مناطق واسعة في الشمال العراقي.

ففي الثامن والعشرين من شهر ايار مايو ٢٠١٤ وقف الرئيس الاميركي خطيبا في قاعدة ويست بوينت الاميركية بمناسبة تخريج دفعة من الضباط، خطب هناك متحدثا عن اميركا «العظمى» بلغة لا تخلو من الشوفينية.

وصف الرئيس أوباما بلاده بأنها «أمة لاغنى لأحد عنها»؛ لأنها الأقوى عسكريا واقتصاديا على المستوى العالمي.

«فنادرًا ما كانت أميركا أقوى بالنسبة إلى بقية العالم مما هي عليه في الوقت الراهن»، هذا ما يقوله الرئيس الاميركي الذي يضيف قائلا بان «**أولئك الذين يقولون خلاف ذلك- ويظنون أن أميركا في تراجع، أو يرون أن قيادتها للعالم تتضاءل- فإنهم إما يقرأون التاريخ**

---

(١) نشر هذا المقال في صحيفة السفير اللبنانية بتاريخ ٢١ حزيران يونيو (٢٠١٤).

قراءة خاطئة أو يمارسون التحزّب السياسي. فكّروا في الأمر مليًا. فقواتنا المسلحة ليس لها نظير. واحتمال وقوع تهديد مباشر ضدنا من قبل أي دولة، هو احتمال منخفض ولا يقترب من الأخطار التي واجهناها خلال الحرب الباردة».

ويعدد اوباما انجازات ادارته فقد «**تغيّر المشهد...سحبنا قواتنا من العراق. وهدأت وطأة حربنا في أفغانستان. ودُمرت قيادات تنظيم القاعدة في المنطقة الحدودية بين باكستان وأفغانستان، وأسامة بن لادن لم يعد له وجود**». كلام لاقى تصفيقا حارا من الحضور.

ولمواصلة هذه الحرب، أعلن أوباما عن إنشاء «صندوق الشراكة ضد الإرهاب»، مستعجلا موازنة تصل إلى ٥ مليارات دولار. وتهدف خطوة إنشاء هذا الصندوق الى تدريب أجهزة الأمن في «الدول الحليفة» على خوض هذه الحرب داخل بلدانهم.

يأتي كلام اوباما في وقت لا يزال الاميركيون يقولون فيه انهم لا يعرفون الى الآن عن السبب الذي غزت لاجله ادارتهم العراق.

فيما الكتاب منهم يعتبرون ان «الأمن الوطني الاميركي» هو العباءة التي تخفي حكومة الولايات المتحدة وراءها جرائمها، وفق تعبير الكاتب جاك سميث.

فمنذ عام ٢٠٠٣ الى اليوم، صرفت الادارة الاميركية الاف المليارات تحت مسمى محاربة الارهاب، دخلت افغانستان والعراق، وتغير على مناطق في باكستان واليمن بواسطة طائرات

من دون طيار، تدعم برامج مساعدة لتنظيمات تقاتل من اجل اسقاط النظام في سوريا، تدير شبكة عملاء واسعة في انحاء العالم الاسلامي، ترتبط بانظمة عربية دكتاتورية، البعض منها هو الراعي الاساس للارهاب.

فهل القضية حقا هي محاربة الارهاب ام هو قلق الهيمنة عند واشنطن، يتساءل جاك سميث في مقالة له على موقع «غلوبل ريسرتش». ولا يخفي سميث موقفه، فواشنطن تجلب الموت فقط، والموت هو ما يجري في العراق الآن.

لم يفصل بين خطاب اوباما في ويست بوينت وبين قيام تنظيم داعش وحلفائه بالاغارة على الشمال العراقي اكثر من اسبوعين، والتنظيم الارهابي الذي هو من اخوات تنظيم القاعدة الذي كان محصورا في افغانستان الى حد كبير، ها هو اليوم يعمل في افغانستان والباكستان والعراق واليمن وليبيا وسوريا.

ان ما تقوم به واشنطن في سوريا هو السعي لتدمير حكومة هي بكل بساطة كانت من اوائل الحكومات التي حاربت الارهاب، هو الارهاب نفسه التي تدعي واشنطن انها غزت العالم العربي وافغانستان لمحاربته. ان ما فعلته واشنطن تحت مسمى محاربة الارهاب لم يكن سوى «فتح البلاد» لمصلحة تنظيم القاعدة ومتفرعاته. فالولايات المتحدة الاميركية لم تنسحب من بلد دخلته في المنطقة الا وتركته ساحة لعمل تنظيم القاعدة. والا فكيف يمكننا فهم تقديم واشنطن للمساعدات العسكرية لمجموعات مسلحة في

سوريا، علما ان القاصي والداني يعلم ان التنظيمين الاكثر فعالية هناك هما جبهة النصرة وتنظيم داعش، وان اي سلاح قد يقدم لاي طرف هناك يزعم انه تنظيم معتدل، سوف يصل عاجلا ام آجلا الى هذين الفصيلين، وهذا ما حصل بالفعل مرات عدة.

لقد فتحت واشنطن صندوق باندورا العجيب، حسب تعبير سميث نفسه. ان انتشار تنظيم القاعدة وتسيد القتل وقطع الرؤوس للمشهد في هذه البلدان، هو إنجاز واشنطن في الشرق الأوسط. فهل من الممكن ان ننظر لبلد أكثر حماقة مما تبدو عليه واشنطن، يقول سميث ايضا وايضا.

إن الغطرسة والعجرفة التي تُعرف بها الادارة الاميركية، قد جعلت واشنطن غير قادرة ان تكون عقلانية او تتخذ قرارات منطقية. انها قواعد جنون العظمة في واشنطن.

رابعاً: واشنطن: اغتصاب الذاكرة من اجل شرق اوسط جديد

إن الراي السائد في معظم وسائل الإعلام الرئيسية الغربية هو أن الوضع الحالي سببه انسحاب الولايات المتحدة، دون ان تلحظ هذه الرؤية أي علاقة بين الغزو الامريكي في عام ٢٠٠٣ والاحتلال الذي أعقب ذلك. فضلا عن انه يتجاهل أيضا فرق الموت التي تدربت على يد مستشارين أميركيين في العراق في أعقاب الغزو، والتي هي في قلب الحرب الحالية.

كالعادة، وسائل الإعلام الغربية هدفها هو تشكيل التصورات

والآراء، واغتصاب الوعي عن طريق صياغة رؤية للعالم الذي يخدم مصالح الاقوياء.

ما ينكشف في العراق وسوريا و ليبيا هو «الفوضى البناءة»، التي صممها الغرب. وهو مخطط قديم، وجزء من «خارطة الطريق العسكرية» الصهيو-اميركية في الشرق الأوسط، كما ظهر في عام ٢٠٠٦.

يتكون المشروع من تشكيل قوس من عدم الاستقرار والفوضى والعنف تمتد من لبنان، وفلسطين، وسوريا إلى العراق، والخليج الفارسي وايران، وصولا الى أفغانستان.

قدم مشروع «الشرق الأوسط الجديد» من واشنطن وتل أبيب في الحرب على لبنان عام ٢٠٠٦، حيث كان من المتوقع ان يكون لبنان نقطة الضغط لإعادة تنظيم الشرق الأوسط كله، وتاليا إطلاق العنان لقوى «الفوضى البناءة» التي من شأنها أن تعيد تشكيل المنطقة وفقا للاحتياجات والأهداف الجيوستراتيجية، عن طريق العنف والحروب، وهو هدف يستجيب لأهداف اقتصادية واستراتيجية وعسكرية واسعة النطاق...

ان زرع العداء بين مختلف المجموعات العرقية والثقافية والدينية في الشرق الأوسط لم يكن عملا صدفوياً، بل هو عمل منهجي، وجزء من أجندة المخابرات السرية.

فوفقا للباحث الكندي «مهدي داريوس ناظم رؤية» فان

«استراتيجية فرق تسد» هدفها النهائي هو إضغاف حركة المقاومة ضد الاحتلال الأجنبي.

ان هندسة حروب أهلية هي أفضل وسيلة لتقسيم البلاد إلى عدة أقاليم. لقد عُمل بها في البلقان ونجحت في تدمير يوغوسلافيا وتقسيمها إلى سبعة كيانات منفصلة، فلماذا لا تعمم الى مناطق مشابهة بل اكثر سخونة.

واليوم نشهد بوضوح بلقنة العراق مع مساعدة من الأداة الاميركية الفضلى، اي ميليشيات مسلحة تحمل شعارات انفصالية وطائفية.

ان جميع المعلومات والوثائق تؤكد ان تنظيم القاعدة قد استُخدم بواسطة الولايات المتحدة وحلف شمال الاطلسي في صراعات عديدة.

ولا يخفي العديد من الباحثين والاكاديميين الاميركيين، ان القرار في واشنطن اتُخذ لتوجيه الدعم (سرا) لصالح الكيانات الارهابية التي تعمل في كل من سوريا والعراق. كما ان اجندة ما يسمى بداعش تتوافق مع أجندة الولايات المتحدة منذ فترة طويلة، لتقسيم كل من العراق وسوريا إلى اقاليم عدة.

ففي حين أن الولايات المتحدة تسلح الحكومة في بغداد وتبرم صفقات بمليارات الدولارات معها، فان داعش وحلفائها مدعومة سرا من قبل المخابرات الغربية. بهدف هندسة حرب أهلية في العراق».

وتبعا لمايكل شوسودوفسكي، فان ما يُسعى اليه في النهاية هو المواجهة بين الشيعة والسنة.

منذ بداية ما سماه جورج بوش الابن «الحرب على الارهاب» كانت هذه الازدواجية واضحة، وتجلت في استثناء المملكة السعودية الداعم الرئيسي للإرهاب، كونها حليف الولايات المتحدة. هذا الاستثناء لا يمكن فهمه الا في اطار ان دعم الكيانات الإرهابية هو سياسة سرية للادارة الاميركية.

وقد دفعت هذه الازدواجية بعض الكتاب (جولي ليفيسك) للتصريح بالقول ان: **«تحالف الولايات المتحدة مع المملكة العربية السعودية يظهر ازدراء الولايات المتحدة للديمقراطية. ان هذا التحالف وحده يشير بوضوح إلى أن الهدف من الغزو الامريكي للعراق لم يكن لتحقيق الديمقراطية والحرية للعراقيين. لان المملكة السعودية، ترى ان قيام عراق ديمقراطي، يمثل كابوسا وتهديدا لحكمها القمعي الملكي»**.

هذه السياسة الاميركية في التفرقة ونشر الفوضى بدأت منذ اللحظات الاولى لغزو العراق، اي منذ تعيين بول برايمر حاكما مدنيا (٢٠٠٣ـ٢٠٠٤)، وقيامه بحل جميع القوى الامنية العراقية وتشكيل مرتزقة وميليشيات طائفية بديلة.

وواصل السفير الأمريكي جون نيغروبونتي عمل بريمر في الفترة (٢٠٠٤ـ٢٠٠٥)، فهذا السفير الخبير بسحق المعارضة في أمريكا الوسطى وبمساعدة «فرق الموت»، فقد كان «الرجل

المناسب لهذه المهمة» في العراق الذي يراد رسمه.

وكان نيغروبونتي قد لعب دورا رئيسيا في الدعم والإشراف على الكونترا في نيكاراغوا ومقرها في هندوراس، وكذلك الإشراف على أنشطة فرق الموت العسكرية في هندوراس بين اعوام ١٩٨١-١٩٨٥..

وفي إطار ما يسمى ب «خيار سلفادور العراق»، فان الاستخبارات الأمريكية ارسلت عملاءها لقتل قادة شيعة وسنة لاثارة الخلافات وتأجيج الصراعات؛ وبمعنى آخر، كما يقول البروفسور شوسودوفسكي: تشكيل كتائب ارهابية ترعاها الولايات المتحدة وتتولى عمليات قتل المدنيين بهدف إثارة العنف الطائفي.

ان ما يسعى البعض لاشاعته، من ان ما يحصل في العراق هو نتيجة الفشل، وأن صناع القرار في الادارة الاميركية هم اغبياء، هو خاطئ جدا. انه ليس الفشل وانهم ليسوا أغبياء بل هذا ما يراد لنا أن نعتقده، لانهم وببساطة (وفق تعبير جولي ليفيسك) يعتقدون أننا نحن الأغبياء.

خامساً: العراق ورجل الاطفاء الاميركي المزود ببرميل بارود

صب البنزين على النار لاخماده،هذا هو بالضبط ما ستفعله الولايات المتحدة في العراق لإخماد خطر المتشددين المدججين بالسلاح الطائفي، والمتدفق اليهم من أراضي تابعة لحلف شمال الأطلسي في تركيا.

ان مشعلي الحرائق الجيوسياسية يريدون اقناع الراي العام انهم مخمدو حرائق.

لقد بات واضحا منذ امد غير قريب ان ما يسمى بالدولة الإسلامية في العراق وسوريا (داعش) هي صنيعة الولايات المتحدة وحلفائها من دول البترودولار، وتحديدا المملكة العربية السعودية، وقطر، وقد اضافت صحيفة ديلي بيست في مقال بعنوان «حلفاء أميركا يمولون داعش» دولة الكويت. على ان هذا الدعم والتمويل وان كان يبدو في الكويت عملا فرديا، لكن لا يخفى انه في السعودية وقطر عمل منظم ترعاه الجهات الرسمية في البلدين. على الرغم من هذه اللائحة الا انها تسعى بشكل او بآخر للتعتيم على الدور الاميركي في الرعاية على حساب اظهار ادوار لحلفائها.

بنيت هذه التنظيمات الارهابية ونمت لسنوات من خلال مساعدة المانحين من حلفاء الولايات المتحدة لاشعال الحرب الطائفية.

لقد بدأ هذا النشاط الاميركي في المنطقة في وقت مبكر من عام ٢٠٠٧، حيث كشفت مصادر داخل البنتاغون وعبر أجهزة الاستخبارات الأميركية عن مؤامرة يراد منها اغراق الشرق الأوسط في حرب طائفية، والقيام لاجل هذا الهدف بتسليح وتمويل الجماعات الارهابية بما في ذلك تنظيم القاعدة.

ففي عام ٢٠٠٧ - اي قبل ٤ سنوات من انطلاق ما يسمى «الربيع العربي» عام ٢٠١١ - نشرت نيويوركر مقالة للصحافي الحائز على جائزة بوليتزر سيمور هيرش بعنوان، «إعادة توجيه: سياسة الإدارة

الجديدة هل يستفيد أعداؤنا في الحرب على الإرهاب»؛ حيث ذكر هيرش انه ولتقويض إيران، قررت إدارة بوش، إعادة ترتيب أولوياتها في الشرق الأوسط. في لبنان، تعاونت الإدارة مع الحكومة السعودية، في عمليات سرية تهدف إلى إضعاف حزب اللّه. وقد قامت الولايات المتحدة أيضا بعمليات سرية تستهدف إيران وحليفتها سوريا. وكانت الوسيلة هذه دعم المجموعات المتطرفة التي تعتنق رؤية عسكرية للإسلام ومتعاطفة مع القاعدة[١].

ومنذ ذلك الحين برزت تقارير عدة تكشف ان الولايات المتحدة وحلف شمال الأطلسي، تواطأت على دفع جيوش من المتطرفين داخل ليبيا وعلى طول الحدود السورية.

في الواقع، تقارير عدة تعترف أن الولايات المتحدة قد سلحت هذه المجموعات المتطرفة، ومولتها بمئات الملايين من الدولارات. ففي آذار مارس ٢٠١٣ تحدثت صحيفة دايلي تلغراف عن عملية نقل جوي كبرى للأسلحة إلى المجموعات السورية المسلحة من خلال مدينة زغرب، وان برنامجا واحدا قد شمل ٣٠٠٠ طن من الأسلحة المرسلة في ٧٥ طائرات محملة دُفع ثمنها من قبل المملكة العربية السعودية.

صحيفة نيويورك تايمز في مقالها «الجسر الجوي الى المتمردين

(١) راجع: سيمور هيرش، اعادة نوجيه: إعادة توجيه: سياسة الإدارة الجديدة هل يستفيد أعداؤنا في الحرب على الإرهاب، صحيفة نيووركر الاميركية، ٥ اذار مارس (٢٠٠٧).
http://www.newyorker.com/magazine/2007/03/05/the-redirection.

في سوريا يتوسع، مع مساعدات وكالة المخابرات المركزية»، تعترف «بأن وكالة الاستخبارات المركزية بمساعدة الحكومات العربية وتركيا ترسل المساعدات العسكرية الى الإرهابيين في سوريا، وهناك المئات من عمليات النقل الجوي تجري الى كل من الأردن وتركيا».

هذه المساعدات والتي جرت على نطاق واسع للإرهابيين المقاتلين في سوريا، لا يترك أي شك في أن هذه المؤامرة التي وصفها هيرش في عام ٢٠٠٧ قد نفذت بشكل جدي، والتي وان قيل انها قدمت لما يسمى «بالمعتدلين» الا ان مثل هؤلاء «المعتدلون» لا وجود لهم اصلا في سوريا الا نادرا. الخطة، ومنذ البداية، كانت تهدف لزيادة قوة التدخل المتطرفة لتحريك حمام دم طائفي إقليمي.

على الرغم من هذه المؤامرة المفتوحة لاغرق المنطقة في الفتنة الطائفية، وبعد قيام الولايات المتحدة بتسليح وتمويل داعش واخراجه إلى حيز الوجود ودفعه الى شمال العراق نفسه، فإن فكرة مساعدة أمريكا للحكومة العراقية وطلب الحكومة العراقية المساعدة الاميركية، هو تماما كالطلب من مشعل الحرائق باخماد حريق عبر صب الزيت عليه، وهو يجر خلفه برميل مثقوب من البارود يتجول فيه في ارجاء المنطقة.

الفصل التاسع

عوامل واقتراحات

يتطوّر الخطر الذي يمثله «الجهاديون» منذ بعض الوقت. وفيما تستمر المعالجات الجزئية والموضعية المشوبة بالضعف تارة والضبابية وعدم الفاعلية تارة اخرى، يبقى التهديد الرئيسي لهذه الجماعات متأتياً من زيادة حالة عدم الاستقرار التي تشهدها منطقة الشرق الأوسط، والتي استغلها هؤلاء للنمو والتوسّع.

لا شك ان حالة الاضطراب الشديد التي شهدتها مناطق عدة في المنطقة العربية لا سيما في سوريا والعراق وليبيا قد أدت لحصول فراغات اجتماعية وسياسية مكّنت المجموعات الجهادية من النموّ. كان ابرزها «داعش» اضافة الى ظهور فروع قوية للقاعدة.

إنّ التدخل الغربي العشوائي من جهة، والمشبوه من جهة اخرى أدى الى نتائج عكسية. فعلى سبيل المثال فان اكبر الهجمات التي شنها «داعش» بعد معركة الموصل كانت في ظل الحملة العسكرية الغربية.

كل ذلك يؤدي الى ضرورة طرح أسئلة ملحة عن أسباب ظهور هذه الجماعات، وبالتالي السؤال عن الاستراتيجيات التي ينبغي اعتمادها في مواجهتها.

اولاً: أسباب بروز التيارات التكفيرية

ويمكن تلخيص الاسباب بالعوامل التالية:

١- الثروات النفطية والمالية الهائلة للمملكة العربية السعودية والتي سخرتها في سبيل نشر الدعوة الوهابية التكفيرية.

٢- التعامل مع ظاهرة التكفير كظاهرة طارئة قابلة للتوظيف السياسي بعيدا عن احتمال تحولها الى ظاهرة اجتماعية-سياسية قابلة للتطور والتوسع والتجذر.

٣- دعم الغرب والمملكة السعودية للتيارات الراديكالية في مقابل المد الشيوعي دون الأخذ بعين الاعتبار امكانية ارتداد وانفلات هذه الجماعات من عقالها مستقبلاً.

٤- غض النظر الدولي عن دعم بعض الانظمة العربية وغير العربية لهذه التيارات التكفيرية.

٥- التحالف مع انظمة تدعم هذه الجماعات في مقابل محاربة انظمة تخوض صراعات معها ما اضعف الانظمة المناوئة لهذه الجماعات.

٦- التركيز على الخطر الايراني وتحويله الى «ايرانوفوبيا»، رغم عدم صدور اعمال ايرانية تهدد الدول الغربية واقتصار الدعم الايراني على حركات المقاومة في المنطقة بعيداً عن العوامل المذهبية والدينية معها، في مقابل تجاهل الغرب لدعم ممالك خليجية لحركات تكفيرية ونشر فكر تكفيري

يضع باقي المسلمين والغرب جميعا في كفة واحدة وهي الكفر والشرك.

٧- تحالف الغرب مع أنظمة قمعية لعشرات السنين وانقطاع امل الشعوب بالتغيير الديمقراطي، ما دفع الناس الى اعتناق عقائد اسلامية متشددة للتغيير.

٨- امتناع العلماء المسلمين من اجراء قراءات جدية لبعض النصوص الدينية المشكوك فيها، والتي تحرض على العنف والكراهية.

٩- فتح الغرب دوله للمدارس الوهابية السعودية لنشر دعوتها وافكارها التكفيرية مقابل صفقات تجارية واستثمارية. في مقابل التضييق على الجماعات الاسلامية الاخرى المعتدلة.

١٠- ظهور الغرب بمظهر المستعد لتدمير العالم العربي والاسلامي في سبيل الحصول على ثرواته ومنابع الطاقة فيها.

١١- امتناع الغرب عن الدفع باتجاه اجراء تغييرات جذرية داخل الدول العربية والاسلامية.

١٢- اقتصار المعالجات الغربية مع الدول التي تصدر الفكر التكفيري على جوانب سطحية تتعلق ببعض المناصب والاشخاص دون مقاربة قضايا ترتبط بالتعليم والتربية.

١٣- السكوت على تحول منابر الخطابات الى منابر للدعوة الى الكراهية وتكفير الآخر وغياب خطابات التسامح والمحبة.

١٤- فتح الفضاء التلفزيوني امام محطات تكفيرية تنشر الكراهية والبغضاء وتعتبر كل «آخر» كافر يجب قتله او هدايته.

١٥- الحملات الاعلامية والثقافية الغربية تحت شعار حرية التعبير والتي تستهدف المقدسات الاسلامية.

١٦- اقتصار التنسيق في محاربة الارهاب مع انظمة اما غير فاعلة واما هي راعية عمليا، ومصدرة فكريا له، في مقابل تجاهل التنسيق مع قوى فاعلة ومؤثرة ولها مصلحة واقعية كبيرة في محاربة الارهاب واحتوائه.

١٧- تجاهل الغرب لضرورة تحديد معنى الارهاب من اجل بقائه في خانة التوظيف، ليبقى منطبقا على اعمال تصنف في خانة المقاومة للاحتلال او الدفاع عن النفس، في مقابل اخراج مفهوم الارهاب عما تقوم بع لعض الدول والكيانات.

١٨- عدم ممارسة ضغوط لازمة على المملكة السعودية لاجراء تعديلات جذرية في النظام التعليمي الديني لاخراج المواد المتعلقة بتكفير الاخرين، لا سيما المسلمين، من المناهج التربوية.

١٩- التغاضي عن النشاط الهائل لهذه الجماعات على مواقع التواصل الاجتماعي والشبكة العنكبوتية.

ثانياً: استراتيجيات المواجهة

١- العمل على تحديد واضح لمفهوم الارهاب تشارك في صياغته جميع الدول المعنية.

٢- العمل على تحديد واضح لمصطلح التكفير وشجبه من خلال تجمعات ولجان ومنظمات اسلامية عالمية.

٣- سن القوانين الدولية في تجريم التكفير والحركات التكفيرية بناء على دراسات موضوعية مع امكانية اتخاذ اجراءات فاعلة ضد الدول الداعمة والراعية له فكريا ومالياً.

٤- فك الارتباط بين الدول الغربية والدول المصنعة للتكفير ما لم تستجب هذه الدول لضرورات التغيير.

٥- اتخاذ اجراءات فاعلة ضد الدول التي تؤمن مسارب مالية وبشرية للجماعات التكفيرية لا سيما تركيا والمملكة السعودية.

٦- اتخاذ اجراءات فاعلة ضد الدول التي تؤمن الطرق التجارية للجماعات التكفيرية ما يدعمها بالمال، كتركيا.

٧- اتخاذ اجراءات ضد الدول التي تنشأ على أراضيها قواعد عسكرية لتدريب عناصر تكفيرية: تركيا، الاردن، والسعودية.

٨- نزع المراكز الاسلامية والمساجد المنتشرة في الغرب ودول

آسيا من يد الجماعات التي تحمل الفكر الوهابي وتسليمها لشخصيات اسلامية معتدلة تدعو التسامح والمحبة.

٩- وضع قيود صارمة على الفضائيات التي تنشر الفكر الوهابي التكفيري.

١٠- تقديم المصالح الانسانية وفكر التسامح على المصالح الاقتصادية الآنية.

١١- التعاون البناء مع الدول التي يمكن ان تقدم مساهمة فاعلة في محاربة التكفير، لا سيما الدول الاسلامية الكبرى واهمها: ايران ومصر وباكستان.

١٢- تشكيل تحالف دولي جدي لمحاربة الارهاب والتطرف يتشكل من دول اسلامية مختلطو تشمل كاغة المذاهب، مع استثناء الدول الداعمة والراعية والمصنعة للتكفير. ومن اهم الدول التي ينبغي ضمها للتحالف: ايران، مصر، باكستان، اندونيسيا. مع ممارسة ضغوطات جدية على تركيا لتحفيذها لوقف دعم هذه الجماعات وادخالها في التحالف. كما يجب ادخال روسيا ايضا بسبب خبرتها في مجال مكافحة هذه الجماعات في الشيشان، كما انها يمكن ان تلعب دورا هاما بسبب شعورها بالخطر من جراء وجود هذه الجماعات على حدودها.

١٣- اعادة النظر جذرياً باللوائح التي تصدرها الدول الغربية حول الارهاب، مع اعادة صوغ معايير جديدة لها.

١٤- وقف الاعمال الانفرادية التي يقوم بها الغرب من غارات وعمليات عسكرية، وجعل هذه الاعمال من ضمن اعمال التحالف المقترح.

١٥- اتخاذ اجراءات وسن قوانين في الغرب تتعلق بجريم الاساءة للمقدسات الدينية بشكل عام، والاسلامية بشكل خاص على غرار القوانين المتعلقة بمناهضة العنصرية او معاداة السامية.

١٦- اتخاذ اجراءات فاعلة وجذرية لمنع أو الحد من نشاط هذه الجماعات على الشبكة العنكبوتية في نشر افكارها وتسويق اعمالها.

١٧- ممارسة الضغوط الفاعلة على المملكة السعودية لاجراء اصلاحات جدية في النظام التعليمي والتربوي داخل المملكة، لا سيما ما يتعلق منها بالمناهج الدينية.

١٨- التشجيع على انشاء منظمة دولية فاعلة تتعلق بالحوار بين الاديان والمذاهب، وتكون بععن التجاذب السياسي، واقصاء الدول الراعية للتكفير حتى تقوم باجراءات تحد من التكفير في مجتمعاتها ومناهجها التربوية والتعليمية.

الخاتمة

رغم ان الكتابة في موضوع التكفير والارهاب أمر معقد، نظراً لتشعب المعلومات فيه من جهة، والتطورات التي تجري تباعاً بين يوم وآخر في شأن ملف الارهاب والحركات التكفيرية، الا أنني أستطيع أن أزعم ان الكتاب أستطاع ان يقدم ما كان يهدف اليه.

أراد هذا الكتاب أن يقول أن العلاقة بين الحركة الوهابية وآل سعود من جهة والحركات التكفيرية الارهابية من جهة أخرى، هي علاقة أبوة وبنوة، ليس بالمعنى الانتمائي فقط، وانما بالمعنى الرعائي؛ حيث استطعنا ان نقدم الكثير من الادلة والبراهين حول تورط المملكة السعودية في دعم الارهاب، كما اثبتنا بالادلة ايضا كيف ان الفكر التكفيري الارهابي هو وليد الفكر الوهابي.

ومن جهة أخرى، استطاع هذا الكتاب أن يثير الكثير من علامات الاستفهام حول علاقة الغرب عموما، والولايات المتحدة الاميركية خصوصا، بهذه الحركات التكفيرية الارهابية، ليس فقط لناحية التوظيف في المشروع التفتيتي العام للمنطقة، بل لناحية الدعم اللوجستي المباشر لهم.

لقد أردنا أن نقول ان ثمة مثلثا وهابيا-تكفيريا-اميركيا، يجهد، منذ مدة ليست بالقصيرة، على تفجير المنطقة طائفياً وعرقياً ودينياً، إنه مثلث صناعة التوحش.

المصادر والمراجع

الكتب والابحاث

- ابراهيم، فؤاد، السلفية الجهادية في السعودية، بيروت، دار الساقي، ط١، ٢٠٠٩م.
- ابن الوزير اليماني، محمد بن إبراهيم، العواصم والقواصم، مؤسسة الرسالة، ١٩٩٤.
- ابن تيمية، احمد، مجموع فتاوى شيخ الإسلام، مطبعة الملك فهد لطباعة المصحف الشريف، ٢٠٠٤م.
- ابن حنبل، احمد بن محمد، مسند احمد، بيروت، مؤسسة الرسالة، ط١، ٢٠٠١م.
- ابن خلدون، عبد الرحمن محمد، مقدمة ابن خلدون.
- أبو حاقة، أحمد، لمع الشهاب، دار الثقافة، بيروت.
- البخاري، ابو عبد الله محمد بن اسماعيل، صحيح البخاري، دمشق-بيروت، دار ابن كثير، ط١، ٢٠٠٢م.
- بن عبد الوهاب، محمد، كشف الشبهات،القاهرة،الطبعة الرابعة.

- التقوى، أبو العُلى، الفرقة الوهابية في خدمة من؟ طبعة الإرشاد للطباعة والنشر بيروت ـ لندن.
- حسين، فؤاد، الزرقاوي الجيل الثاني للقاعدة، ٢٠٠٥.
- الحسيني الحجازي، عبد اللّه بن السيد شريف حسن باشا، صدق الخبر في خوارج القرن الثاني عشر، سوريا، مطبعة كرمين، دون تاريخ.
- الخطيب، محمد عوض، صفحات من تاريخ الجزيرة العربية الحديث.
- سعيد، محمد علي، تاريخ بريطانيا وابن سعود، دار الجزيرة للنشر.
- عبدالغني، إبراهيم عبد العزيز، صراع الأمراء.
- العيدروس، محمد حسن، اتفاقية دارين، مجلة جامعة دمشق، المجلد ٢١، العدد ١+٢، ٢٠٠٥.
- لاكروا، ستيفان، زمن الصحوة، بيروت، الشبكة العربية للابحاث والنشر، ط١، ٢٠١٢.
- الأمين، محسن، كشف الارتياب، ايران، مؤسسة دار الكتاب الاسلامي، ٢٠٠٧م.
- محمد، عبد اللّه، المذكرة الاستراتيجية، مؤسسة المأسدة الاعلامية،٢٠١١م.
- ناجي، ابو بكر، ادارة التوحش، مركز الدراسات والبحوث الاسلامية.

- النجدي الحنبلي، عثمان بن بشر، عنوان المجد في تاريخ نجد، مكتبة الرياض الحديثة، الرياض.
- هيغهامر، توماس، الجهاد في السعودية: قصة تنظيم القاعدة في جزيرة العرب، ترجمة امين الايوبي، بيروت،الشبكة العربية للابحاث والنشر، ط١، ٢٠١٣.
- Lawrence Wright (2006). The Looming Tower: Al-Qaeda and the Road to 9/11. New York: Knopf.
- Lawrence Wright, The Rebellion Within ,An Al Qaeda mastermind questions terrorism, , June 2, 2008

رسائل وبيانات

- رسالة ابن لادن الى اخواننا المسلمين في العراق(١).
- رسالة ابن لادن الى مجاهدي العراق والصومال
- رسالة ابن لادن في رثاء ابي مصعب الزرقاوي
- ابو محمد المقدسي، رسالة مناصحة وتذكير الى بعض الاخوة.
- بيان لابي محمد المقدسي بعنوان «هذا بعض ما عندي وليس كله»
- رسالة ابو محمد العدناني الى الظواهري تحت اسم «عذراً أمير القاعدة».

مواقع الكترونية

- http://ara.reuters.com
- http://arabic.ruvr.ru
- http://content.time.com
- http://www.abubaseer.bizland.com
- http://www.alahednews.com.lb
- http://www.aleqt.com
- http://www.alukah.net
- http://www.bbc.co.uk
- http://www.brookings.edu
- http://www.dailymail.co.uk
- http://www.elaph.com
- http://www.fbi.gov
- http://www.globalresearch.ca
- http://www.independent.co.uk
- http://www.newyorker.com
- http://www.rewardsforjustice.net
- http://www.sada.pro
- http://www.washingtoninstitute.org
- https://www.foreignaffairs.com
- https://www.tawhed.ws
- https://www.youtube.com
- https://www.assakina.com

فهرس المحتويات

الفصل الثالث

الفصل الخامس

الفصل السادس

الفصل السابع

الفصل الثامن

الفصل التاسع



صناعة التوحش

التكفير والغرب

د. محمد محمود مرتضى

نبذة عن الكتاب:

يسعى هذا الكتاب للغوص في جذور الحركات التكفيرية المعاصرة، انطلاقا من جذورها الفكرية والسياسية والاجتماعية، دون أن يغفل عن الدور الغربي ، سواء في ولادة هذه الحركات أو في توظيفاتها الجيوسياسية. فالغرب رأى في التوحش فرصة لتحويل العدو المنهزم إلى شبه منتصر؛ ليتوسل العرب بأميركا كمنقذ، ولتظهر اسرائيل على انها ليست كيانا متوحشا.

وفي المقابل رأى التيار التكفيري في مشاريع التقسيم عنصرا يمكن الاستفادة منه في مشروعه باقامة «الدولة الاسلامية».

نبذة عن الكاتب:

الدكتور محمد محمود مرتضى باحث لبناني متخصص في الحركات الاسلامية والاسلام السياسي. من مواليد عيتا الجبل 1965.
حائز على شهادة الدكتوراه في الفلسفة من الجامعة اللبنانية وعلى شهادة الماجستير في الدراسات الاسلامية من الجامعة الاسلامية في لبنان.

له عدة كتب وابحاث تتعلق بالفكر الاسلامي والاسلام السياسي، فضلاً الى مخزون كبير من المقالات في الصحف والمواقع الالكترونية.

شارك في العديد من المؤتمرات والندوات، وعشرات المقابلات التلفزيونية والصحفية اضافة الى بعض الافلام الوثائقية.








الرويس، شارع الرويس، بيروت - لبنان
Mob: 00961 3 689 496 | TeleFax: 00961 1 545 133
info@daralwalaa.com | daralwalaa@yahoo.com
P.O. Box: 307/25 | www.daralwalaa.com

ISBN 978-614-420-222-7

